❁ تحفـة النـدوة

❁ التعليق على المناظرة بين البطالوي والجكرالوي

❁ نسيم الدعـوة

❁ مذهب "سنـاتن"

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

تعريب: عبد المجيد عامر

أسماء الكتب: تحفة الندوة، التعليق على المناظرة بين البطالوي والجكرالوي، نسيم الدعوة، مذهب سناتن

الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ الموافق لـ ٢٠١٨م

A Gift for Nadwah, A Review of the Debate between Batalvi and Chakrhalvi, An Invitation, The Sanatan Faith.

An Arabic rendering of:

Tuhfatun-Nadwah, Review Bar Mubaahatha Batalvi Wa Chakrhalvi, Naseem-e-Da'wat, Sanatan Dharam

Written by: Hazrat Mirza Ghulam Ahmad (peace be on him),
The Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Ahmadiyya Muslim Community

Translated from Urdu by: Abdul Majeed Amir

First Published in UK in 2018

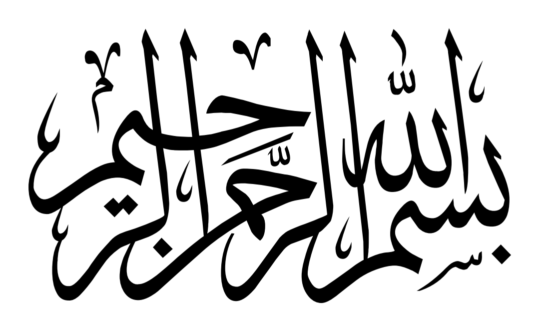
Published by:
Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Farnham, Surrey
GU9 9PS

For further information please contact:
Phone: +44 1252 891330
Fax: +44 1252 821796

www.alislam.org
www.islamahamadiyya.net

ISBN: 978-1-84880-802-7


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الناشر

يسعدنا أن نقدّم لقراء العربية ترجمة أربعة كتب المسيح الموعود عليه السلام: ١- تحفة الندوة، ٢- التعليق على المناظرة بين البطالوي والجكرالوي، ٣-نسيم الدعوة ٤- مذهب "سناتن".

تحفة الندوة

.... نُشر هذا الكتيب بتاريخ ١٩٠٢/١٠/٦م، ومقدمته كُتبت بالعربية بعنوان "التبليغ". لقد دعا المسيح الموعود عليه السلام في هذا الكتيب أهلَ دار الندوة إلى أن يتخذوا القرآن حَكَمًا، ثم ذكر كونه المسيح الموعود وحلف على أنه مبعوث من الله. وفي نهاية الكتيب وعد عليه السلام بإرساله إلى علماء الندوة بيد مندوبيه.

سبب تأليفه: أعلنت "ندوة العلماء" عن عقد جلسة في أمرتسر في ٩- ١٠- ١١ أكتوبر/تشرين الأول، ونشر الحافظ محمد يوسف المتقاعد-الذي سبق ذكره في كتاب "الأربعين" في ١٩٠٢/١٠/٢م، إعلانا موجِّها فيه الخطاب إلى المسيح الموعود عليه السلام فذكر حضرته هذا الإعلان قائلا:

"كتب فيه عني أني اعترفت ذات مرة شفهيا أن الذين ادّعَوا أنهم أنبياء أو رسل أو كونهم مأمورين من نوع آخر عاشوا مع افترائهم هذا الذي كانوا يهدفون منه إلى إضلال الناس، إلى ٢٣ عاما، (وهي مدة بعثة النبي ﷺ الكاملة) بل أطول منها أيضا. ثم يقول الحافظ المحترم في الإعلان نفسه أن صديقه المدعو "أبو إسحاق محمد دين" ألّف في تأييد كلامه هذا كتيبا بعنوان: "قطع الوتين"، أورد فيه نقلا عن كتب التاريخ أسماء المدعين الكاذبين مع مدة ادّعائهم". (تحفة الندوة، الخزائن الروحانية المجلد١٩، ص٩٢)

طلب الحافظ المذكور في إعلانه من حضرته عليه السلام أن يقرّ خطيا بأنه إذا اعترف مشاهير العلماء الذين يحضرون الجلسة التي ستُعقَد بدءا من ١٩٠٢/١٠/٩م في أمرتسر بصحة الأدلة المذكورة في كُتيِّب "قطع الوتين" وجب عليه أن يتوب في الجلسة نفسها. فقال عليه السلام ردا على طلبه:

"لا أحسن الظن بهم. والحق أني لا أعُدّهم أتقياء ... ولا أراهم عارفين بحقائق القرآن الكريم ... فأنى لي أن أحتكم إليهم؟! غير أنه إذا أتى بعض المشايخ المنتخَبين منهم إلى قاديان باحثين عن الحق فإني أستطيع أن أبلِّغهم الدعوة شفهيا."

وقال عليه السلام أيضا: "القصص السخيفة وغير الأصلية المذكورة في كتيب "قطع الوتين" عن المتنبئين ليست جديرة بالاعتداد قط ما لم يثبت أن المفترين أصروا على ادّعائهم هذا و لم يتوبوا. وأنّى يثبت هذا الإصرار ما لم يتبين من وثيقة من الزمن نفسه أهم ماتوا على الافتراء نفسه والادعاء الكاذب بالنبوة، ولم يُصلّ عليهم صلاة الجنازة أحد من المشايخ في ذلك الزمن و لم يُدفَنوا في مقابر المسلمين؟! كذلك لا تَثبت هذه الحكايات ما لم يَثبت وجود تلك المفتريات التي عدُّوها كلام الله والتي هي افتراء منهم على مدى عمرهم" (المرجع السابق، ص٩٤-٩٥)

بعد الرد على إعلان الحافظ المذكور قدّم عليه السلام لإتمام الحجة على علماء الندوة دعواه مدعوما بالأدلة أنه هو المسيح الموعود، ثم أرسل إلى أمرتسر في أيام الجلسة من قاديان وفدا ضَمَّ المولوي سيد محمد أحسن الأمروهي، والمولوي أبا يوسف محمد مبارك السيالكوتي، والمولوي سيد محمد سَرْوَرْ شاه الهزاروي، والمولوي محمد عبد الله الكمشيري والشيخ يعقوب علي عرفاني، رئيس التحرير لجريدة "الحكَم". بعد وصول الوفد إلى أمرتسر تبيّن أن الحافظ محمد يوسف كان قد نشر الإعلان المذكور من عنده دون أن يستشير أهل الندوة ولم يستأذن أو يستشر حتى سكرتير الندوة. فبلّغ الوفد دعوة الجماعة إلى الناس بصورة فردية ووزّعوا كتيب "تحفة الندوة" على نطاق واسع....

تعليق المسيح الموعود، الحكَم العَدْل

على المناظرة بين المولوي أبي سعيد محمد حسين البطالوي والمولوي عبد الله الجكرالوي

عُقدت بين البطالوي والجكرالوي مناظرة في تشرين الثاني ١٩٠٢م. (للاطلاع على تفاصيل المناظرة يرجى الرجوع إلى مجلة إشاعة السُّنّة، مجلد١٩، رقم ٥، ص١٤١-٢٣١). كان المولوي عبد الله من سكان "جكراله" محافظة ميانوالي وكان يحسب نفسه من "أهل القرآن" وينكر حجية الحديث. وبالمقابل كان المولوي محمد حسين البطالوي يحسب الحديث قاضيا على القرآن. فكان الجكرالوي يسلك مسلك التفريط، والمولوي البطالوي يسلك مسلك الإفراط بحق الأحاديث. فألّف المسيح الموعود عليه السلام هذا الكتاب معلّقا على المناظرة بينهما وقال:

"هناك ثلاثة أشياء في أيدي المسلمين للاعتصام بهدي الإسلام وهي:

(١) القرآن الكريم الذي هو كتاب الله...

(٢) السُّنَّة... المراد من السنة عندي هو عمل النبي ﷺ الذي يحظى بتواتر العمل به، وقد ظهر مع القرآن الكريم منذ البداية....

(٣) الوسيلة الثالثة للهداية هي **الحديث**، وأقصد من الحديثِ الآثارُ التي جُمعت بصورة قصص بعد النبي ﷺ بمائة وخمسين عاما تقريبا بواسطة مختلف الرواة...

فالمذهب الأسلم هو ألا نعتقد مثل أهل الحديث المعاصرين أن الأحاديث مقدَّمة على القرآن الكريم... كذلك يجب ألا نعُدّ الأحاديث كلها لغوا محضا وباطلة كما يعتقد الشيخ عبد الله الجكرالوي بل ينبغي أن نعتقد بأنَّ القرآن والسنَّة قاضيَان على الأحاديث. والحديث الذي لا يخالف القرآن والسنّة يجب أن نقبله على الرأس والعين. هذا هو الصراط المستقيم. (الخزائن الروحانية المجلد١٩، ص٢٠٩-٢١٢)

المبدأ الأساسي للفقه الأحمدي

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"**من واجب جماعتنا** أنه إذا لم يكن الحديث معارضا أو مخالفا للقرآن الكريم والسنَّة أن يعملوا به مهما كانت درجته ضعيفة، ويجب أن يفضِّلوه على فقهٍ صنعه البشر. وإن لم يجدوا مسألة ما في الحديث ولا في السنَّة ولا في القرآن فليعملوا بالفقه الحنفي، لأن كثرة هذه الفِرقة تدل على مرضاة الله. وإن لم يستطع الفقه الحنفي أن يفتي فتوى صحيحة بسبب بعض التغيرات الحالية، فعلى العلماء من هذه الجماعة أن يجتهدوا بما منّ الله عليهم من قوة الاجتهاد. ولكن يجب أن يكونوا حذرين ولا ينكروا الأحاديث دون مبرر مثل الشيخ عبد الله الجكرالوي. أما إذا وجدوا حديثا يعارض القرآن والسنة فليتركوه... على أفراد جماعتي ألا ينحازوا إلى الإفراط في الأحاديث مثل الشيخ محمد حسين، ولا يميلوا

إلى التفريط مثل الشيخ عبد الله، بل يجب أن ينهجوا منهجا وسطا مذهبا لهم." (المرجع السابق، ص ٢١٢-٢١٣)....

نسيم الدعوة

في بداية عام ١٩٠٣م نشر بعض الإخوة حديثو عهدٍ بالإسلام من قاديان، مواساة ونصحا من عندهم دون استشارة المسيح الموعود عليه السلام إعلانا بعنوان: "المواجهة بين آريا سماج وقاديان". وُجِّهت فيه بكل أدب ولباقة دعوةٌ إلى الآريين والهندوس والسيخ أن يُظهروا صدق دياناتهم بواسطة الدعاء والمباهلة أو بعقد مؤتمر ديني. (تاريخ الأحمدية، المجلد٣، نقلا عن "الحكَم"، العدد: ١٩٠٣/٢/٢١م)

وفي ٨ فبراير/شباط نشر "آريا سماج" ردا على الإعلان المذكور إعلانا قذرا جدا ومليئا بالسباب والشتائم، كتبوا فيه كلمات نابية ومسيئة جدا بحق النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الاعتراض على شخصه الكريم، كذلك أطالوا لسان الطعن بحق المسيح الموعود عليه السلام وجماعته وكالوا لهم شتائم بذيئة ذكر المسيح الموعود عليه السلام بعضها في كتابه "نسيم الدعوة".

بالنظر إلى تلك الكلمات النابية والشتائم البذئية أراد المسيح الموعود عليه السلام ألا يخاطب هؤلاء الناس ذوي اللسان السليط والبذيء ولكن الله تعالى أمره بوحيه الخاص أن يكتب الرد على ذلك الإعلان. فيقول عليه السلام بهذا الشأن:

"ولكن الله تعالى خاطبني بوحيه الخاص وقال: "أُكتب الرد على تلك العبارة وإني معك في هذا الجواب". فسررتُ كثيرا بهذا الوحي المبشِّر بأني لستُ وحيدا في كتابة الجواب. فقمتُ مستمدا القوة من الله تعالى وألّفت هذا الكتاب بتأييد روح منه. وكما أيدني الله نويتُ أن أكتب الرد بالرفق بغض الطرف عن الشتائم التي وُجِّهت إليّ وإلى نبينا المطاع ثم أفوِّض هذا الأمر إلى الله تعالى." (الخزائن الروحانية المجلد١٩، ص٣٦٤)

اعترض الآريون في إعلانهم المذكور بخصوص المسلمين حديثي الإسلام قائلين بأنهم إذا قارنوا الديانة الآرية مع الإسلام بعد قراءتهم الفيدات الأربعة عندئذ فقط كان إسلامهم صحيحا. فردّ المسيح الموعود عليه السلام على هذا الاعتراض ردّا مفحما وإلزاميا ومدعوما بالأدلة وبيّن إلى أيّ مدى يجب أن يكون المرء ملمّا لتغيير دينه، فقال:

إن تمحيص الجزئيات كلها ليس ضروريا لتبديل الدين، بل يكفي أن ينتبه المرء إلى ثلاثة أمور فقط.

أولا: ما هو تعليم ذلك الدين عن الله تعالى؟ أيْ ماذا يقول ذلك الدين عن وحدانية الله وقدرته وعلمه وكماله وعظمته وعقابه ورحمته وغيرها من لوازم الألوهية وخواصها؟

ثانيا: ما هو تعليمه عن كل نفس إنسانية وعن البشر والقوم؟

ثالثا: يجب أن يرى أن ذلك الدين لا يقدّم إلــها افتراضيا فقط، ثم الإيمان به بناء على قصص وحكايات فقط. (تلخيصا عن المرجع السابق ص٣٧٣-٣٧٤)

بعد ذكر هذه الأمور المبدئية أجرى عليه السلام مقارنة مفصلة بين معتقدات النصارى والآريين وبين معتقدات الإسلام وبذلك أثبت أن المزايا الثلاث المذكورة موجودة في الإسلام وحده. ثم ردّ على بعض الاعتراضات التي أثارها أتباع آريا سماج وناقش قضية "النيوك".

أُلِّف هذا الكتيب وطبع في غضون أسبوع واحد فقط ونُشر في ١٩٠٣/٢/٢٨م، عندما كانت الجلسة السنوية للآريين في قاديان كانت منعقدة في ٢٨ شباط والأول من آذار ١٩٠٣م.

مذهب "سناتن"

أشار البانديت "رام بَجهدَت" زعيم مجلس آريا الديني في لاهور بالبنجاب، في خطابه الأخير في ١٩٠٣/٣/١م إلى اسم المسيح الموعود عليه السلام بعد أن قرأ قضية "النيوك" في كتابه عليه السلام "نسيم الدعوة" وقال: "لو ناقشني في موضوع النيوك لبيّنت له فوائده كلها". (الخزائن الروحانية المجلد١٩، ص٤٦٧)

فألّف المسيح الموعود عليه السلام هذا الكتيب الوجيز بعنوان: سناتن دهرم ونشره بتاريخ ١٩٠٣/٣/٨م بعد أن سمع رأي زعيم معروف لآريا

سماج عن "النيوك"، وذكر عليه السلام فيه كون "النيوك" منافيا للغيرة والفطرة البشرية وبيّن مضراها، وإلى جانب ذلك مدح أتباع سناتن دهرم بكلمات تالية:

"لما كان تأييد الحق واجبي، اضطررت إلى القول هنا تأييدا للحق فقط بأن أتباع مذهب "سناتن دهرم"، إن نحَّينا بعض مبادئهم جانبا، أفضل بآلاف المرات من أتباع مذهب آريا، فهم لا يسيئون إلى إلـــههم قائلين بأنهم متساوون معه بكونهم أزليين وغير مخلوقين، ولا يقبلون مسألة "النيوك" المخجلة أيضا. ولا يوجهون إلى الإسلام اعتراضات سخيفة لأنهم يعرفون أن مبادئه تشكِّل قاسما مشتركا بين جميع الأمم. معظمهم يتحلون بدماثة الأخلاق، ولا توجد فيهم حذلقة وشطارة وحِدّة خطيرة....

إن بعض الآريين قد تجاوزوا الحدود في الحذلقة والتجاسر، مما يدل على أنهم كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار." (الخزائن الروحانية المجلد١٩، ص٤٧٤-٤٧٥)

وقال عليه السلام أيضا:

"أتباع مذهب سناتن دهرم لا يحبون الأنبياء السابقين فقط بل ينتظرون في هذا الزمن المليء بالمفاسد والذنوب أيضا نبيا أخيرا سيطهِّر الأرض من الذنب. فلا غرابة أن يؤمن السعداء منهم في وقت من

الأوقات بهذه الجماعة الربانية بعد رؤية آيات الله، لأنه لا يوجد فيهم تعنت وتعصب إلا قليلا". (المرجع السابق، ص٤٧٥، الحاشية)

ثم ذكر باختصار الأمور الثلاثة المذكورة في "نسيم الدعوة" التي تقتضي تغيير الدين. والحق أن هذا الكتيب الوجيز تتمة لكتاب "نسيم الدعوة".

لقد حظي بشرف تعريب هذه الكتب الداعية الإسلامي الأحمدي عبد المجيد عامر وصدرت بإشراف المكتب العربي المركزي بالتعاون مع عدد من الإخوة العرب الذين أسهموا في أعمال المراجعة والتدقيق، ونخص بالذكر السيد خالد عزام، والدكتور وسام البراقي المحترمين.

نتقدم بخالص الشكر لكل مَن ساهم في نشر هذا الكتاب داعين أن يجزيهم الله أحسن الجزاء ويجعله في ميزان حسناهم، كما نسأل الله تعالى أن يوفق القراء الكرام للاستفادة من هذه الكنوز، ويجعلها سببا لهداية الباحثين عن صراط الله المستقيم، آمين.

الناشر

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب



ٹائیٹل بار اول

التبليغ

يا أهل دار الندوة تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نحكّم إلا القرآن - ولا نقبل إلا ما وافق قول الرحمان - وهذا هو الدين القيّم أيها المتقاعسون - وإن القرآن كتاب خُتم به الهدى - وفيه كتب قيمة وخبر ما يأتي ومضى فبأيّ حديث بعده تؤمنون - اعلموا أن الخير كله في القرآن ثم الأحاديث ما خالفه فاحذروها أيها المتقون وكلما خالف هدى القرآن وقصصه فاعلموا أنه سقط ولا يقبله إلا الفاسقون - وإني أنا المسيح وبالحق أمشي وأسيح وله أنادي وأصيح وأذكّركم أيام الله فهل أنتم تتذكرون - وإني جئتكم ببيّنة من ربي وعُلّمت ما لم تعلموا وأُبصرت ما لا تبصرون - أتكذبونني ولا تجيئونني ولا تسئلون إن عيسى مات ولا يجيء بأحياءكم فلا تكذّبوا القرآن أيها المجترئون وإن كان نازلا قبل يوم القيامة كما تزعمون فلم أنكر لما استل عن ضلالة النصارى واعتذر بعدم العلم كما أنتم تدرسون ولم يقل إني أعلم ما أحدثوا بعدي بما رُددت إلى الدنيا ورأيت ما كانوا يعملون - وكان الحق أن يقول رب إني رجعت إلى الدنيا بإذنك ولبثت فيهم إلى أربعين سنة فوجدتهم يعبدونني وأمّي وعليه يصرّون فكسرت صلبانهم وأصلحت ما نهم وقتلت كثيرا منهم ثم دخلوا في دين الله وهم يتضرعون - فاسئلوا عيسى كم لم يكذب يوم القيامة ويخفي شهادة كانت عنده كأنه من الذين لا يعلمون - وإني أقسم بالله أني منه فعظموا حلف الله ألكنتم تتقون - وإني أعطيت كثيرا من الآيات وسنّ القرآن طريقا آخر دوني فأين تفرّون - وقد جئت على رأس المائة كما أنتم تعلمون - وخُسف القمر والشمس في رمضان - ليكونا آيتين لي من ربي الرحمان - ثم أنزل الطاعون لعل الناس يتفكرون - فما لكم لا تنظرون إلى آي الله وتغلقون عيونكم ما تنظرون - أيها الناس عندي شهادة من الله فهل أنتم تؤمنون - أيها الناس عندي شهادات من الله فهل أنتم تسلمون - وإن تعدّوا شهادات ربي لا تحصوها فاتقوا الله أيها المستعجلون - أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون - أنا نُصرنا من ربنا ولا تُنصرون من الله أيها الخائنون - أقتلتموني بفتاوى القتل ودعاوي رفعتموها إلى الحكام ثم لا تندمون - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ولن تعجزوا الله أيها المحاربون - والله إني صادق ولست من الذين يختلقون - أتنكرونني وقد تمت عليكم الحجة ألا تردون إلى الله أو أنتم لمسيحكم خالدون - ألا تتدبرون سورة النور والتحريم والفاتحة أو تكرهون قراءتها أو على أنفسكم تحرّمون - وهذه رسالة مني أهديت لكم يا أهل الندوة لعلكم تفتحون عيونكم أو تلوح عليكم حجة الله ولا تعتذرون بعدها ولا تختصمون - وإني سمّيتها

تحفة الندوة

وإني أرسل إليكم رسلي وأنظر كيف ترجعون - فإني أدعو الله أن يجعلها مباركة لقوم لا يستكبرون - ربنا اشهد إني بلّغت ما أمرت فاكتب والذين يبلغون رسالاتك ولا يخافون آمين ثم آمين

مطبع ضياء الاسلام قاديان میں باہتمام حاجی حکیم فضل دین صاحب طبع ہوا

تعداد جلد ۱۶۰۰

نص غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتيب

التَّبْلِيغ

يَا أهل دار الندوة؛ تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بَيننا وَبَينكُم أنْ لاَّ نُحَكِّمَ إلاَّ القرآن، وَلا نقبل إلا ما وافق قول الرحمن. وهذا هو الدين القَيِّم أيّها المتقاعسون، وإن القرآن كتاب خُتم به الهُدى، وفيه كتبٌ قيّمة وخبر ما يأتي وما مضى، فَبِأيِّ حديث بعده تؤمنون؟ اعلموا أن الخير كلّه في القرآن وشرّ الأحاديث مَا خالفه فاحذروها أيها المتقون. وكل ما خالف هدى القرآن وقصصه فاعلموا أنه سقط ولا يقبله إلاّ الفاسقون. وَإنّي أنا المسيح وبالحق أمشي وأسيح ولله أُنادي وأصيح، وَأذكِّركم أيّام الله فهل أنتم تتذكّرون؟ وإنّي جئتكم ببيّنة من ربّي وعُلِّمتُ ما لم تُعلَّموا وأبصرت ما لا تُبصرون. أتكذبونني ولا تجيئونني ولا تسألون أن عيسى مات ولا يُحيى بإحيائكم؟! فلا تكذّبوا القرآن أيّها المجترئون. وإن كان نازلاً قبل يوم القيامة كما تزعمون، فَلِمَ أنكر لما سئل عن ضلالة النصارى، واعتذر بعدم العلم كما أنتم تدرسون، و لم يقل إني أعلم ما أحدثوا بعدي بما رُدِدْتُ إلى الدنيا ورأيتُ ما كانوا يعملون؟! وكان الحق أن يقول ربّ إنّي رجعتُ إلى الدنيا بإذنك ولبثتُ فيهم إلى أربعين

سنة فوجدهم يعبدونني وأمِّيَ وعليه يُصِرُّون. فكسرتُ صلبانهم وأصلحتُ زمانهم وقتلت كثيرا منهم فدخلوا في دين الله وهم يتضرّعون. فاسألوا عيساكُم لِمَ يكذب يوم القيامة ويُخفي شهادة كانت عنده كأنه من الذين لا يعلمون؟! وإني أقسم بالله أني منه فعظموا حلف الله إن كنتم تتقون. وإني أعطيت كثيرا من الآيات، وسدّ القرآن طريقًا آخر من دوني فأين تفرّون؟ وقد جئت على رأس المائة كما أنتم تعلمون. وخُسفَ القمر والشمس في رمضان، ليكونا آيتين لي من ربّي الرّحمن ثم أنزل الطاعون لعلّ الناس يتفكرون. فما لكم لا تنظرون إلى آي الله أو تعاف عيونكم ما تنظرون؟ أيها الناس، عندي شهادات من الله فهل أنتم تؤمنون؟ أيها الناس، عندي شهادات من الله فهل أنتم تسلمون؟ وَإنْ تَعُدُّوا شهادات ربّي لا تحصوها فاتقوا الله أيها المستعجلون. أفَكُلَّمَا جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ففريقا كذّبتم وفريقا تقتلون؟! إنا نُصِرنا من ربّنا ولا تُنْصَرُون من الله أيها الخائنون. أقتلتموني بفتاوى القتل أو دعاوى رفعتموها إلى الحكّام ثم لا تتندمون؟ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ولن تُعجزوا الله أيّها المحاربون. وَوَاللهِ إنّي صادق ولست من الذين يختلقون. أتُنكرونني وقد تمت عليكم الحجّة؟ ألا تُردّون إلى الله أو أنتم كمسيحكم خالدون؟ ألا تتدبرون سورة النور والتحريم والفاتحة أو تَكْرَهُون قراءتها أو على أنفسكم تُحرّمون؟ وهذه

رسالة منّي أهديتُ لكم يا أهل الندوة لعلّكم تفتحون عيونكم أو تــتمّ عليكم حجة الله فلا تعتذرون بعدها ولا تختصمون وإني سميتها:

تُحْفَـةُ النَّــدْوَةَ

وإنّي أرْسل إليكم رُسلي وأنظر كيف يرجعون.

وإنّي أدعو الله أن يجعلها مباركة لقوم لا يستكبرون. ربّ اشهد أنّي بلَّغْتُ مَا أمَرْتَ فاكتبني في الذين يُبَلّغون رسالاتك ولا يخافون، آمين ثُمَّ آمين.

****

طُبع في مطبعة ضياء الإسلام بقاديان

تحت إشراف حكيم فضل دين المحترم

عدد النسخ ١٦٠٠

[١] قصيدةُ مير ناصر نواب الدهلوي المحترم

إن كتاب "سفينة نوح" أي دعوة الإيمان كتاب عجيب وعظيم.

بقراءته يتجدد دين المرء ويزداد إيمانه رونقا وبهاء.

هو أفضل من ماء الحياة، وينفخ الحياة في الأرواح الميتة.

لا أستطيع أن أؤدي حق ثنائه، ولساني يعجز عن وصفه كما يجب.

هذا الكتاب يهدي الذين ضلوا الطريق، وهو مدعاة لهدايتهم.

إنه سند عديمي الحيلة، ويمثّل علاج من كان مستعصي العلاج

لا مثيل لما يتضمنه من مضامين، وهو معجزة من معجزات رسول الله.

به تنحل مشكلات الدين، إذا قرأه الإنسان بإمعان.

بواسطته يأتي العلم ويزول الجهل، وبه تزول الأوهام والشبهات.

هو ليس كالبساتين الدنيوية بل هو بمنزلة الجنة التي تدور فيها الحور والغلمان.

---

١ هذه ترجمة قصيدة أردية نظَمها مير ناصر نواب الدهلوي، مقرظا كتاب "سفينة نوح"، وعندما نُظمت القصيدة كان كتاب "سفينة نوح" قد نُشر سلفًا بينما كان كتاب "تحفة الندوة" في طور الطباعة، فأمر المسيح الموعود عليه السلام بنشرها معه، وقد ظلّت في موقعها هذا منذ الطبعة الأولى. (الناشر)

فيها تجري أنهار اللبن والعسل، وتوجد فيها القصور الشوامخ في كل مكان.

لا نظير لهذه السفينة المجانية، ولا يطلب أحد الأجرة هنا.

نحن فداءُ ربانٍ أعطانا هذه السفينة.

وفِّقنا يا ربنا، فإنك أنت الرحيم والرحمن.

حتى نبتعد من أهواء النفس، ويفر منا الشيطان فرارا.

وأن نعمل بأوامرك ليل نهار، وأن نحمل نير أوامرك من الأعماق.

نرجوك أن ترضى بنا ووفقنا أن نكون راضين بك حين تفارق الروح جسدنا.

إن عبدك المتواضع والمقصر "ناصر" يعوذ بك.

ويلتمس منك رحمتك، ويطلب منك فضلك.

ارفع عنه أثقاله يا ربّ، وسهِّل عليه طريقك.

وأدخله في الأتقياء، ارحمه ارحمه يا ربي القدوس.

استُر عيوبه يا ستار، فإنّ ظنّه بك حسَن.

عالِجْ ألـــمَه سريعا ببركة محمد وأحمد.

إنه خادم الإمام من الأعماق، فانصره في السر والعلن.

الكتيب

تحفة النـــدوة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي

[١] "تأتيني النصرة من الله كل حين، أين أهل البصيرة ليروهـا بعـين مفتوحة؟"

لقد وصلني اليوم بتاريخ ٢/١٠/١٩٠٢م إعلان منشور مـن قِبـل الحافظ محمد يوسف، المتقاعد، موجَّها إلي كتب فيه عني بأني اعترفـت ذات مرة شفهيا أن الذين ادّعَوا أنهم أنبياء أو رسل أو كونهم مأمورين من نوع آخر عاشوا مع افترائهم هذا الذي كانوا يهـدفون منـه إلى إضلال الناس، إلى ٢٣ عاما- وهي مدة بعثة النبي ﷺ الكاملـة- بـل أطول منها أيضا. ثم يقول الحافظ المحترم في الإعلان نفسه بأن صـديقه

[١] ترجمة بيت فارسي. (المترجم)

المدعو "أبو إسحاق محمد دين" ألّف في تأييد كلامه هذا كتيبا بعنوان: "قطع الوتين"، أورد فيه نقلا عن كتب التاريخ أسماء المدعين الكاذبين مع مدة ادّعائهم. يتلخص هذا البيان كله في أن الحافظ المذكور لا يؤمن بآية القرآن: ﴿لَوْ تَقَوَّلَ﴾ولا يريد أن يؤمن بها، ولا يعتقد بالآية: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾[1] ولا يريد أن يعتنق هذا الاعتقاد بل إن الكتيب "قطع الوتين"، رفض هذه الآيات القرآنية وكأن كل الآيات مثل: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[2] والآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾[3]، والآية: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾[4] منسوخة لديه وليست واجبة العمل بها الآن. ومن جملة تلك الآيات آية يقول الله تعالى فيها: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾. فكأن كل هذه الآيات نُسخت بكتيّب "قطع الوتين". وهذا يُثبت أيضا كأن وعيد الله كله- الذي جاء في الآيات المذكورة آنفا عن المفترين- كان يخالف الواقع تماما. ولو كان هؤلاء الأنبياء عليهم السلام مفترين -والعياذ بالله- لما أُهلكوا بحسب قول الحافظ، كأنه ليس في

---

[1] غافر: ٢٩

[2] طه: ٦٢

[3] النحل: ١١٧

[4] البقرة: ٦٠

ملكوت الله أيّ نظام للبطش بالمفترين بل ينطلي فيه كل كيد وزيف[1]، ولبقيت إمكانية أنه لو افترى نبي على الله لما أصابه عـــذاب في الحيـــاة الدنيا. وكأن قوانين الناس أقوى من قوانين الله تعالى إذ يُـــبطش فيهـــا بمختلقي المستندات الزائفة فورا ويعاقَبون. فهنا حُلّت قضـــية أخـــرى أيضا؛ أن نيل النبي ﷺ مهلة ٢٣ عاما، أي إلى اكتمال القرآن الكـــريم، وعصمته من القتل على الرغم من المساعي المضادة الكـــبيرة، ووفاتـــه بقضاء الله تعالى بعد إكمال فترة حياته -كما هناك نبوءة عن حيـــاتي أيضا إلى ثمانين عاما إلى أن أنجز كُلَّ مهماتي- فهذه كلها أمور ليســـت بمعجزة في نظر الحافظ، ولا يمكن أن يُعَدّ أحد صـــادقا نتيجـــة تحقـــق نبوءات مثلها.

---

[1] لما كان ممكنا عند الحافظ أن ينال المتنبئون أيضا تأييدا لدرجة أنهم يبقون علـــى قيد الحياة إلى أن يمكِّنوا دينهم في الأرض على الرغم من بذل أعدائهم قصـــارى جهودهم، فبموجب هذا المبدأ سيصير جميع الأنبياء الصادقين رمادا وترابا ويلتبس الحق بالباطل. والواضح أن إبقاء المبعوث حيا وتمكين الدين على الأرض في وجه مئات النيَّات الفاسدة والمكايد والمساعي الخبيثة لآلاف الأعداء معجزةٌ عظيمة من الله تعالى يُعطاها الأنبياء الصادقون والكمَّلُ. ولو اشترك المتنبئون أيضا في هـــذه المعجزة لما عادت المعجزة أيضا جديرة بالاعتداد، ولما بقيت علامة قاطعة علـــى صدق نبي صادق. واها لك يا أيها الحافظ! فقد قضيت على الإسلام قضاء نهائيا. فليكن الحافظون مثلك!! منه.

فحاصل الكلام أننا -سواء أكنت أنا أو النبي ﷺ- لا يمكن أن نعُـــدّ هذه الحماية والعصمة من الله تعالى دليلا على صدقنا بحسب مـــذهب الحافظ، بل الكاذب أيضا يستطيع أن يشترك فيهما. ولكن هذا يستلزم بطلان بيان القرآن الكريم كله لأنه ثابت منه أن كل مفتر يُـــبطَش بـــه ويهان ويهلك ولن يفلح أبدا. هذا ما يقبله العقل الإنســـاني أيضـــا أن الكذاب الذي يريد أن يدمّر نظام الله عمدا يجب أن يهلك لا محالـــة، وهذا ما ورد بكثرة في كتب الله السابقة أيضا. ولكن الحافظ المحتـــرم يقول إن كثيرين قد ادّعوا الوحي والنبوة كذبا وزورا، وظلت سلســـلة دعاواهم جارية حتى ثلاثين سنة أيضا، وظلوا مصرين على نبواتهم، ولم يتخلوا عن تقديم وحيهم المختَلق، إلى آخر لحظة في حياتهم حتى مـــاتوا على الكفر نفسه، وبارك الله في أعمارهم وأعمـــالهم ولم يعـــذّبهم، ولم يثبت أيضا بأنهم تابوا مرة ولم تُنشر توبتهم في البلاد، ولم يعرف الناس عن إسلامهم ثانية. فيقول الحافظ بأن كل هذه الأمور قد أُثبتت جيـــدا في كتيب "قطع الوتين". ويقول أيضا بأنه لا يريد أن يأخذ جائزة خمس مئة روبية بل يريد عوضا عن ذلك أن يعطِي المرزا، ويقصدني أنا، إقرارا خطيا -في جلسة سنوية لـــ "ندوة العلماء" التي ستُعقد في أمرتسر بدءا من ١٩٠٢/١٠/٩م وسيحضرها مشاهير علماء الهند- أنه إذا كانـــت النظائر التي قدِّمت في كتيب "قطع الوتين" صحيحة وثبتت على محـــك

الامتحان بحسب رأي الحَكَم أي عند علماء الندوة، بمعنى أن تقبل الندوة أن العمر الذي رُزقتُه منذ بدء الوحي، وكما أدّعي نزول وحي الله عليّ بكل انكشاف وبكل قوة ويقين، وكما كتبتُ آلاف الكلمات وقلت بأنها نزلت عليَّ وحيا من الله وأشعْتها في العالم، كذلك أشاعها هؤلاء الناس وافتروا على الله ومع ذلك لم يهلكوا، بل تكوّنت جماعتهم أيضا مثلي فيجب عليّ أن أتوب في ذلك المجلس.

أقول: إن علماء "الندوة" -إذا كان الله قد أعطاهم البصيرة والتقوى والعدل والوقت أيضا للتفكير- يستطيعون أن يُصدروا فتوى صائبة بقراءة بياني وكُتيب الحافظ المذكور "قطع الوتين". ولكن لا أستطيع الذهاب إلى أمرتسر أثناء انعقاد "الندوة" لأني لا أحسن الظن بهم. الحق أني لا أعُدّهم أتقياء -إلا إذا وهب الله أحدا منهم التقوى في المستقبل فهذا فضل منه- ولا أراهم عارفين بحقائق القرآن الكريم لأن ذلك يتوقف على: ﴿لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ﴾[١] فأنى لي أن أحتكم إليهم؟ غير أنه إذا أتى بعض المشايخ المنتخَبين منهم إلى قاديان باحثين عن الحق فإني أستطيع أن أبلِّغهم الدعوة شفهيا، وإلا فإن نظام الله جارٍ وليس بوسع معارضٍ أن يعرقله. ثم ما معنى الاستفتاء من المعارضين أصلا؟ غير أنني أنتهز من خلال إعلان الحافظ هذا فرصة لتبليغ "الندوة". فليعلم الحافظ

---

[١] الواقعة: ٨٠

أن القصص السخيفة وغير الأصلية المذكورة في الكتيب "قطع الـــوتين" عن المتنبئين ليست جديرة بالاعتداد قط ما لم يثبت أن المفترين أصـــروا على ادّعائهم هذا ولم يتوبوا. وأنّى يثبت هذا الإصرار ما لم يتبين مـــن وثيقة من الزمن نفسه أنهم ماتوا على الافتراء نفسه والادعاء الكـــاذب بالنبوة، ولم يُصلّ عليهم صلاة الجنازة أحد من المشايخ في ذلك الـــزمن ولم يُدفَنوا في مقابر المسلمين؟! كذلك لا تَثبت هذه الحكايات مـــا لم يَثبت أين الآن تلك المفتريات التي عدُّوها كلام الله والتي هي افتراء منهم على مدى عمرهم؟ ومَن عنده كُتُب وحيِهم لِيُفحَص فيها إنْ كانوا قد ادّعوا وحيًا قطعيا ويقينيا وبموجبه عدَّ أيٌّ منهم نفسه نبيّ الله ظليًّـــا أو حقيقيًّا، وعدَّ وحيَه معادلا لوحي الأنبياء الآخرين عليهم السلام مـــن حيث كونه من الله حتى ينطبق عليه مفهوم: ﴿تَقَوَّلَ﴾؟

لا يعلم الحافظ المذكور أن حُكم ﴿تَقَوَّلَ﴾ يتعلق بالقطع والـــيقين. فكما بيّنتُ مرارا أن الكلام الذي أسرِده هو كلام الله قطعا ويقينا كما أن القرآن والتوراة كلام الله. وأنا نبي الله ظليًّا وبروزيًّا، وطاعتي واجبة على كل مسلم في الأمور الدينية، وواجب عليه أن يؤمن بي مســـيحًا موعودًا. وكل من بلغته دعوتي -وإن كان مسلمًا- ولا يحسبني حَكَما عليه ولا يؤمن بي مسيحا موعودا ولا يَعُدّ وحيي من الله تعالى، فهـــو جدير بالمؤاخذة في السماء؛ لأنه أنكر الأمر الذي كان عليه قبولـــه في

حينه. لا أقول فقط بأنني لو كنتُ كاذبا لهلكتُ، بل أقول أيضا بأني صادق مثل موسى وعيسى وداود والنبي ﷺ وقد أرى اللهُ تعالى أكثر من عشرة آلاف آية لتصديقي. لقد شهد لي القرآن، وشهد لي رسول الله ﷺ، وحدد الأنبياء السابقون زمن بعثتي، وهو هذا العصر. وكذلك حدد القرآن الكريم أيضا زمن بعثتي، وهو هذا العصر. وشهدت لي السماء والأرض أيضا، بل ما من نبي إلا وقد شهد لي.

أما ما قلتُ بأن لي عشرة آلاف آية؛ فقد قلتُ ذلك على سبيل الحذر والحيطة، وإلا أقول حلفا بالله الذي نفسي بيده أنه إذا كان هناك دفتر من ألف جزء[1] وهممتُ بكتابة أدلتي فيه، فإني على يقين بأن الكتاب سينتهي ولن تنتهي الأدلة. يقول الله تعالى في كلامه المقدس: ﴿إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[2] أي إذا كان كاذبا سيهلك على مرأى منكم وسيهلكه كذبه، ولكن إذا كان صادقا فسيكون بعضكم عرضة لنبوءاته ويرحلون من دار الفناء هذه على مرأى منه. فلكم أن تختبروني وتُمحِّصوا ادّعائي بحسب هذا المعيار المذكور في كلام

[1] القصد من الجزء هنا ليس الجزء المتعارف عليه بوجه عام، بل هو الملزمة الطباعية، إذ يقسم كل كتاب إلى ملازم تُطبع على حدة ثم تُجمع. (المترجم)

[2] غافر: ٢٩

الله. أليس صحيحا أن هؤلاء المشايخ لم يدّخروا جهدا لتدميري؟! وتورّمت أقدامهم في سبيل إعداد فتاوى التفكير، وسبقوا الشيعة في نشر إعلانات مليئة بالشتائم والسباب، وقد رُفعت ضدي قضايا القتل الزائفة وأُكرِهتُ على المثول أمام المحاكم عدة مرات نتيجة توجيه التهم الجنائية إليّ. وقد مورست القسوة على المقبلين عليّ لدرجة لا يوجد نظير لهذا التحقير والإهانة والإيذاء إلا في حياة الصحابة التي قضوها في مكة. وبعض من المنتمين إليّ في بلاد أخرى قُتلوا في بلادهم.

باختصار، لا يسع أحدا إنكار أن المعارضين أخرجوا كل ما كان في جعبتهم للقضاء عليّ ولمنع الوافدين إليّ، ولم يدّخروا في هذا السبيل جهدا بل قام بعض هؤلاء المشايخ بتصرفات وقحة كثيرة؛ فقد وشوا بي كذبا وزورا وحرّضوا الحكومة دون سبب بأمور تنافي الحقيقة. ولكن هل تعلمون ماذا كانت نتيجة كل ذلك في الأخير؟ لقد حصل أني أحرزتُ تقدما تلو تقدم. عندما هبّ هؤلاء القوم لتكذيبي وتكفيري وتنبأوا من عند أنفسهم أنهم سيقضون عليَّ سريعا لم تكن معي حينها جماعة كبيرة بل كان معي بضعة أشخاص فقط يُعَدّون على الأصابع. بل كنت وحيدا في زمن كان فيه كتاب "البراهين الأحمدية" قيد الطبع. من يستطيع أن يُثبت أنه كان معي حينها حتى شخص واحد؟ ففي ذلك الزمن أخبرني الله تعالى في أكثر من خمسين نبوءة بأنك اليوم وحيد،

ولكن الوقت قريب حين سيتبعك عالَـمٌ. وسيأتي وقت تنال فيه عروجا لدرجة أنْ سيتبارك الملوك بثيابك لأنك ستُبارَك. سبحان الله، يفعل ما يشاء! سيَنشر جماعتَك في الأرض، ويبارك فيهم، ويزيدهم ويذيع إكرامهم في الأرض ما ثبتوا على عهدهم.

فانظروا الآن كيف أن النبوءات المذكورة في البراهين الأحمدية التي كتبتُ ترجمتها، أُنبئ بها في زمن لم يكن معي ولا واحد من هذه الدنيا وحينها علّمني الله تعالى دعاء: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[1]، وهذا الدعاء الإلهامي مسجَّل في "البراهين الأحمدية". فكتاب "البراهين الأحمدية" أيضا يشهد عن ذلك الزمن أنني كنت حينها خامل الذكر. أما اليوم فتوجد جماعتي في أماكن مختلفة بعدد يربو على مائة ألف على الرغم من مساعٍ معادية. هل هذه معجزة أم لا أنْ قد عُمل بجميع أنواع المكايد والحيل في معارضتي وإسقاطي ولكن فشل وخاب المشايخ كافة وأشياعهم صغارا كانوا أم كبارا؟! إن لم تكن هذه معجزة فليبيّن مشايخ "الندوة" أصحاب العباءات الطويلة ما هي المعجزة إذًا؟ لو لم أكن أنا صاحب المعجزات لكنتُ كاذبا، ولو لم يثبت موت ابن مريم من القرآن لكنتُ كاذبا. وإن لم يُدخل حديثُ المعراج ابنَ مريم في الأرواح الميتة فأنا كاذب. وإن لم يقل القرآن الكريم في سورة النور

---

[1] الأنبياء: ٩٠

أن خلفاء هذه الأمة سيكونون منها فأنا كاذب. وإن لم يسمِّني القــرآن الكريم "ابنَ مريم" فأنا كاذب.

فيا أيها الناس الفانون انتبهوا وتفكّروا، ما معنى المعجزة ســوى أن جميع النبوءات المذكورة في "البراهين الأحمدية" التي أُنبئ بها قبــل ٢٢ عاما من اليوم قد تحققت على الرغم من كل هــذا العــراك والجــدال والمعارضة؟ ولا يسعكم أن تثبتوا أنه كان معي في ذلك الــزمن حــتى شخص واحد، أما الآن فلو أُسكِن أفرادُ جماعتي في مكان واحد لكنت على يقين أن تلك المدينة ستكون أكبر من مدينة أمرتسر، مع أنني كنت وحيدا في زمن طباعة "البراهين الأحمدية" حين أنبأتُ بهذه النبوءة. لولا معارضة المشايخ لما تضاعفت شوكة تلك النبوءة. أما الآن فقد ضاعفتْ جهودُ المشايخ وأشياعهم المعاديةُ شوكةَ هذه المعجزة. وبدلا من أن أُنقَذ فقط لكوني صادقا من العلامة المذكورة في الآية: ﴿إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾[1] فقد تحققت أيضا بالإضافة إلى ذلك نبوءات عظيمة نُشرت في العالم قبل عشرين أو اثنين وعشرين عاما من الآن بواســطة الــبراهين الأحمدية، وحالفني آلاف من أهل الفضل والكمال.

ثم انتبهوا إلى الجزء الثاني من الآية: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْــضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾، كيف تحقق هذا المعيار أيضا بصورة إعجازيــة. فقــد

[1] غافر: ٢٩

خاطبني الله تعالى قائلا: **"إني مهين من أراد إهانتك"** أيْ كلّ من أراد إهانتك لن يموت ما لم ير إهانته هو بنفسه. والآن اسألوا المشايخ هل رأوا مقابلي ذلة أم لا بأمر من الله تعالى؟ مَن يستطيع مِن الذين حاولوا إهانتي أن يقول بأن النبوءة القرآنية: ﴿يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ لم تتحقق إظهارا لصدقي؟ بل وضّح القرآن الكريم بإيراد لفظ ﴿بَعْضُ﴾ أن نموذج البعض فقط يكون كافيا عند نبوءة الوعيد، أما في حالتي أنا فهذه النماذج ليست بقليلة. ألا يكفي المعارضين ذلةً وإهانة أن "غلام دستغير" دعا عليّ في الصفحة ٢٧ من كتابه "فتح رحماني" بكلمات عادية، أي دعا على الكاذب بين الفريقين ثم مات بعد بضعة أيام[١]؟ كذلك تفوّه مقابلي "محمد حسن" من قرية "بهين" في كتابه قائلاً: "لعنة الله على الكاذبين"، ثم لم يتمكن من إكمال كتابه إلا ومات بعذاب شديد. وقال "بير مهر علي شاه" في كتابه: "لعنة الله على الكاذبين" بإزائي، فأُخذ[٢] بجريمة السرقة فورا، حيث سَرق كتاب المتوفَّى محمد

[١] انظروا، أليست بمعجزة أن الشيخ الذي استصدر فتوى تكفيري من بعض المشايخ القليلي الفهم من مكة قد مات بنفسه بعد المباهلة. منه.

[٢] لقد ألصق بي "مهر علي" تهمة سخيفة ومبنية على الجهل معتمدا على نقد المتوفَّى محمد حسن، وقال إن كتابي يقتبس مما نُقلت في مقامات الحريري وغيرها أيضا من أمثال العرب أو التعابير المعروفة، مع أنها لا تزيد على سطرين أو ثلاثة أسطر، وكأنها سرقة في نظر هذا الغبي! فكان ضروريا حينها أن تتجلى النبوءة:

حسن بحذافيره، ولكنه قال كذبًا بأنه ألّفه بنفسه، وسماه "سيف جشتيائي". وكانت الطامة الثالثة أن المتوفّى محمد حسن نقد كتابي: "إعجاز المسيح" ثم ثبت أن طعنه كله كان خاطئا. ولم يتمكّن من مراجعة كتابه إلا ومات. أما هذا الغبي الذي يجهل اللغة العربية تماما فقد حسِب هذا النقد كله صحيحا. قولوا الآن بالله عليكم، أليس هذا أيضا نوعا من الموت أم لا، أنْ سرَق مسوّدة كتاب ثم عُثر على سرقته، ثم كذَب كذبا صريحا مع كونه صاحب الزاوية، وقال بأنه ألّف الكتاب بنفسه. أضفْ إلى ذلك أن كلّ ما سرقه كان أخطاء وكأنها نجاسة. هل عذاب جهنم أكبر من هذا العذاب[١]؟

أقول للحافظ ملخَّصًا للكلام بأنه لن يكون كافيا لتوبتي أن يُعثَر كافتراض محال على كتاب موحى به لمن ادّعى النبوة ويعُدّه -كما

"إني مهين من أراد إهانتك". فثبت أنه سرق الكتاب كله، وكذب واتّبع نقدا خاطئا ولم ينتبه إلى أنه خطأ، وبذلك أُخذ بثلاث جرائم فادحة. أليست هذه معجزة؟ منه.

[١] أؤلِّف حاليا كتابا قيِّما بعنوان "نزول المسيح" حول سرقة "مهر علي" هذه واعتماده على الأخطاء جهلا منه، واعتباره ابن مريم حيا وغيرها من الأمور التي صدرت منه بمقتضى جهله التام. وهذا الكتاب سوف يمزّق "طبلة جشتيائي" إربا ولن يبقى فيها إلا غبارٌ فقط يدخل عينَي "مهر علي" وسيجعل حياته مُرّة. وقد طُبع ١١ جزءا من هذا الكتاب. منه.

أدّعي أنا- وحيا من الله على غرار القرآن الكريم الذي جاء في نعته: "لا ريب فيه"، كما أقول أنا، ثم يثبت أيضا أنه مات دون التوبة و لم يدفنه المسلمون في مقبرتهم، و لم يهلك بعذاب. فبهذا القدر فقط لا يصبح مدّعٍ كاذبٌ مساويا لي؛ لأن هناك معجزات أيضا تؤيدني. ومع كل ذلك إنني على يقين تام أنه لو رحل الحافظ من هذه الدنيا في هذه المحاولة أو جعل "أبا إسحاق محمد دين" آخر، يؤلّف ألف كتيبٍ آخر مثل "قطع الوتين"، ولو انتحر شخص مثله وقطع وتينه بنفسه؛ فلن يتمكن الحافظ من تقديم مجموعة وحيه إلى ٢٣ سنة متتالية أقسم عليها مثلي بأن وحيه هذا كلام الله القطعي واليقيني كما أنشر أنا وحيي منذ ٢٣ عاما تقريبا ولا أزال أنشره إلى اليوم. وقال إن كنتُ كاذبا فعليّ لعنة الله، وقد استخدمتُ بحق نفسي الكلمات نفسها في كتبي. إنه لمن الدناءة أن أقارَن مع الكاذبين بينما أنا أملك أدلة أقوى من ذلك بكثير؛ إذ قد ظهرت آلاف المعجزات إلى الآن ويشهد عليها آلاف الناس، ويصدّقني القرآن الكريم. أليس من حقي أن أطلب منك عند المقارنة الأدلةَ نفسها بحق كاذبٍ تقدِّمُه؟ فقل لي: لمن سوايَ ظهر الكسوفُ والخسوف بحسب حديث الدارقطني؟ ولتأييد مَن تفشى الطاعون بموجب الأحاديث الصحيحة؟ ولتصديق مَن طلع المذنَّب ذو السنين؟ ولصالح مَن ظهرت الآيات عن ليكهرام وغيره؟

وإذا أرادت "ندوة العلماء" أن تُثبت أنها اسمٌ على مسمًّى فقد يكون كافيا لهدايتها – وإن لم ينل الحافظ المذكور من الهداية نصيبا– أن تطلب من الحافظ أن يقدّم على مدعي النبوة دليلا مقرونا بالحلف يثبت منه أن سلسلة وحيهم الكاذب استمرت إلى ٢٣ عاما متتالية مثل القرآن الكريم، ولتطلب الندوة من الحافظ دليلا: أين ومتى قالوا حالفين بالله بأنهم أنبياء الله في الحقيقة ووحيهم قطعي ويقيني مثل وحي القرآن الكريم؟ وكذلك يجب أن تطلب منه دليلا: هل كفِّروا بناء على فتاوى المشايخ المعاصرين لهم أم لا؟ وإن لم يكفَّروا فلماذا؟ هل كان هؤلاء المشايخ الذين أهملوا أمر الدين إلى هذا الحد، فاسقين فاجرين أم لا؟ كذلك يجب على الندوة أن تطلب منه دليلا أيضا في أية مقابر دُفنوا؟ هل في مقابر المسلمين أم منفصلين؟ وهل قُتلوا في الحكومة[١] الإسلامية أم قضوا حياتهم بأمن وسلام؟ وليُطلَب من الحافظ دليل على ذلك، ثم يجب أن يأتي بعض من علماء الندوة المختارين إلى قاديان ويأخذوا مني إثبات المعجزات والأدلة، أي نصوصا من القرآن الكريم والأحاديث. وإن لم أستطع إثبات ذلك إثباتا كاملا على غرار سنة الأنبياء عليهم السلام فأنا

[١] لا يكفي دليلا في الحكومة الإسلامية عدمُ دفن مدعي النبوة في مقابر المسلمين وعدمُ صلاة الجنازة عليه، بل لا بد من الإثبات أيضا من أجل الدلالة الكافية أنه قُتِل لردّته. ولكن إذا أثبت الحافظ ذلك فقد قبِل ما كان يهرب منه. منه.

راضٍ بأنْ تُحرَق جميع كتبي. ولكن تحمُّل هذا القدر من المشقة عمل شخص صالح جدا. أما الندوة فما حاجتها إلى تحمّل كل هذا العناء؟ وهل يخافون الآخرة حتى يتقوا الله؟ يجب أن يتذكّر كل واحد من علماء الندوة أنهم لن يعيشوا في الدنيا إلى الأبد، فالمنايا تنادي. اللهو واللعب الذي هم مستغرقون فيه ويسمونه الدينَ يراه الله في السماء، ويعلم أنه ليس دينا. إنهم راضون بالقشر وغافلون عن المغزى. هذا ليس بالنصح للدين بل هو إساءة إليه. فيا ليتهم مَلكوا أعينا ليروا بأنه قد ارتُكب في الدنيا ذنب كبير إذ رُفض المسيح المبعوث من الله. هذا ما سيعرفه الجميع بعد الممات.

يخوِّفني الحافظ قائلا بأنك إن لم تأتِ إلى أمرتسر سوف يُعَدّ ادعاؤك كاذبا في العالم كله. فأقول: يا أيها الحافظ، لمن الدنيا؟ لله أم لك؟ أنتم تعُدونني كاذبا، فماذا عساكم أن تعدُّوني بعدها أكثر من ذلك؟ فما لي ولدنياكم! فإن كل نفس تحت أقدام ربّي. فيا أيها الحافظ سيّء التفكير، ما أدراك بمدى التقدُّم الذي يحرزه لي تأييد الله تعالى! هذا التقدم لن يتوقف ولو مات الحاسد كمدا لأنه حاصل بيد الله وبحسب وعده سبحانه وتعالى وليس بيد الإنسان. لقد ملأ الله مدن البنجاب والهند بأفراد جماعتي، وقد بايعني مائة ألف شخص أو يزيدون في بضع سنين. ألا تدرك إلى الآن مَن الذي تؤيده السماء؟ أرى أن نحو عشرة آلاف شخص قد دخل

جماعتي بسبب الطاعون وحده. وإنني موقن أن الأرض ستملأ بجماعتي في أيام قلائل. فيا أيها الحافظ، ألستَ الشخص نفسه الذي قال لي دون واسطة أيّ شخص بأن المولوي عبد الله الغزنوي كان يقول "إن **نورا نزل** في قاديان ولكن أولادي حُرموا منه". من المؤسف حقا أنك آذيتَ السيد عبد الله في قبره. أكان واجبا عليك أن تختار طريقا يخالف قوله؟ ثم أليس ميان محمد يعقوب شقيقك؟ ليتك سألته، فإنه يعلن بصوت عال منذ عشرة أعوام تقريبا بأن المولوي عبد الله الغزنوي أشار إلى قاديان وحدها. قال له أيضا بأن نورا سينزل في قاديان بالذات، وهو "غلام أحمد"، وقد أخبَر أنه ما زال قائما على هذه الشهادة، ورسالته موجودة عندي. ولكنك لا تتوكل على الحافظ الحقيقي ﷻ مع تسميتك نفسك "الحافظ" وتكذب خشية القوم. إنني أفكر في كيفية كشوف السيد عبد الله التي صارت ترابا معه، ولم يقدّرها خليفته الكبير مثلك أيضا!

والسلام على من اتبع الهدى.

المؤلف مرزا غلام أحمد القادياني

١٩٠٢/١٠/٤م

****

بشارة عظيمة لجميع المسلمين والجياع للحق والعطاشى له

إن حياة عيسى عليه السلام الخارقة للعادة وصعوده إلى السماء بالجسد على عكس النصوص القرآنية وانضمامه -مع عدم كونه ميتا- إلى أرواح الأنبياء الذين خلوا ودخلوا الجنة نوعا ما؛ كل هذه الأشياء كانت في الحقيقة وصمة عار على الدين الحق، وكانت دَين عبدة المخلوق من الغرب على المسلمين الموحدين منذ مدة طويلة، وقد اعترف بهذا الدَين قليلو الفهم من المسلمين أيضا وأضافوا -كالمرابين- مبلغا كبيرا كحق واجب عليهم من قِبل المسيحيين. الأمر الذي لبِس بسببه عدة مئات آلاف من المسلمين في الهند لباس الارتداد ووقعوا رهائن في أيدي المسيحيين، ولم يعد تسديد الدَين ممكنا بحال من الأحوال حين كان المسيحيون يعلنون بأن **ربنا يسوع** صعد إلى السماء حيا، وبذلك قد أبدى قدرة عظيمة لأنه كان إلها، أما نبيكم فلم يستطع أن يطير حتى إلى المدينة عند الهجرة بل ظل مختفيا في غار ثور إلى ثلاثة أيام حتى وصل المدينة بصعوبة بالغة. ثم ما طال به العمر بل مات بعد عشر سنوات، وهو الآن في القبر تحت الثرى. أما يسوع المسيح فهو حيٌّ في السماء إلى

الأبد، وهو الذي سينــزل منها ثانية ويعدل في العالم. وكــل مــن لا يؤمن به إلــها سيؤخَذ ويُلقى في النار.

والمسلمون ليس لديهم أيّ جواب عليه بل كانوا يواجهون الخــزي والذلة خجلين وجلين. أما الآن فقد ظهرت "ألوهية" يســوع المســيح للعيان وافتضح أمر صعوده إلى السماء. فأولا: وُجد أكثر مــن ألــف كتاب في الطب ترجمها في قديم الزمان الــرومُ والإغريــقُ والمجــوس والنصارى ثم المسلمون أيضا بعدهم جميعا، ووردت فيها وصفة "مرهم عيسى". وقد ذُكر في تلك الكتب أن هذا المرهم صُــنع لعيســى؛ أي لعلاج جروحه التي أصابته على الصليب. ثم اكتُشف قبره عليه السلام أيضا في كشمير. ثم عُثر على كتب قديمة بالعربية والفارسية يعود تاريخ تــأليف بعض منها إلى ألف عام وتشهد على وفاة عيسى عليه السلام وتومئ إلى قبره في كشمير. وفي الأخير؛ إن الخبر الذي تلقيته مؤخرا قد أهلَّ اليوم **بيوم عيد** للمسلمين وهو أنه قد وُجدت مؤخرا في أورشليم ورقة مكتوبــة بالعبرية القديمة وعليها توقيع الحواري بطرس -وقد ضَــمَّنتُها بكتــابي "سفينة نوح"- ويتبين من تلك الورقة أن المسيح عليه السلام مات على هــذه الأرض بعد حادث تعليقه على الصليب بخمسين عاما تقريبــا. وقــد **اشترت شركة مسيحية هذه الورقة بمئتين وخمسين ألف روبية** لأنه قد تقرر بأنها تحمل عبارة بطرس. والمعلوم أن عدم التراجع عــن معتقــد

سخيف بحياة عيسى بعد اجتماع الأدلة القاطعة التي تشكل شهادة قوية بهذا القدر الهائل، ليس إلا جنونا؛ إذ لا يمكن إنكار الأمور المشـــهودة والمحسوسة. **فطوبى لكم أيها المسلمون أن اليوم يوم عيد لكم**. تخلَّـــوا عن المعتقدات الكاذبة القديمة واجعلوا معتقدكم بحسب القرآن الكريم. أكرر وأقول بأن هذه الشهادة الأخيرة هي شهادة أكبر حـــواري مـــن حواريي عيسى ؏. إنه لحواري قال في عبارته التي اكتُشـــفت بـــأني خادم ابن مريم وأخطّ هذه الرسالة عن عمر يناهز ٩٠ عاما حين مضت على موت ابن مريم ثلاث سنوات. وثابت من التاريخ، ويقبـــل كبـــار العلماء المسيحيون أن بطرس وعيسى ؏ وُلدا في فترة متقاربـــة وأن عمر المسيح عند حادث الصليب كان ٣٣ عاما، وكان عمر بطـــرس حينها ما بين ثلاثين وأربعين عاما. (انظروا كتـــاب: Smith's Vol 3 Dictionary, Page:2446 وموتي تيولس New Testament History وغيرهما من كتب التاريخ) وقد قرر أكابر علماء المسيحية بعد بحـــوث مضنية عن هذه الرسالة أنها صحيحة تماما، وأبدوا لها سعادة غامرة.

وكما قلتُ من قبل بأن هذه العبارة استُقبِلت باحترام كبير بحيـــث قدِّم مقابلها مبلغ هائل لورثة ذلك الراهب القديس الذي وُجدت تلك الورقة في مكتبته بعد وفاته. وأرى أن هناك دليلا قويا آخر على صحة هذه الوثيقة بأنها وُجدت في مكتبة شخص كان يعتنق الكاثوليكية، و لم

يكن يعتقد بألوهية عيسى عليه السلام فحسب بل بألوهية مريم عليها السلام أيضا، وكان قد احتفظ بهذه الأوراق ضمن أشياء مباركة قديمة فقط. ولما كانت اللغة المستخدمة فيها عبرية قديمة وكان أسلوب الكتابة أيضا قديما فقد كان يجهل محتواها كليا، **وهذه معجزة**.

وإضافة إلى هذه الشهادة الجديدة التي وُجدت بواسطة رسالة بطرس، هناك بعض الفِرق من المسيحيين المتقدمين أيضا الذين يعتقدون أن عيسى عليه السلام كان قد أُنزل من الصليب في حالة غَشْية شديدة شبيهة بالموت، وعولج في الغار إلى ثلاثة أيام وشُفي، ثم سافر إلى مكان آخر حيث عاش إلى فترة طويلة. وقد ذُكرت هذه المعتقدات بالتفصيل في كتب إنجليزية مثل:

New life of Jesus by Strauss و Modern doubt and Christian belief و Supernatural Religion وقد نقلتُ بعض المقتطفات منها في كتابي "التحفة الغولروية".

المؤلف: ميرزا غلام أحمد القادياني في ١٩٠٢/١٠/٦م

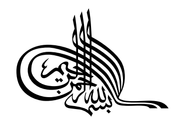
طُبع في مطبعة ضياء الإسلام بقاديان تحت إشراف الحاج حكيم فضل دين صاحب المطبعة

عدد النسخ: ١٦٠٠



التعليق
على المناظرة
بين البطالوي والجكرالوي

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام
المسيح الموعود والإمام المهدي



نحمده ونصلي على رسوله الكريم

تعليق المسيح الموعود، الحَكَم الرباني

على المناظرة

بين الشيخ أبي سعيد محمد حسين البطالوي والشيخ عبد الله الجكرالوي

ونصيحته عليه السلام لجماعته

لقد تبين من كتابات الفريقين أن السبب وراء عقد المناظرة حول العنوان المذكور هو أن الشيخ عبد الله يعُدّ الأحاديث النبوية الشريفة كمتاع رديء فقط، ويتفوه بحقها بكلمات يدخل ذكرها في سوء الأدب، أما الشيخ محمد حسين فقد قدّم مقابله حجة أنه إذا كانت الأحاديث متاعا رديئا ولغوا وغير جدير بالثقة فإن ذلك سيؤدي إلى

إبطال معظم أجزاء العبادات ومسائل الفقه لأننا نعرف تفاصيل أحكام القرآن الكريم بواسطة الأحاديث فقط، فإذا اكتُفي بالقرآن الكريم وحده فما الدليل على أن فريضة الفجر ركعتان، والمغرب ثلاث ركعات، والصلوات الثلاث الأخرى أربع ركعات من القرآن الكريم؟ هذا الاعتراض على جانب كبير من الأهمية، مع أنه يحمل في طياته خطأ أيضا، لذلك لم يردّ عليه الشيخ عبد الله ردًّا مقنعا، بل اكتفى بكلام فارغ فقط لا يستحق النقل أيضا. فكانت نتيجة هذا الاعتراض النهائية أن اضطر الشيخ عبد الله إلى اختراع صلاة جديدة لا يوجد لها أدنى أثر في أية فرقة من الفِرق الإسلامية كلها. فقد شطب من الصلاة "التحيات" والصلاةَ على النبي ﷺ والأدعية المأثورة الأخرى كلها التي تُقرأ في الصلاة، واستبدل بها آيات قرآنية فقط. كذلك أجرى في الصلاة تغييرات أخرى كثيرة لا حاجة إلى ذكرها هنا. ولعلّه غيّر في مسائل الحج والزكاة وغيرها أيضا. ولكن هل صحيح أن الأحاديث شيء رديء ولغوٌ كما زعم الشيخ عبد الله، والعياذ بالله؟ كلا.

الحق أن أحد الفريقين اختار طريق الإفراط والآخر طريق التفريط. الفريق الأول أي الشيخ محمد حسين، وإن كان على الصواب في قوله بأن الأحاديث النبوية المتصلة المرفوعة ليست بالتي يمكن اعتبارها رديئة ولغوا، ولكنه من جانب آخر نسي مبدأ حفظ المراتب ورفَع مرتبة

الأحاديث إلى منارة عالية، الأمر الذي يستلزم الإساءة إلى القرآن الكريم وإهانته ويضطر المرء إلى إنكاره. فلا يعير محمد حسين لمخالفة كتاب الله ومعارضته أدنى اهتمام، ويؤثر قصة من الحديث على قصص وردت في كتاب الله بصراحة تامة، ويقدّم بيان الحديث على بيان كلام الله في كل الأحوال. وهذا خطأ صريح وانحراف عن جادة العدل والإنصاف. يقول الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[1]. إن تنكير لفظ "حديث" هنا -الذي يفيد العموم- يبين بكل جلاء أنه يجب أن تردُّوا الحديث الذي يعارض القرآن الكريم وينافيه إن لم يكن من سبيل للتوفيق بينهما. وفي كلمة "حديث" في الآية المذكورة نبوءة أيضا تترشح منها إشارةً، وهي أن الله تعالى يشير فيها إلى أنه سيأتي على هذه الأمة زمان يهجر فيه بعضُ أفرادها القرآنَ الكريم وسيعملون بالأحاديث التي بياناتها تعارض بيانات القرآن الكريم.

فحاصل الكلام أن فِئة أهل الحديث تسلك في هذا الموضوع مسلك الإفراط؛ حيث يقدّمون بيان الحديث على شهادة القرآن الكريم. ولو عدلوا واتقوا لاستطاعوا توفيق مثل هذه الأحاديث مع القرآن الكريم، ولكنهم رضوا بترك كلام الله القاطع واليقيني وهجره، ولم يرضوا بترك

---

[1] الجاثية: ٧

أحاديث تعارض بياناتُها كتابَ الله أو بأن يوفِّقوا بينها وبين كتاب الله. فهذا هو سبيل الإفراط الذي يسلكه الشيخ محمد حسين.

أما خصمه الشيخ عبد الله فيسلك مسلك التفريط إذ ينكر الأحاديث نهائيا. والحق أن إنكار الأحاديث إنما هو إنكار القرآن الكريم نوعا ما؛ لأن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1]. فما دام حب الله منوطا باتّباع النبي ﷺ، وما دام الحديث أحد وسائل الاطّلاع على قدوة النبي ﷺ العملية التي يتوقف عليها اتّباعه؛ لذا فإن الذي يهجر الحديث إنما يهجر طريق الاتّباع أيضا. أما قول الشيخ عبد الله بأن جميع الأحاديث مجموعة من الشكوك والظنون فقط فناتج عن قلة التدبر. والحق أن هذه الفكرة متأصلة في تقسيم المحدثين الخاطئ والناقص الذي خدع أناسا كثيرين؛ إذ يقسمون الموضوع قائلين بأن في أيدينا شيئين: كتاب الله والحديث، والحديث قاضٍ على كتاب الله وكأن الأحاديث تحتل كرسي القاضي والحاكم، والقرآنُ واقف أمامها كالمستغيث وهو تابع لحكم الحديث! لا شك أن مِن شأن هذا القول أن ينخدع به كل شخص فيقول: ما دامت الأحاديث قد جُمعت بعد مائة وخمسين عاما بعد النبي ﷺ ولا تخلو من مسّ أيدي الناس، وإلى جانب ذلك هي ظنية ومجموعةُ أخبارِ آحادٍ، أما

[1] آل عمران: ٣٢

المتواتر فيها فنادر بل في حكم المعدوم، ثم هي قاضية على القرآن الكريم مع هذا كله! فهذا يستلزم أن الإسلام كله مجموعة ظنيات. والمعلوم أن الظن ليس بشيء يُعتدّ به. والذي يتشبث بالظن البحت فهو منحط كثيرا عن مقام الحق السامي. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[1]. أيْ أن الظن ليس بشيء مقابل حق اليقين. فبذلك سيفلت القرآن الكريم من اليد لأن العمل به ليس واجبا دون فتاوى القاضي المحترم بل هو متروك ومهجور. أما القاضي المحترم أي الأحاديث فهي لابسة لباسَ الظن الوسخَ فقط، ولا يمكن أن تُرفع عنه إمكانية الكذب بأي حال لأن من تعريف الظن أنه لا يخلو من إمكانية الزور. ففي هذه الحالة لم يبق القرآن في يدنا، أما الحديث أيضا فليس جديرا بالثقة. فكأن كليهما أُفلتَ من اليد. هذا هو الخطأ الذي أهلك معظم الناس[2].

---

[1] يونس: ٣٧

[2] **ملحوظة:** عندما أوشكت على إنهاء الإعلان ولعله لم يبق إلا بضعة أسطر إذ غلبني النوم بشدة لدرجة تركتُ القلم والورقة مضطرا ونمتُ. فرأيت في المنام الشيخ محمد حسين البطالوي والشيخ عبد الله الجكرالوي عيانا. قلتُ مخاطبا إياهما: "خسف القمر والشمس في رمضان، فبأي آلاء ربكما تكذبان". ثم قلت في المنام لأخي في الله المولوي عبد الكريم: المراد من "آلاء" هنا هو أنا. ثم رفعت نظري ونظرت إلى باحة فيها سراج مضيءٌ وكأن الوقت ليلٌ. ورأيت بضعة

والصراط المستقيم الذي كتبتُ هذا المقال لبيانه هو أن في أيدي المسلمين ثلاثة أشياء للاعتصام بهدي الإسلام وهي:

(١) القرآن الكريم الذي هو كتاب الله، وليس في أيدينا كلام أكثر منه قطعية ويقينا، فهو كلام الله ونزيه من شوائب الشك والظن.

(٢) السُّنَّة. وهنا أتحدث بعيدا عن مصطلحات علماء الحديث، أي لا أعُدّ الحديث والسنَّة شيئا واحدا كما هو نهج المحدثين العاديين. بل الحديث شيء والسنَّة شيء آخر. المراد من السنة عندي هو عمل النبي ﷺ الذي يحظى بتواتر العمل به، وقد ظهر مع القرآن الكريم منذ البداية وسيبقى معه إلى الأبد، أو يمكن أن نقول بتعبير آخر بأن القرآن الكريم قول الله تعالى والسُّنَّة فعل رسول الله ﷺ. ومن سنة الله القديمة أنه عندما يأتي الأنبياء عليهم السلام بقول الله لهداية الناس يفسرونه بفعلهم؛ أيْ عمليا حتى لا يشتبه على الناس فهْم ذلك القول. فيعمل به الأنبياء بأنفسهم ويطلبون ذلك من الآخرين أيضا.

(٣) الوسيلة الثالثة للهداية هي **الحديث**، وأقصد من الحديثِ الآثارُ التي جُمعت بصورة قصص بعد النبي ﷺ بمائة وخمسين عاما تقريبا

أشخاص فاتحين القرآن في ضوء ذلك السراج وينقلون منه الجملتَين المذكورتين آنفا وكأنهما مذكورتان في القرآن الكريم بالترتيب نفسه. وقد عرفت أحد هؤلاء الأشخاص أنه "ميان نبي بخش" الرقّاع الأمرتسري. منه.

بواسطة مختلف الرواة. فالفرق بين السُّنَّة والحديث هو أن السنَّة هي الطريقة العملية التي تحظى بتواتر العمل الذي قام به النبي ﷺ بنفسه، وتحتل المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم في مراتب اليقين. وكما كان النبي ﷺ مأمورا بنشر القرآن الكريم كذلك كان مأمورا بإقامة السنَّة أيضا. فكما أن القرآن الكريم يقيني، كذلك السنّة المعمول بها والمتواترة أيضا يقينية. فقد أدّى النبي ﷺ هاتين الخدمتين بنفسه وعدّهما واجبتين عليه. فمثلا عندما نزل الحكم بالصلاة شرح ﷺ حكم الله تعالى هذا بفعله، فكشف بعمله أن لصلاة الفجر كذا ركعة ولصلاة المغرب كذا ولبقية الصلوات كذا من الركعات. كذلك برهن على الحج بصورة عملية، ثم ألزم آلاف الصحابة بهذه الطريقة، وأقام سلسلة تواتر العمل بكل قوة وشدة. فالنموذج العملي الذي لا يزال مشهودا ومحسوسا في الأمة بتواتر العمل هو السنة. ولكنه ﷺ لم يُمْلِ الأحاديث أمامه ولم يهتم بجمعها. لقد جمع أبو بكر رضي الله عنه بعض الأحاديث ولكنه حرقها كلها التزاما بمبادئ التقوى ظنا منه أنه لم يسمعها من النبي ﷺ مباشرة، فالله وحده أعلم بحقيقتها. ثم عندما انقضت فترة الصحابة رضي الله عنهم صرف الله طبائع بعض تبع التابعين إلى أن يجمعوا الأحاديث أيضا فجُمعت. مما لا شك فيه أن معظم مدوِّني الأحاديث كانوا أتقياء وورعين جدا ونقدوها جهد المستطيع، وسعَوا جاهدين لتحاشي الأحاديث الموضوعة بحسب

رأيهم، ولم يأخذوا الحديث من أيّ راوٍ مشتبه الحال. لقد بذلوا في ذلك قصارى جهدهم، ولكن كل ذلك كان بعد فوات الأوان، لذا بقيت الأحاديث كلها على مرتبة الظن. ولكن مع كل ذلك يكون من الإجحاف تماما القول بأنها عبثية ورديئة كلها وموضوعة ولا جدوى منها. بل الحق أنه قد أُخذ عند جمعها الحذرُ والحيطة والتمحيص والتحقيق والنقد بعين الاعتبار لدرجةٍ لا نظير له في الأديان الأخرى. توجد الأحاديث عند اليهود أيضا، والفِرقة التي جابهت المسيح عليه السلام كانت أيضا تُسمَّى أهل الحديث. ولكن لا يثبت أن المحدثين اليهود جمعوا الأحاديث بالحيطة والحذر على غرار المحدثين المسلمين. ولكن من الخطأ الظن أن الناس لم يعلموا ركعات الصلوات مثلا أو جهلوا طريق الحج؛ حتى جمعت الأحاديث، لأن سلسلة تواتر العمل التي نشأت فيهم بواسطة السنَّة علّمتهم جميع حدود الإسلام وفرائضه. لذا صحيح تماما أنه لو لم يكن وجودٌ للأحاديث التي جُمعت بعد فترة طويلة لما كان على تعليم الإسلام الحقيقي من حرج؛ لأن القرآن الكريم وسلسلة العمل المتواتر قد سدّ مسدّ تلك الحاجات كلها، غير أن الأحاديث أضافت إلى ذلك النور، وصار الإسلام نورا على نور. وقامت الأحاديث كشاهد للقرآن والسُّنَّة. وقد نشأت فيما بعد فِرق إسلامية كثيرة واستفادت الفرقة الصادقة من الأحاديث الصحيحة كثيرا. فالمذهب الأسلم هو ألا

نعتقد مثل أهل الحديث المعاصرين أن الأحاديث مقدَّمة على القرآن الكريم، وإذا خالفت قصصُها بياناتِ القرآن الكريم بصراحة فيجب ألا نقدِّم قصص الأحاديث على القرآن الكريم تاركين القرآن. وكذلك يجب ألا نعُدّ الأحاديث كلها لغوا محضا وباطلة كما يعتقد الشيخ عبد الله الجكرالوي بل ينبغي أن نعتقد القرآن والسنَّة قاضيَين على الأحاديث. والحديث الذي لا يخالف القرآن والسنّة يجب أن نقبله على الرأس والعين. هذا هو الصراط المستقيم. فمباركون مَن يلتزمون به. والشقي[1] والغبي مَن ينكر الأحاديث بغير الاعتداد بهذا المبدأ.

[1] **ملحوظة:** لقد أُريت الليلة في الرؤيا شجرةً مثمرة ولطيفة وجميلة جدا ومحمَّلة بالثمار. وهناك جماعة يريدون أن يجعلوا دالية لا جذور لها تتسلق تلك الشجرة بتكلُّف، بل قد حققوا ذلك. الدالية تشبه الأفتيمون. وكلما عُرج على الشجرة أضرّت ثمارها وتشوَّه شكلُ تلك الشجرة اللطيفة، مع خطورة كبيرة بضياع الثمار المرتقبة منها، بل ضاع بعضها سلفا. فقلق قلبي نظرا إلى هذا الوضع وذاب. فسألت شخصا كان واقفا بقربي على هيئة إنسان صالح وطاهر: ما هذه الشجرة وما هذه الدالية التي تتسلق على شجرة لطيفة كهذه؟! فأجابني قائلا: الشجرة هي القرآن، كلام الله. والدالية هي تلك الأحاديث والأقوال وغيرها التي تعارضه أو تُعتبر معارضة له. وإن كثرتها تضغط على الشجرة وتضرها، ثم استيقظت. وأكتب هذا المقال الآن بعد الاستيقاظ في جوف الليل، ولكني أُنهيه الآن ليلة السبت الساعة الثانية إلا عشرين دقيقة بعد منتصف الليل. فالحمد لله على ذلك. م. غ. أ.

من واجب جماعتنا أنه إذا لم يكن الحديث معارضا أو مخالفا للقرآن الكريم والسنَّة أن يعملوا به مهما كانت درجته ضعيفة، ويجب أن يفضِّلوه على فقهٍ صنعه البشر. وإن لم يجدوا مسألة ما في الحديث ولا في السنَّة ولا في القرآن فليعملوا بالفقه الحنفي، لأن كثرة هذه الفِرقة تدل على مرضاة الله. وإن لم يستطع الفقه الحنفي أن يفتي فتوى صحيحة بسبب بعض التغيرات الحالية، فعلى العلماء من هذه الجماعة أن يجتهدوا بما منّ الله عليهم من قوة الاجتهاد. ولكن يجب أن يكونوا حذرين ولا ينكروا الأحاديث دون مبرر مثل الشيخ عبد الله الجكرالوي. أما إذا وجدوا حديثا يعارض القرآن والسنة فليتركوه. اِعلموا أن جماعتنا أقرب إلى أهل الحديث منها إلى الشيخ عبد الله، ولا علاقة لنا بأفكار عبد الله الجكرالوي السخيفة. كل من ينتمي إلى جماعتنا عليه أن يستنكر معتقدات عبد الله الجكرالوي التي يعتنقها عن الأحاديث ويتبرأ منها من الأعماق، ويكره صحبة أمثاله قدر الإمكان، لأن هذه الفِرقة[1] أقرب إلى التهلكة منها إلى فِرق أخرى.

---

[1] وفي الساعة ٣:٠٢ في الليلة نفسها تلقيت إلهاما آخر: "**مَن أعرض عن ذكري نبتليه بذرية فاسقة ملحدة يميلون إلى الدنيا ولا يعبدونني شيئا**". أي من أعرض عن القرآن الكريم... ستكون عاقبة ذريةٍ مثلِها سيئة ولن يوفَّقوا للتوبة والتقوى. منه.

وكذلك على أفراد جماعتي ألا ينحازوا إلى الإفراط في الأحاديث مثل الشيخ محمد حسين، ولا يميلوا إلى التفريط مثل الشيخ عبد الله، بل يجب أن ينهجوا منهجا وسطا مذهبا لهم. بمعنى ألا يتخذوا الأحاديث قِبلةً وكعبةً لهم كليا حتى يصبح القرآن متروكا ومهجورا، ولا يعُدّوا الأحاديث باطلة ولغوا فتضيع الأحاديث النبوية كليا.

كذلك عليهم ألا ينكروا ختم نبوة النبي ﷺ، وعليهم ألا يستنبطوا من ختم النبوة معنى مآله أن يسدّ على الأمة باب مكالمات الله ومخاطباته.

وليكن معلوما **أننا نؤمن** بأن الكتاب الأخير والشريعة الأخيرة هو القرآن، ولن يأتي بعده إلى يوم القيامة نبي بشريعة جديدة أو يتلقى الوحي دون اتّباع النبي ﷺ، بل هذا الباب موصَد إلى يوم القيامة. أما أبواب تلقي الوحي نتيجة اتّباع النبي ﷺ فمفتوحة إلى يوم القيامة. لن ينقطع أبدا الوحي الذي هو نتيجة اتّباع النبي ﷺ. أما النبوة التشريعية أو النبوة المستقلة فقد انقطعت. **ولا سبيل إليها إلى يوم القيامة. ومن قال إني لستُ من أمة محمد ﷺ وادّعى أنه نبي صاحب الشريعة أو من دون الشريعة وليس من الأمة، فمثله كمثل رجل غمره السيلُ المنهمر فألقاه وراءه ولم يغادر حتى مات.**

وتفصيل ذلك أنه حيثما وعد الله تعالى أن النبي ﷺ خاتَم الأنبياء أشار أيضا في المقام نفسه إلى أنه ﷺ -من حيث روحانيته- في حُكم أبي الصلحاء جميعا الذين تُكمَل نفوسهم بواسطة الاتّباع ويوهَبون شرف وحي الله تعالى ومكالماته. كما يقول جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[1]. من المعلوم أن لفظ "لكن" يفيد الاستدراك في العربية؛ أي يأتي لتدارك ما فات. فالأمر الذي عُدّ فائتا في الجزء الأول من الآية أي ما نُفي عن النبي ﷺ إنما هو كونه أبا لرجل من الناحية الجسدية، فقد استُدرِك الأمر الفائت بلفظ ﴿لَكِنْ﴾ إذ جُعل ﷺ خاتَم الأنبياء. وهذا يعني أن فيوض النبوة المباشرة قد انقطعت بعد مجيء النبي ﷺ. والآن لن ينال كمال النبوة إلا مَن وُجد على أعماله خاتَمُ اتّباع النبي ﷺ، وبذلك سيكون ابنه ووارثه ﷺ. ففي هذه الآية قد نُفيت أبوّة النبي ﷺ من ناحية، وأُثبتت الأبوة من ناحية أخرى لتفنيد الاعتراض الذي ورد ذكره في الآية: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[2].

فملخص هذه الآية أن النبوة - وإن كانت بغير شريعة- فمنقطعة؛ بمعنى أنه لن ينال أحد مقام النبوة مباشرة، ولكنها ليست بمنقطعة؛ إذا

---

[1] الأحزاب: ٤١

[2] الكوثر: ٤

كانت مكتَسبَة ومستفاضة من سراج النبوة المحمدية. أي أن صاحب الكمال هذا يجب أن يكون فردا من الأمة من جهة وأن يملك من جهة أخرى كمالات النبوة أيضا بسبب اكتسابه من الأنوار المحمدية. ولو نُفي تكميل النفوس المستعدة في الأمة من هذا المنطلق أيضا لكان النبي ﷺ أبتر - والعياذ بالله- من كِلا الوجهين، أي ليس له ابن من الناحية الجسدية ولا الروحانية. وفي هذه الحالة سيكون المعترض الذي يُطلِق على النبي ﷺ "الأبتر" على صواب.

فما دام قد ثبت أن باب النبوة المستقلة التي تُنال مباشرة[1] موصَد بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة، ولا يمكن لأحد أن يظهر بأي حال بعد النبي ﷺ ما لم يكن في شخصه حقيقة كونه فردا من الأمة، وما لم يكن

[1] يعترض علي بعض المشايخ المزعومين ويقولون بأن نبينا ﷺ قد بشّرنا بثلاثين دجالا وكل واحد منهم سيدّعي النبوة. فجوابه: يا قليلي العقل، ويا تعساءَ الحظ، أليس في نصيبكم إلا ثلاثون دجالا فقط؟ لقد أوشك خُمس القرن الرابع عشر على الانقراض وقد أكمل قمر الخلافة منازله الأربعة عشر التي تشير إليها أيضا الآية: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ (يس: ٤٠) وقد أوشكت الدنيا على الانتهاء ولكن دجاجلتكم لا يكادون ينتهون! لعلهم سيبقون معكم إلى موتكم. يا قليلي الفهم إن الدجال الذي يُسمَّى شيطانا يوجد بداخلكم، لذا لا تدركون الوقت ولا تنظرون إلى آيات سماوية. ولكن كيف أتاسف عليكم؟! إذ إن الذي ظهر مثلي بعد موسى عليه السلام بأربعة عشر قرنا سماه أيضا اليهود الخبثاء دجالا. **فالقلوب تشابهت، اللهم ارحم**. منه.

خادما له ﷺ، فكم هو تصنُّعٌ وتكلُّف إنزالُ عيسى عليه السلام من السماء في هذه الحالة والقولُ بأنه فرد من الأمة وأن نبوته مكتسبَة ومستفاضة من سراج نبوة النبي ﷺ! مَن كان نبيا سلفا كيف يصح القول بأن نبوته مستمدة من سراج نبوة النبي ﷺ؟ وإن لم تكن مستمدة من سراج نبوته ﷺ فبأيِّ معنى سيُعَدّ فردا من هذه الأمة؟ والمعلوم أن معنى كونه من الأمة لا ينطبق على أحد ما لم يكن كل كمال من كمالاته مستمدًّا من نبيه المتبوع. وإذا كان أحد حائزا على كمال عظيم إذ يُدعى نبيًّا بحد ذاته فكيف يكون فردا من الأمة؟ بل سيكون نبيا مستقلا وليس له موطئ قدم بعد النبي ﷺ. وإن قلتم بأن نبوته السابقة التي حازها بصورة مباشرة ستُنزع منه وينال نبوة جديدة نتيجة اتباع النبي ﷺ كما هو منطوق الآية، ففي هذه الحالة إن فردا من هذه الأمة التي تُسمى خير الأمم أحق أن يصل إلى تلك المرتبة الممكن نوالها ببركة اتّباع النبي ﷺ، ولا حاجة إلى إنزال عيسى عليه السلام من السماء؛ لأنه إذا كان ممكنا أن ينال أحد من أفراد هذه الأمة كمالاتِ النبوة بواسطة الأنوار المحمدية كان إنزال أحد من السماء في هذه الحالة مدعاة لسلب حقِّ صاحب الحقِّ. وما المانع أن يُعطى الفيضُ فردًا من الأمة كيلا يشتبه على أحد نموذج الفيض المحمدي، إذ لا معنى لجعْل نبي سابق نبيا من جديد. فمثلا إذا كان هناك أحد يدّعي صوغَ الذهب ثم يضع شيئا مصوغا على الذهب

نفسه ويقول: انظروا فقد صغتُ ذهبا، فهل سيثبت من ذلك أنه صار صائغ ذهب؟

إذاً، إن كمال فيوض النبي ﷺ يكمن في أن ينال فرد من الأمة هذه الدرجة نتيجة اتباعه، وإلا فكم هو كذب عقيمٌ اعتبارُ نبي سابق فردا من الأمة، ثم التصورُ أن مرتبة النبوة التي حازها إنما حازها لكونه فردا من الأمة وليس مباشرة! بل هاتان الحقيقتان متناقضان لأن حقيقة نبوة المسيح هي أنه حازها مباشرة دون اتّباع النبي ﷺ. ثم لو جُعل عيسى عليه السلام فردا من الأمة كما يتبين من الحديث: "إمامكم منكم" لكان معنى ذلك أن كل كمال من كمالات نبوته مستفاضٌ من النبوة المحمدية. وقد أكّدنا قبل قليل بأن كمال نبوته ليس مستفاضا من سراج النبوة المحمدية، وهذا هو اجتماع النقيضين وهو باطل بالبداهة.

وإن قلتم بأن عيسى سيُدعى من الأمة ولكن لن يقتبس فيضا من النبوة المحمدية، ففي هذه الحالة تكون حقيقة كونه من الأمة مفقودة فيه، لأننا قلنا قبل قليل بأنه لا معنى لكون أحد من الأمة إلا أن يكون جُلّ كمالِه مستمدًّا من الاتّباع كما جاء التصريح به في آيات عديدة في القرآن الكريم. وما دام الباب مفتوحا على فرد من الأمة أن يقتبس هذا الفيض من نبيه المتبوع فأيّ حمقٍ اختيارُ طريقٍ زائف والسماحُ باجتماع

النقيضين في هذه الحالة؟! فكيف يمكن أن يُعَدّ فردا من الأمة مَن لم يحصل على أيّ كمالٍ بالاتّباع؟!

وبذلك يبطل أيضا اعتراض يثيره بعض قليلي الفهم أن ادّعاء تلقي الوحي يستلزم أن يكون ذلك الوحي في لغة صاحب الوحي وليس بالعربية، ذلك لأن اللغة الأم تلزم مَن يدّعي النبوة بصورة مستقلة بدون الاستفاضة من مشكاة النبوة المحمدية، أما مَن يكتسب أنوار النبوة من فيض النبوة المحمدية لكونه فردا من الأمة، فإنه يتلقى الوحي عند مكالمة الله في لغة متبوعه ليكون ذلك علامة بين التابع والمتبوع ويدل على العلاقة بينهما.

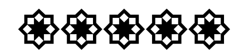
من المؤسف أن هؤلاء القوم يظلمون عيسى عليه السلام من كافة الوجوه. أولا يرفعون جسده إلى السماء بدون إزالة اعتراض اللعنة، وبذلك يبقى اعتراض اليهود عليه قائما كما كان. ثانيا: يقولون بأنه لم يرد ذكر موته في القرآن الكريم، وكأنهم يخلقون بذلك وجهًا لتأليهه. ثالثا: يدفعونه إلى السماء في حالة خيبة وفشل؛ فالنبي الذي لم يوجد له حتى ١٢ من حوارييه على الأرض وكانت مهمة تبليغ دعوته ناقصة، فإنّ إرساله إلى السماء جحيم له لأن روحه تقتضي تكميل التبليغ، ولكنهم يرفعونه إلى السماء على عكس مبتغاه.

وعن نفسي، إنني أرى بأنني إن رُفعت إلى السماء ولو أُجلِست في السماء السابعة بغير تكميل مهمتي، لما كان ذلك مدعاة لسعادتي. أية سعادة يمكن أن أحظى بها إن ظلّت مهمتي ناقصة؟ كذلك لا يفرح هو عليه السلام أيضا بالصعود إلى السماء. بل هاجر سرًّا، ولكن الأغبياء عدّوا ذلك صعودا إلى السماء. هداهم الله.

والسلام على من اتبع الهدى

المعلن:

ميرزا غلام أحمد القادياني ٢٧/١١/١٩٠٢م

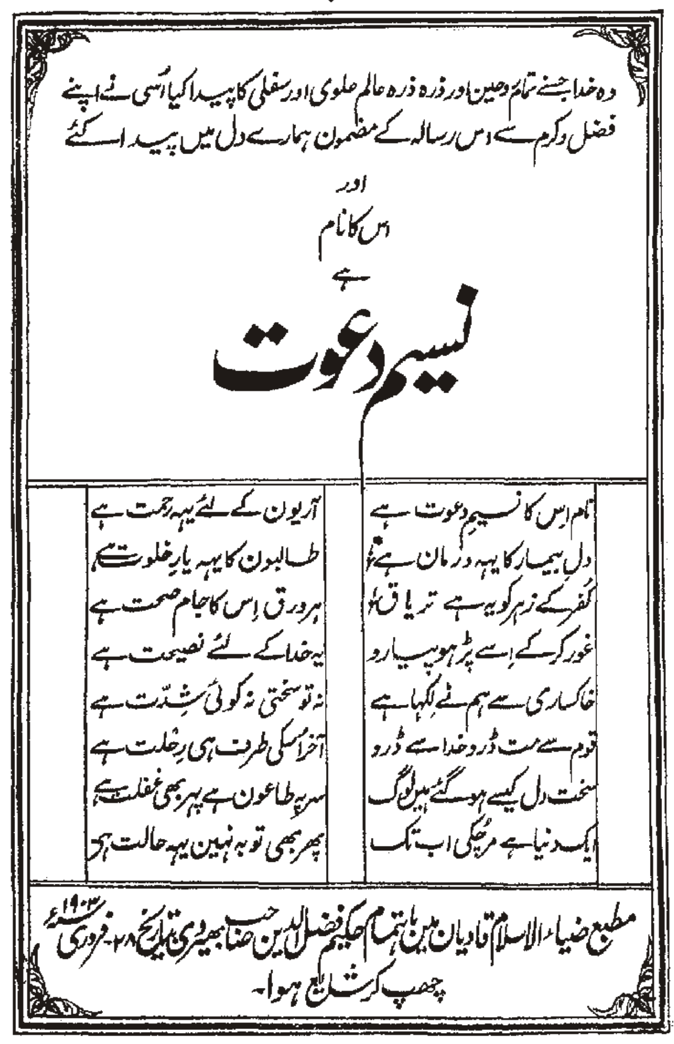


نسيم الدعـوة

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام
المسيح الموعود والإمام المهدي

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

ٹائیٹل بار اول



وہ خدا جسنے تمام زمین اور ذرہ ذرہ عالم علوی اور سفلی کا پیدا کیا اسی نے اپنے فضل وکرم سے اس رسالہ کے مضمون ہمارے دل میں پیدا کئے

اور

اس کا نام

ہے

نسیم دعوت

نام اس کا نسیم دعوت ہے — آریوں کے لئے یہہ رحمت ہے

دل بیمار کا یہہ درمان ہے — طالبوں کا یہہ یار خلوت ہے

کفر کے زہر کو یہ ہے تریاق — ہر ورق اس کا جام صحت ہے

غور کر کے اسے پڑھو پیارو — یہ خدا کے لئے نصیحت ہے

خاکساری سے ہم نے لکہا ہے — نہ تو سختی نہ کوئی شدت ہے

قوم سے مت ڈرو خدا سے ڈرو — آخر اسکی طرف ہی رحلت ہے

سخت دل کیسے ہوگئے ہیں لوگ — سر پہ طاعون ہے پہر بھی غفلت ہے

ایک دنیا ہے مر چکی اب تک — پھر بھی توبہ نہیں یہہ حالت ہے

مطبع ضیاء الاسلام قادیان میں باہتمام حکیم فضل الدین صاحب بھیروی بتاریخ ۲۸ فروری ۱۹۰۳ء چھپ کر شائع ہوا۔

ترجمة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

إن الله الذي خلق الأرواح كلها وكل ذرة من العالَم العلوي والسفلي، هو الذي ألقى في قلبي بفضله ورحمته مضامين هذا الكتاب الذي اسمه:

نسيم الدعوة

ترجمة أبيات أردية:

"إن اسمه "نسيم الدعوة" وهو رحمة للآريين

هو دواء قلب مريض، ورفيق الباحثين عن الحق في خلوتهم

هو ترياق لسم الكفر، وكل ورقة منه كأس شراب الصحة

اقرأوه بإمعان يا أحبائي، هذا نصحي لوجه الله

لقد ألّفته بكل تواضع، فلا قسوة فيه ولا شدة

لا تخشوا القوم واخشوا الله، لأن إليه الارتحال في النهاية

كم قست قلوب الناس! إن الطاعون يحلق فوق رؤوسهم ومع ذلك هم غافلون

لقد مات عالَم إلى الآن، ومع ذلك لا يتوبون، هذا ما آلت إليه حالتهم."

****

طُبع في مطبعة "ضياء الإسلام" في قاديان بتاريخ ١٩٠٣/٢/٢٨م، تحت إشراف حكيم فضل الدين البهيروي المحترم.



إن أرواحنا وكل ذرة من كياننا تسجد لذلك الإله القادر الحق الكامل الذي بيده خُلقت كل روح وكل ذرة من المخلوقات مع كل قواها، والذي بوجوده يقوم كل وجود. لا يخرج شيء عن علمه ولا عن سيطرته ولا عن دائرة خَلقه. وآلاف الصلوات والرحمات والبركات على النبي الطاهر محمد المصطفى ﷺ الذي بواسطته وجدنا الإله الحي الذي يهبنا بكلامه آيات وجوده، وبإظهاره آيات تفوق العادة يُرينا وجها منيرا لقدراته وقواه القديمة والكاملة. فقد وجدنا رسولا أرانا اللهَ عيانا، ووجدنا إلـهًا خلق كل شيء بقدرته الكاملة. ما أعظم قدرته التي لا يخرج شيء إلى الوجود بدونها، ولا بقاء لأيّ شيء بغيرها! إن إلـهنا الحق ذو حُسن وإحسان وبركات كثيرة وقدرات لا تُعَدّ ولا حصر لها، ولا إلـه سواه.

أما بعد، فليتضح أنه قد قرأتُ اليوم[١] إعلانا نشره مذهب آريا في قاديان، ومكتوب عليه تاريخ ١٩٠٣/٢/٧م وقد طُبع في مطبعة "جشمه

[١] بعد هذا الإعلان اطلعت على عبارة منشورة في جريدة إنجليزية يُصدرها "مذهب آريا" بلاهور، وإعلانٍ آخر نشره شخص اسمه "طوطي رام". منه.

نور" في أمرتسر وعنوانه: "الرد على تباهي تلاميذ البابا الكادياني". وقد وردت في هذا الإعلان بحق سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، وبحقي وبحق أصحابي الأكارم كلمات قاسية وشتائم لدرجة أنْ كنت أودّ من قرارة قلبي ألا أخاطب هؤلاء الناس، ولكن الله تعالى خاطبني بوحيه الخاص وقال: "أُكتب الرد على تلك العبارة وإني معك في هذا الجواب". فسررتُ كثيرا بهذا الوحي المبشِّر على أنني لستُ وحيدا في كتابة الجواب. فقمتُ مستمدا القوة من الله تعالى وألّفت هذا الكتاب بتأييد روح منه. وكما أيدني الله نويتُ أن أكتب الرد بالرفق بغض الطرف عن الشتائم التي وُجِّهت إليّ وإلى نبينا المطاع ثم أفوِّض هذا الأمر إلى الله تعالى.

ولكن قبل أن أكتب الردّ على الإعلان المذكور أريد القول نصحا لأفراد جماعتي أن يصبروا على كل ما كتبه ناشرو الإعلان وجماعتهم من الكلمات القاسية معترضين بُغية الإيذاء والإساءة إلى نبينا الأكرم ﷺ أو إليّ كقولهم عني: آكل الأموال، المخادع، الكاذب، والغدّار، وعدّوني آكل آموال الناس بالخديعة، أو ما استخدموا بحق أفراد جماعتي من كلمات مثل الخنازير والكلاب وآكلي الجيفة والحمير والقردة وغيرها، وسموهم بالقذرين. إني أعلم جيدا الهياج والثورة التي تنشأ في طبيعة الإنسان في مثل هذه الحالة حين لا يُشتم هو فقط بل يُذكر رسولُه

ومقتداه وإمامه أيضا بكلمات الازدراء والإهانة، ويضطر المرء إلى سماع كلمات قاسية تثير حفيظته وغضبه. ولكني أقول بأنكم إن لم تصبروا على هذه الشتائم وبذاءة اللسان فما الفرق بينكم وبين غيركم. وهذا ليس بالأمر الذي عوملتُم به وحدكم ولم يعامَل به أحد من قبل؛ بل الحق أن كل جماعة صادقة أُسِّست في الدنيا عادتْها الدنيا حتما. ولأنكم ورثة الحق فلا بد من أن تعاديكم الدنيا أيضا. ألا لا تغلبنّكم الثوائر النفسانية، عليكم أن تصبروا على كل قسوة وتردوا على كل شتيمة بالرفق ليُكتَب لكم الأجر في السماء. لا تستخدموا كلمات قاسية بحق القدّيسين الآريين وصلحائهم أبدا حتى لا يشتموا الله القدوس ورسوله الطاهر لأنهم لم يُعطَوا المعرفة فلا يعرفون مَن يشتمونه.

اعلموا أن كل مَن يتّبع ثوائره النفسانية فلا يمكن أن تخرج من شفتيه كلمة الحكمة والمعرفة، بل كل قول من أقواله يكون فاسدا ليس إلا. فإن كنتم تريدون أن تتكلموا بتعليم من روح القدس فاقلعوا عن ثوائر النفس كلها وغضبها؛ عندها ستجري على شفاهكم أسرار المعرفة الطاهرة وستُعَدّون في السماء وجودا مفيدا للدنيا وسيُمدّ في أعماركم. لا تتكلموا بسخرية ولا تستهزئوا وينبغي ألا تكون في كلامكم شائبة من السفالة والدناءة لكي يُفتح لكم ينبوع الحكمة. إن كلمة الحكمة تفتح القلوب ولكن السخرية والسفاهة تنشران الفساد. فليكن كلامكم

الصادق متسما باللين قدر الإمكان كيلا يتألم به المستمعون. والذي لا يتأمل في الحقيقة بل يهذي كونه عبدا للنفس المتمردة وينسج مكايد شريرة، فهو نجس لا يهتدي إلى الله سبيلا ولا يجري الحق والحكمة على لسانه قط. فإن كنتم تريدون أن تُفتح عليكم سبل الله فابتعدوا عن ثوائر النفس ولا تخوضوا في النقاشات عبثا لأنه لا معنى لها وليست إلا مضيعة للوقت. لا تردّوا على السيئة بالسيئة، لا بالقول ولا بالفعل، لكي ينصركم الله. ينبغي أن تقدموا الصدق للناس بقلب أليم وليس بالاستهزاء والسخرية لأنه ميت ذلك القلب الذي يتخذ السخرية والاستهزاء منهجا له. ونجسة تلك النفس التي لا تختار طريق الحكمة والصدق بنفسها ولا تسمح لغيرها أن تختاره. فإن كنتم تريدون أن ترثوا علما طاهرا فلا تتكلموا مدفوعين بالثوائر النفسانية، لأن كلاما مثله سيكون عاريا من الحكمة والمعرفة. ولا تنووا كالأسافل واللئام والأوباش أن تردُّوا على العدو باستهزاء تشوبه شائبة الإهانة والسخرية دون مبرر، بل عليكم أن تردوا ردّا صادقا وحكيما بصدق القلب لترثوا الأسرار السماوية.

ولا بد من البيان هنا أن الهجوم الذي شنّه علي الآريون من قاديان هو هجوم مباغت، إذ لم أنشر شيئا في هذه الأيام ولم ينشر أحد إعلانا بقلمي ولا بتعليمي وتحريضي. فلا أفهم لماذا ثارت ثورتهم إلى هذه

الدرجة إذ جعلوني دريئة سهامهم دون مبرر وشتموني؟ ولماذا آذوني إيذاء مضاعفا باستخدامهم كلمات الإهانة والتحقير بحق سيدي ومولاي محمد المصطفى ﷺ؟! لقد نصحت مرارا وتكرارا بعضا من الآريين من قاديان الذين كانوا يأتونني بأن حذلقة اللسان لا تعني دينا، بل الدينُ هو حالة طاهرة تنشأ في قلوب الذين يعرفون الله. وقلت لهم أيضا مرارا أن ينتبهوا إلى أن الطاعون متفشٍّ في هذه الأيام، ويتبين من تاريخ العالم أنه كلَّما تفشى الطاعون في بلد ما بشدة كان السبب وراءه أن الأرض مُلئت بالذنب والإثم وأُنكِر المبعوث من عند الله. وكلما ارتُكب تحت أديم السماء ذنب كبير مثله وتجاوز التجاسرُ الحدودَ ظهر هذا البلاء. والآن أيضا قد بلغ هذا الذنب ذروته. فقد جاء في الدنيا نبي عظيم لإصلاح الناس، أي سيدنا محمد المصطفى ﷺ ودعاهم إلى الإله الحق الذي نسيه العالم، ولكن يُجعَل ذلك النبي الكاملُ عرضة للإهانة والتحقير في هذا العصر بما ليس له نظير في أيّ عصر خلا. ثم أرسل الله تعالى على رأس القرن الرابع عشر عبده -وهو هذا الراقم- ليشهد على صدق ذلك النبي وعظمته وينشر تقديس الله وتوحيده في الدنيا، وقد جُعل هو أيضا عرضة للشتائم. فهذه الأيام السيئة التي يشهدها الزمن الراهن سببُها عائد إلى أنه لم تبق خشية الله في القلوب وصارت الألسنة

حِدادًا. يُبدون كل نوع من الحماس من أجل القوم والمجتمع فقط، وليس في قلوبهم عظمة الله تعالى.

باختصار، نصحت الآريين في قاديان على هذا المنوال عدة مـــرات، ولكن ظهرت النتيجة على عكس ذلك و لم يخشوا عظمة الله قط. لعله يكون في بالهم أن الطاعون يُهلك الناس حول قاديان ولكن لا مبرر أن يقلقوا إذ قد تحرروا من براثنه للأبد نتيجة أخذهم مصلا مضادا له! من الغريب حقا أن هؤلاء القوم لا يتحكمون في لسانهم مـــع أن الأيـــام خطيرة جدا، ولا يفكرون أنه إن كان النبي الذي يشتمونه ويحقِّرونـــه ويسيئون إليه من عند الله، كما هو من عند الله حقًّا، فهـــل ســـتذهب بذاءة لسانهم وإساءتهم دون مؤاخذة؟

اسمعوا أيها الغافلون، إن تجربتنا وتجربة الصلحاء الذين خلَـــوا قبلنـــا تشهد بأن عاقبة إساءة الأدب إلى رسل الله الأطهار لا تكون حســـنة. ويعلم كل ذي طبيعة سليمة أن الله يعاقب على كل سيئة وتجاسر، وأن لكل ظلم عقوبة.

الرد على اعتراض

والآن أرد على اعتراض الآريين الذي وجّهوه في إعلانهم إلى الآريين حديثي الإسلام الذين انضموا إلى جماعتنا، وهو قولهم بأن انضمامهم إلى الإسلام يكون جائزا إذا قرأوا الفيدات الأربعة أولا. ثم كان من واجبهم بعد قراءة الفيدات أن يقارنوا بين الإسلام ومذهب الآريا، وإذا وجدوا الإسلام حقا بعد هذا التحقيق والتفتيش؛ كان بإمكانهم أن يسلموا.

فليكن واضحا أنه فيما يتعلق بالتحقيق والتفتيش من قبل الآريين حديثي الإسلام فقد أسلموا بعد أن أدّوا حقه بكل معنى الكلمة. أما الاعتراض أنهم لم يقرأوا الفيدات الأربعة فلا يصح إلا إذا أثبت المعترضون أنهم قرأوها بأنفسهم. من المؤسف حقا أنهم لم يعدلوا ولم يخشوا الله عند توجيههم الاعتراض. فإذا كانوا قد أثاروا الاعتراض التزاما بالصدق فليخبرونا على يد أيّ بانديت قرأ الفيدات كل هؤلاء الذين كانوا يرددون "رام، رام" وكانوا ثابتين على مذهب "سناتن دهرم" ثم تحوّلوا إلى مذهب الآريا منذ بضع سنين، لأنه إذا كانت قراءة الفيدات ضرورية لتبديل الدين فكيف يمكن للآريين أن يبقوا خارجين عن نطاق هذا الشرط؟ من لا يعرف أن جميع الهندوس في هذا البلد كانوا يعتنقون مذهب سناتن دهرم قبل وجود البانديت ديانند؟

ومعابدهم ما زالت موجودة في هذه القرية أيضا. وأن بانديتاهم وعلماء الفيدات ما زالوا موجودين في الهند بكثرة، وقد رأينا كثيرا منهم بأم أعيننا. ويتبين من قراءة تراجم الفيدات إلى الأردية والإنجليزية أن معظم تفاسير الفيدات التي قام بها أتباع "سناتن دهرم" هي الصحيحة.

على أية حال نترك هذا البحث جانبا حاليا. الاعتراض نفسه الذي وجّهه هؤلاء الآريون إلى الذين أسلموا حديثا من الهندوس يقع على المعترضين أنفسهم، لأنه كان هناك زمن كانوا يعتبرون فيه "رام شندر" و"كرشنا" وغيرهما من القديسين آلهة، وكانوا يعدّون عبادة الأوثان تعليم الفيدا، وفوق كل ذلك كانوا يعدّون أنفسهم بحسب مبادئ تعليم الفيدات بأن الله خلقهم؛ ولكن بعد اعتناقهم مذهب الآريا تغيّرت هذه الأفكار كلها، وعدُّوا أنفسهم أزليين وغير مخلوقين وقدامى وشركاء الإله بدلا من أن يكون الله قد خلقهم. أفلم يكن ضروريا -بحسب معتقدهم- لهذا القدر من الانقلاب أن يقرأ كل واحد منهم الفيدات الأربعة قبل أن يترك مذهبه القديم "سناتن دهرم" وينضم إلى مذهب آريا؟ فإن لم يكذب آريو قاديان و لم يكتموا الحق عند اعتراضهم على الآريين حديثي الإسلام فليخبرونا كم من الآريين من جماعتهم يحفظون "رِج فيدا"، و"يجر فيدا"، و"شام فيدا" و"اتهرون فيدا" عن ظهر قلب. وإذا ثبت صدقهم في ذلك وأثبتوا أن جماعتهم كلها تُتقن الفيدات، فلسوف نعُدّهم على الأقل من

أشراف الناس الذين لم يكذبوا في اعتراضهم و لم يقدّموا ما لم يلتزموا به. مَن لا يعرف أن هذه المجموعة من أهل قاديان هم أصحاب محـــلات في السوق؟! فمنهم المرابون ومنهم البزاز وفيهم من يدير محل المواد الغذائية، وليس هناك ولا واحد منهم يعلم الفيدات بحسب معلوماتنا. فهل يمكـــن أن يُعَدّ الآريون حديثو الإسلام -مقابل هؤلاء القوم- جهلاء مع أن فيهم حائزين على شهادة بكالوريوس ودرسوا تـــراجم الفيـــدات الإنجليزيـــة والأردية ويتلقون تعليما دينيا ليل نهارَ؟

ثم إن قولنا هذا ليس مقتصرا على قاديان فقط بل أعـــرف جيـــدا أن طائفة الآريين في كل مدينة وقرية مليئة بأناس من هذا القبيـــل. ولـــيس صحيحا مطلقا أن الذين هجروا مذهب سناتن دهرم وانضموا إلى مذهب آريا، على الرغم من الاختلاف الشديد، كانوا قد قرأوا الفيدات الأربعة في بيوتهم من قبل بل أقول بكل قوة بأن جميع الآريين في البنجاب والهند كلها -عدا بعض منهم الذين يُعَدّون على الأصابع- هم من أصـــحاب المحلات والمرابين الذين سجلوا أسماءهم في قائمة الآريين، ولا يعرفون شيئا سوى البطون الكبيرة والشوارب الطويلة وحسابات المحلات.

إن كلامي هذا ليس دون تحقيق بل إنني مستعد أن أدفع ألف روبيـــة جائزةً للآريين إن أثبتوا لي أن جميع النساء والرجال الذين ينـــدرجون في قائمتهم كآريين، أو قولوا إن شئتم بأنه يوجد خمسة بالمائة من الباندِيتات

-من جملة الآريين في الهند البريطانية- قد قرأوا الفيدات الأربعة باللغة السنسكريتية. يمكنني أن أودِع المبلغ في أيّ مصرف حكومي إذا أرادوا ذلك. قولوا الآن بالله عليكم؛ كم هو مخجل أن ينصح المرء الآخرين ويعرّض نفسه للفضيحة! لو استخدموا الحياء والعقل لما كانت بهم حاجة إلى أن يثيروا اعتراضات تقع على مذهب آريا نفسه. لقد تكوّنت مجموعة الآريين أمام أعيننا بحيث رُغِّب كثير من التجار والمرابون والموظفون بشتى الطرق في أن يسجلوا أسماءهم في قائمة أتباع مذهب آريا، فسجل كثير من الهندوس أسماءهم هكذا دون أن يعرفوا حقيقة الأمر. وإن عبادة الأوثان والآلهة لا تزال جارية في معظم البيوت كما كانت. وهذه الأمور ليست خافية حتى يضطر المرء إلى تحمّل عناء كبير للتحقق منها. اذهبوا إلى أية مدينة أو قرية وابحثوا عن عدد الآريين فيها ثم ابحثوا كم منهم ملمّون بالفيدات. فإذا كانت هذه هي كيفية الانضمام إلى مذهب آريا فمن يحق له أن يعترض على حديثي الإسلام المثقفين الذين كانوا هندوسا من قبل ثم انضموا إلى مذهب "سناتن دهرم" ثم فحصوا مبادئ الآريين جيدا ثم درسوا مقابلها مبادئ الإسلام ووجدوا فيها الصدق وعظمة الله فأسلموا؟ لقد تحمّلوا الإيذاء لوجه الله فقط وفُصلوا عن الزوجات والإخوة والأعزة وسمعوا الشتائم من القوم. إن حمْلَ تبديلِ هؤلاء الآريين حديثي الإسلام دينَهم على أهواء النفس ليس بطعن جديد من قِبل

الهندوس، بل من عادة المتعصبين منهم منذ القِدم أنهم عندما لا يطيقون جوابا معقولا يقولون: لقد تركوا الهندوسية طمعا في مال أو امرأة. ويقولون أيضا بأن ملايين الهندوس الذين أسلموا إنما أسلموا نتيجة إكراهٍ مارسه عليهم الملوك المسلمون. كما يقول بعض الهندوس مدفوعين بحماس مفرط بأن الذين ينضمون إلى الإسلام هم نطفة المسلمين في الحقيقة، ولا يفكرون أن هذا الاعتراض يقع على الملايين من نسائهم.

ولقد ثبت من البحوث الحالية أنه لو قورن عهد السلاطين المسلمين الذي امتد إلى سبع مائة عام مع عهد الإنجليز الذي مر عليه قرن إلى الآن لكان معدل الهندوس الذين دخلوا الإسلام في عهد الإنجليز أكبر من الذين أسلموا في عهد المسلمين. والحق أن تهمة الطمع والجشع لمخجلة جدا لأن بعض الأغنياء والزعماء والحكام الهندوس قد دفعوا مئات آلاف الروبيات لنصرة الدين بعد إسلامهم. وإن إخوتنا الآريين الفقراء حديثي الإسلام يدفعون لنا دائما تبرعات من دخلهم. فمن الغريب حقا لماذا لا يتورع هؤلاء المعاندون عن إلصاق التهم دون مبرر. وما دام معظم الآريين يُسلمون تاركين نساءهم فأيّ أمانة في اتهامهم بالرغبة في النساء أو ما شابه ذلك؟ فكِّروا مثلا: هل كان سردار فضل حق، والشيخ عبد الرحيم -اللذان هم من الآريا وحديثا الإسلام- يحتاجان إلى شيءٍ وهم هندوس، ثم سُدَّت حاجتهم بعد إسلامهم؟

الفلسفة الحقيقية لمدى العلم المطلوب من أجل تبديل الدين

والآن أبين لفائدة العامة فلسفة حقيقية عن قدر ما يحتاج إليه المرء من العلم لتبديل الدين. وهل يجب على هندوسي أن يقرأ الفيدات الأربعة في السنسكرتية قبل أن يغيّر دينه -بحسب قول الآريين في قاديان- أو هناك مبدأ آخر من منطلق العقل والعدل؟

فليتضح، كما بينت قبل قليل أنه ليس صحيحا قط أن من واجب الهندوسي أن يقرأ الفيدات الأربعة على يد بانديت درسا درسا ليختار بعد ذلك دينا آخر إذا شاء، لأنه إذا صح ذلك لما استطاع تبديل دينه إلا من كان بانديتا عالما بالفيدات، بينما يعلم الجميع أن مئات الهندوس الذين لا يستطيعون أن يقرأوا صفحة واحدة من الفيدات يتركون مذهب "سناتن" وينضمون إلى مذهب آريا باستمرار. وبحسب الإحصائيات الأخيرة لا يربو عدد الرجال من أتباع مذهب الآريا في البنجاب على تسعة آلاف. وقد يكون من بينهم بانديت واحد أو اثنان على أكثر تقدير في هذا العدد كله، أما البقية فكلهم من عامة الهندوس الذين صاروا آريين بسماع بضعة أمور فقط وتركوا مذهبهم القديم "سناتن دهرم". وكما يسمي أتباعُ مذهب آريا مَن يُسلمون من بينهم

تاركين ديانتهم أنجاسا وأقذارا، كذلك يُطلق أتباعُ سناتن دهرم اللقب نفسه على الآريين ويعُدّونهم خارجين عن الدين ومنكري الفيدا. ومع كل هذه المعارضة المريرة والاختلاف العقدي الشديد الواضحِ وضوحَ الشمس بين أتباع "سناتن دهرم" والآريين، حين يأتي أحد من أتباع سناتن دهرم، مهما كان جاهلا، للانضمام إلى مذهب آريا لا يقول له أحد عليك أن تقرأ الفيدات الأربعة أولا، بل يُعتبر انضمامه إلى مذهب آريا مغنما؛ ولا سيما إذا كان ذلك الشخص تاجرا غنيا وإن كان جاهلا شديد الجهل. فمن يترك صيدا وقع في يده؟ أخبروني كم من الفيدات قرأ "لاله بُدَهَّا مَلّ" الذي انضم إلى مذهب آريا تاركا "سناتن دهرم"؟ كذلك يجب على غيره من الآريين الذين هم على شاكلته أن يفكّروا في أنفسهم ما مدى معرفتهم بالفيدات؟ من الواضح أن الاعتراض الذي يوجَّه إلى الآريين حديثي الإسلام في هذه الحالة يقع على الآريين أنفسهم. ولكن يجدر بالتذكر أن الهندوسي الآري الذي يُسلم لأنه يكون على علم سلفا بأنه سوف يضطر إلى مواجهة الأعداء الكثيرين، فلا يُسلم بطبيعة الحال إلا بعد تمييز الحق من الباطل في قرارة قلبه.

وهذا القرار لا يقتصر على قراءة الفيدات الأربعة فقط، وإلا لأُغلق باب تبديل الدين نهائيا. كذلك يستلزم في هذه الحالة أن يعيد أتباعُ

مذهب آريا الهندوسَ كلهم إلى سناتن دهرم إلا بعض البانديتات منهم الذين درسوا الفيدات، ويعظوهم بأننا سنضمكم إلى مذهب آريا عندما تأتون بعد قراءة الفيدات وإلا فلا.

الفطين يستطيع أن يفهم بسهولة أنه إذا كان ضروريا لتبديل الدين أن يكون المرء عالما، فإن عشرات الملايين الهندوس الهنود غير المثقفين والمنتمين إلى مختلف الفِرق لا يستحقون الانضمام إلى مذهب آريا ما لم يقرأوا الفيدات كلُّهم وما لم يدرسوا كتبهم الدينية درسا درسا.

فاسمعوا وعوا جيدا؛ إن تمحيص الجزئيات كلها ليس ضروريا لتبديل الدين، بل يجب على الباحث عن الحق عند المقارنة بين الأديان الموجودة ومعرفة الدين الحق من بينها أن ينتبه إلى ثلاثة أمور فقط.

أولا: ما هو تعليم ذلك الدين عن الله تعالى؟ أيْ ماذا يقول ذلك الدين عن وحدانية الله وقدرته وعلمه وكماله وعظمته وعقابه ورحمته وغيرها من لوازم الألوهية وخواصها؟ لأنه إن كان الدين لا يؤمن بالله واحدا لا شريك له، بل يعُدّ أجراما سماوية أو عناصر أرضية أو إنسانا أو أشياء أخرى آلهة أو متساوية مع الله تعالى ولا يمنع من عبادتها، أو يحسب قدرة الله ناقصة، أو لا يبلِّغ سلسلة القدرة مبلغ إمكانيتها، أو يرى علمه ﷻ ناقصا، أو يعطي تعليما مضادا لعظمته ﷻ الأزلية، أو يختار طريق الإفراط أو التفريط في قانون العقوبة والرحمة، أو يخص

قوما دون قوم بعلاقتهم مع الله من حيث وسائل النعمة الروحانية، وهكذا يناقض إحاطة رحمته العامة العالَم بصورة ظاهرية، أو يقول شيئا يناقض صفةً من صفات الألوهية؛ فهذا الدين ليس من عند الله.

ثانيا: كذلك يجب على الباحث عن الحق أن ينظر، ما هو تعليم الدين -الذي يبتغيه- عن النفس وعن سلوك الإنسان بوجه عام؟ وهل فيه تعليم يؤدي إلى نقض العلاقات المتبادلة المتعلقة بحقوق الناس؟ أو يدفع الإنسان إلى الديوثية؟ أو يستلزم الأمور الديوثية ويخالف الحياء الفطري؟ ويجب ألا يكون فيه تعليم يخالف نواميس الله الجارية في الطبيعة بشكل عام، وألا يكون العمل بذلك التعليم غير ممكن ويسفر عن نتائج خطيرة، وألا يُترَك فيه تعليم ضروري لدرء المفاسد. ويجب الانتباه أيضا هل يعلِّم هذا التعليمُ أم لا أحكاما تَعُدّ الله تعالى محسنا عظيما وتُوطد علاقة الحب بين الله والبشر وتُخرج الإنسان من الظلمات إلى النور وتجذب من الغفلة إلى الخشوع والذكر.

ثالثا: يجب على الباحث عن الحق أن يحب الدين الذي إلهه ليس افتراضيا يتمُّ الإيمان به بناء على قصص وحكايات فقط، ولا يكون هذا الإله شبيها بالميت، لأنه إذا كان إلهُ دينٍ شبيها بالميت وقُبل بناء على حسن اعتقاد المرء فقط وليس لأنه أثبت نفسه بنفسه؛ فيكون الإيمانُ بمثل هذا الإله بمنزلة المنة عليه. والإله الذي لا يشعر المرء

بقدراته ولا يُظهر علامات حياته بنفسه يكون الإيمان به دون جدوى. ومثل هذا الإله لا يستطيع أن يهب الإنسان حياة طاهرة ولا يقدر على أن يُخرجه من ظلمة الشبهات. والمعلوم أن ثورا حيا يُستخدَم في الزراعة خير من إله ميت. فلو لم يكن المرء مكبًّا على الإلحاد وعبادة الدنيا لبحث حتما عن إله حيٍّ لتكون نفسه طاهرة ومنيرة، ولن يرضى بدينٍ لا يتجلى فيه الإله الحي بقدرته، ولا يَهَبُ الطمأنينةَ بصوت ملؤه الجلال.

هذه هي الأمور الثلاثة الجديرة بانتباه مَن أراد أن يبدِّل دينه. فإذا وجد أحد دينا غالبا وفائقا على غيره من منطلق هذه المعايير الثلاثة وجب عليه اعتناقه. ولهذا التحقيق ليس المرء بحاجة إلى أن يكون بانديتا أو قسيسا كبيرا. وكما أن الله تعالى قد خلق للحياة المادية للناس -الذين لا يريدون أن ينتحروا بإرادتهم- كل الأشياء التي كانوا بحاجة إليها مثل الماء والهواء والنار والمأكولات بكثرة، كذلك جعل ﷻ طرق هدايته سهلة جدا للناس لحياتهم الروحانية أيضا كيلا يواجهوا مشاكل لا تُطاق في هذه الحياة القصيرة. وليس المرء بحاجة إلى أن يبذل عمرا طويلا أو يكون عالما كبيرا من أجل الأمور الثلاثة التي ذكرتُها آنفا، بل كل مؤيدِ دينٍ معين عندما ينشر مبادئه فيتبين منها إنْ كانت توافق هذا المعيار أم لا. وإنْ كذبَ هذا الشخصُ في

بيان مبادئه أو أخفى شيئا منها فلا يمكن أن تبقى خيانته خافيـــة، لأن العصر الراهن هو عصر العلم، فهناك مئات الجوانب التي تميط اللثـــام عن وجه الحقيقة.

والآن، لما ثبت بالبداهة أن المرء ليس بحاجة قط عند تبديل دينــه إلى أن يطّلع على فروع دينه وأصوله وجزئياته وكلياته كلها بــل يكفيــه الإلمام بالأمور المذكورة آنفا؛ ففي هذه الحالة ما ذنب هؤلاء الآريـــين حديثي الإسلام الذين أسلموا بعد تحقيق كل هذه الأمور الضـــرورية؟ وما دامت فئة مذهب آريا تتكون من الســـيخ والفلاحـــين والصـــاغة وأصحاب المحلات غير المثقفين الذين انحرفوا عن مذاهبهم القديمة مثـــل سناتن دهرم ومذهب السيخ وانضموا إلى مذهب الآريا بـــدون قـــراءة الفيدات الأربعة بل دون البحث في الأمور الثلاثـــة المـــذكورة آنفـــا، ومعظمهم جاهل وقليل العلم وكأن رصيد مذهب الآريا كله يتكـــون، إلا ما شذ وندر، من عامة الناس هؤلاء؛ فلماذا الاعتراض على حديثي الإسلام من الآريين المساكين الذين تدبروا كثيرا في الأركـــان الثلاثـــة المذكورة قبل إسلامهم؟

لقد قلت مرارا بأنه من المحال القولُ بأنه يجب على المـــرء قـــراءة كتابِ دين آبائه الذي اعتنقوه كابرا عن كابر وتفسيره من البداية إلى النهاية درسا درسا قبل اعتناق دينٍ. فلا يستطيع أحد من الآريين ولا

قسيس أن يحقق هذا الشرط، بل هذا طعن بغير حق وبعيد عن صدق المقال. والحق أن الحائزين على شهادة العالِم والفاضِل قلة في كل دين، بل عدد الكُمَّل من حيث التبحر العلمي لا يتجاوز عشرة أو عشرين شخصا في كل بلد، أما عامة الناس -ويُعَدّون بعشرات الملايين- فلا يُسمَّون بانديتات ولا يلقَّبون بلقب القسيس ولا يلبسون على رؤوسهم عمامة المشيخة بل معظمهم يكونون باحثين عن الحق، فيكفيهم أن يروا ما هو تعليم دين معين عن الله وعن الخلق، وما هي نتيجة ذلك التعليم؟ هل يوصل المرء إلى الله تعالى ويُريه ذاتَ ذلك الخفيِّ الذي هو الإله الحيّ عيانا؟ أم يسلِّمه لبيان القصص والحكايات فقط؟ لقد شرحت الأمور الثلاثة قبل قليل، ويدرك العقل السليم أيضا بالبداهة أنه إذا وجد المرء أن دينا معينا كاملٌ في هذه الأمور الثلاثة فهو صادق دون غيره لأنه من المحال تماما أن ينال المرء هذه الطمأنينة في دين باطل.

والآن أبين وأثبت للقراء الكرام بكل قوة وشدة أن المحاسن الثلاث المذكورة توجد في الإسلام وحده. أما بقية الأديان الموجودة على وجه الأرض بما فيها مذهب الآريا والمسيحية وغيرهما فهي خالية من هذه المزايا والمحاسن الثلاث. وسأتناول بإيجاز دون إطالة ذكر الإسلام وهاتين الديانتين من منطلق المزايا المذكورة آنفا بإذن الله تعالى.

الأول:

ما هو تعليم المسيحيين والآريين، وما هو تعليم القرآن الكريم عن الله تعالى

يقول المسيحيون بأن عيسى عليه السلام هو الإله الكامل عندهم الذي فيه أربع أرواح؛ (١) روح الابن و(٢) روح الآب، و(٣) روح روح القدس و(٤) روح الإنسان. وهذا الإله الرابوعي سيبقى رابوعا إلى الأبد، بل لو أطلقنا عليه خاموسا لكان ذلك في محله، لأن الجسد أيضا سيرافقه دائما، ولكنهم لم يردُّوا إلى الآن على سؤال: هل الذي فُصِل من جسم الإله عند الختان أو ما ظل يتحلل أو ينقص نتيجة تقليم الأظافر أو حلق الشعر سيُضاف إلى الجسم الموجود حاليا مرة أخرى في وقت من الأوقات أو يبقى مفصولا عنه إلى الأبد؟

كل عاقل يعلم أن مسألة العلم الطبيعي المسلَّم بها والمقبولة والمجرَّبة هي أن جسد الإنسان القديمَ يتحلل كليًّا في ثلاث سنوات ويحل محلّه جسد جديد تماما، وتتلاشى ذراته القديمة. فمن منطلق هذا الحساب لا بد أنه قد تَحلَّل أحد عشر جسما للمسيح وحلّ محلها أحد عشر جسما جديدا في غضون ٣٣ عاما. هنا ينشأ سؤال طبيعي: هل تلك الأجساد الـ ١١ المفقودة ستنضم مرة أخرى إلى جسد المسيح الحالي أم لا؟ وإذا

كان الجواب بالنفي فهل كانت جديرة بالفصل الدائم بناء على ذنب من الذنوب أو فُصِلت لسبب آخر؟ وما هو سبب هذا الترجيح بلا مرجّحٍ؟ ولماذا لا يجوز أن يُفصَل الجسمُ الحالي وتُعاد إلى المسيح أجسام سابقة؟ وما دام قد تبين بالتجربة ١١ مرة أن المسيح ظل ينال جسما جديدا بعد كل ثلاث سنوات مثل بقية الناس تماما وبذلك كان قد حاز على ١١ جسما على مرّ ٣٣ عاما؛ فلماذا يلازمه الجسم القديم الآن بعد مرور ألفَي عام ولا ينفك عنه؟ إذا كانت ألوهيته هي السبب لكون جسده غير فانٍ، فإن تلك الألوهية كانت موجودة فيه من قبل أيضا حين كان يخلع الجسم القديم كل ثلاث سنوات. وإذا كان ذلك الجسم -قرين الألوهية- يصير ترابا وغبارا، فلماذا لم ينفصل عنه الجسم الحالي؟ ثم فكّروا قليلا أن انفصال ذرات جسم الإنسان القديمة عنه ليس أمرا غير عادي، بل تُفصل الزوائد حتما من جسم الإنسان بعد خروجه من الرحم فورا، كما يضطر إلى تقليم الأظافر وحلق الشعر دائما. وفي بعض الأحيان ينْحَلُ جسم المرء بسبب المرض ويحل محله جسم جديد نتيجة الأكل والشرب. ولكن مما لا شك فيه أن في انفصال ١١ جسدا للإله منه إهانة شديدة له. لو أُجيب على هذا -كما أُقِرَّ بوجود سرٍّ في اعتقاد الأرواح الأربع- أن في ذلك سِرًّا، فيضطر المرء إلى إنهاء النقاش في الحال. ولكن تقديم عذر السرّ مرة بعد أخرى تكلُّفٌ وضعف.

والأمر الغريب الآخر هو: لماذا سمِّي هذا الخاموس ثالوثا، ما دامت الأرواح الأربع في جسم المسيح أبدية وغير فانية وستبقى معه إلى الأبد بموجب اعتقاد المسيحيين؟ ولأن الروح الإنسانية أيضا لن تنفصل عن هذه المجموعة لكونها غير فانية كما لن ينفصل الجسد فقد صار ذلك خاموسا وليس ثالوثا. فمن الواضح أنه قد صدر من واضعي الثالوث خطأ كبير إذ اعتبروا الخاموس ثالوثا ولكن يمكن تدارك هذا الخطأ الآن أيضا. فكما اقتُرحت قبل فترة كلمة "الثالوث" للتعبير عن التثليث كذلك يمكن الآن اقتراح كلمة التخميس بدلا من التثليث لأن إصلاح الخطأ ضروري. ولكن من المؤسف أن هذا الإله ذي الشُعب الخمس يخضع لشيء من الإصلاح بين الفينة والفينة.

فملخص الكلام أن المسيحية خالية ومحرومة من التوحيد. بل أعرض هؤلاء القوم عن الإله الحق واتخذوا لأنفسهم إلـها جديدا هو ابن امرأة إسرائيلية. ولكن هل إلههم الجديد هذا قادر كالإله الحق؟ إن سوانح حياته خير شاهد للبتِّ في هذا الموضوع، لأنه لو كان قادرا لما عانى على أيدي اليهود، ولما زُجَّ به في سجن السلطنة الرومية ولما علِّق على الصليب، بل لنزل من الصليب حين طالبه اليهود وقائلين: أنزِلْ من الصليب بنفسك سنؤمن بك فورا، ولكنه لم يُظهر قدرته في أيّة مناسبة. أما معجزاته فليكن واضحا أنها أقل بكثير من معجزات معظم الأنبياء

الآخرين. فمثلا لو قارن أحد من المسيحيين معجزات المسيح ابن مريم مع معجزات النبي إيليا المذكورة في الكتاب المقدس مفصَّلا بما فيها إحياء الموتى أيضا لاضطر إلى الاعتراف حتما بأن معجزات النبي إيليا أعظم بكثير من معجزات المسيح ابن مريم شأنا وشوكة وكثرةً. غير أنه قد ذُكرت في الأناجيل مرارا معجزةٌ أن يسوع المسيح كان يُخرج الجنَّ من المصابين بالصرَع. وقد عُدّ ذلك معجزة كبيرة بينما هي مدعاة للضحك عند الباحثين. لقد أثبتت البحوث الحالية أن مرض الصرع ينتج عن الضعف الدماغي أو في بعض الحالات تتكوّن في الدماغ كتلة ما أو قد يكون الصرع عرَضا لمرض آخر. ولم يقل هؤلاء الباحثون قط بأن الجنّ أيضا يسببون هذا المرض.

من جملة منن القرآن الكريم على المسيح ابن مريم أنه ذكر بعض معجزاته دون أن يقول بأنه كان يُخرج الجنّ أيضا من المصابين بالصرع. وليس الهدف من وراء ذكر معجزات المسيح ابن مريم في القرآن الكريم أنه قد صدرت منه معجزات كثيرة بل لأن اليهود كانوا ينكرون معجزاته تماما وكانوا يسمونه مكّارا ومحتالا. لذا فقد عدّ الله تعالى المسيحَ ابن مريم في القرآن الكريم صاحب معجزات تفنيدا لاعتراض اليهود، وللحكمة نفسها سمّى أمّه صدّيقةً لأن اليهود رموها بتهمة باطلة. إذًا، فليس السبب وراء تسمية مريم صدّيقةً أنها كانت

أفضل من جميع السيدات الطاهرات والصالحات بل الهدف من هذه التسمية هو ذبّ اعتراض اليهود ودفعه.

كذلك جاء في الأحاديث أن عيسى وأمّه كانا بريئين من مس الشيطان، فهذا القول أيضا لا يعني أن الأنبياء الآخرين ما كانوا بُرآء من مس الشيطان، بل لـمّا اتُّهِم المسيح بولادة غير شرعية وعُدّت مريم امرأة غير طاهرة فكان الغرض من وراء ذلك هو دحض التهم الملصقة بهما. كذلك إن ولادة المسيح عليه السلام ليست بالأمر الذي يمكن أن يستنبط منه ألوهيته. فلدرء هذا اللبس ذُكرت في القرآن الكريم والإنجيل قصة ولادة عيسى ويحيى في مقام واحد ليعرف القارئ بأنه مع أن كلتا الولادتين كانتا خارقتين للعادة ولكن لا يمكن لأحد أن يصبح إلها بسببها، وإلا فيجب أن يكون يحيى الذي يسميه المسيحيون يوحنا إلها. بل الحق أن كِلا الأمرين يشير إلى أن النبوة ستُرفع من العائلة الإسرائيلية؛ بمعنى أن أبا يسوع المسيح لم يكن من بني إسرائيل، و لم يكن أبو يحيى وأمه قادرَينِ على أن يُنجبا ولدا من نطفتهما، وبذلك خرج كلاهما من سلسلة بني إسرائيل. وكانت في ذلك إشارة إلى مشيئة الله في المستقبل أيضا أنه تعالى سوف ينقل النبوة إلى عائلة أخرى. والمعلوم أنه ليس لعيسى عليه السلام أبٌ إسرائيلي، فأنّى له أن يكون من بني إسرائيل؟ لذا

إن وجوده ينفي دوام النبوة في بني إسرائيل، كذلك إن يوحنا أي يحيى ليس من قوى والديه، فهذا أيضا يشير إلى الأمر نفسه.

يتبين من هذا البحث كله أنه لا توجد في معجزة من معجزات المسيح أو في أسلوب ولادته أعجوبة لتدل على ألوهيته. وللإشارة إلى الأمر نفسه ذكر الله تعالى ولادة يحيى مقرونة بذكر ولادة المسيح ليُعلَم أنه كما أن ولادة يحيى الخارقة للعادة لا تُخرجه من دائرة البشرية كذلك إن ولادة المسيح ابن مريم لا تجعله إلها. من المعلوم طبعا أن ولادة يوحنا ليست أقل عجبا من ولادة عيسى عليه السلام بل هناك أمر واحد خارق للعادة في ولادة عيسى وهو من ناحية الأب، أما في ولادة يحيى فكِلا الأمرين خارق للعادة أي من ناحية الأب والأم أيضا. وبالإضافة إلى ذلك إن آية ولادة يحيى ظلت واضحة جدا لأن والدته لم تُرْمَ بأية تهمة إذ لم يكن هناك مجال للتهمة لكونها عقيما. أما مريم فقد وُجِّهت إليها تهمة، فجعلت أعجوبة ولادة عيسى عليه السلام هباء منبثًّا. ولكن ليس اليهود وحدهم مخطئين في إلصاق هذه التهمة، بل صدر من مريم عليها السلام أيضا خطأ كبير هيأ لليهود فرصة لاتهامها. والخطأ هو أن مريم عندما رأت في الكشف ملاكا بشّرها بالحمل أخفت رؤياها عمدًا، ولم تذكرها لأحد، لأن أبويها كانا قد نذراها لخدمة بيت المقدس لتبقى زاهدة ومنصرفة إلى خدمة بيت المقدس دون أن تتزوج أبدا. وقد لُقِّبت

بالبَتول وعاهدت في نفسها أيضا ألا تتزوج بل ستعيش في بيت المقدس. فبرؤية هذه الرؤيا خافت بأنها إن ذكرت للناس أن الملاك بشّرها بالولد فقد يظنون أنها تريد أن تتزوج، لذا كتمت الرؤيا في نفسها، ولكن الرؤيا كانت صادقة، فحملت على إثرها. ولكنها ظلت غافلة عنها إلى مدة من الزمن. وعندما مرّ الشهر الخامس على الحمل ذاع الخبر أن مريم حامل، وحينذاك سردت للناس رؤياها، ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان فلم يُجدِ نفعا، فأنكحها كبار القوم شخصا يُدعى يوسف بُغية الستر، وبذلك تكدَّرت هذه الآية.

أما نبوءات المسيح عليه السلام فيضحك عليها اليهود إلى الآن، لأن وقوع الزلازل والمجاعة ونشوب الحروب أمور معتادة الوقوع وتحدث دائما بين فينة وفينة. ويقول اليهود أيضا بأنه لم يتحقق له قول قط كان مبنيا على نبوءة. فاعتراضاتهم هذه لا تزال غير محلولة إلى الآن بما فيها أن عيسى عليه السلام بشر بالجنة حوارييه الاثني عشر الذين كانوا بين يديه، بل حدَّد لهم اثني عشر كرسيا أيضا. ولكن بقي في نهاية المطاف أحد عشر حواريا من جملة الاثنَي عشر، إذ ارتد الثاني عشر أي يهوذا الإسخريوطي، وجعل عيسى عليه السلام يُقبض عليه مقابل ثلاثين درهما من الفضة. لو كانت النبوءة من عند الله لما ارتد يهوذا. ومن جملة اعتراضاتهم أن نبوءته بعودته إلى الدنيا، والناسُ في ذلك العصر أحياءٌ، بطلت أيضا كليا

لأنه قد مرّ ١٩٠٠ عام ومات أناس ذلك العصر منذ مدة وصاروا ترابا ولكنه لم يعد.

فيتبين من كل هذه الأمور أنه ﷺ ما كان قادرا على شيء قط، بل كان إنسانا ضعيفا متسما بالضعف وعدم العلم بمقتضى بشريته. ويتبين من الإنجيل أنه ﷺ لم يكن عالما بالغيب قط؛ لأنه ذهب إلى شجرة التين ليأكل من ثمرها و لم يعلم أنها لا تحمل ثمارا. وقد أقرّ بنفسه أنه ليس لديه علم بالساعة. فلو كان إلـها لعلم بالقيامة حتما. كذلك لم تكن فيه أية علامة للألوهية، و لم يكن فيه شيء لم يوجَد في غيره. يعترف المسيحيون أنه مات أيضا مرة. فما أشقى فئة يموت إلـههم! أما القول بأنه أُحيي ثانية فليس مما يُطَمْئن القلوبَ، لأن الذي أثبت بموته أنه يمكن أن يموت، فكيف يمكن الاعتداد بحياته.

يتبين من هذا البحث كله أن المسيحية المعاصرة ليست من الله قط لأن الذي اتّخذوه إلها لا يمكن أن يكون إلـها بحال من الأحوال، إذ لا تصيب المنيّة إلـها، ولا يمكن أن يكون محروما من علم الغيب.

والآن نختبر مذهب الآريا على المحك نفسه لنعرف هل يؤمنون بالله الحق والكامل والواحد الذي لا شريك له أم هم منحرفون عنه. فليتضح أن العلامة الأولى لمعرفة الله هي التوحيد؛ أي الإيمان بالله واحدا في ذاته وصفاته، وعدم إشراك أحد في أية صفة من صفاته. ولكن من المعلوم أن

أتباع مذهب آريا يعدُّون كل ذرة شريكة في صفةِ أزليـــةِ الله تعـــالى[١].
وكما أن الله تعالى ليس محتاجا إلى خالق لوجوده وبقائه كذلك الأرواح وذرات الأجسام أيضا ليست محتاجة إلى خالق لوجودهـــا وبقائهـــا -بحسب زعمهم- بل هي قديمة وأزلية مع قواها كلها، وهـــي خالقـــةُ وجودِها بنفسها. فمن هنا يتبين أنه لا تبقى من وحدانية الله ولا مـــن عظمته شيء بسبب هذا الاعتقاد. بل لا يقوم في هذه الحالة برهان على معرفته ﷻ أيضا لأن الصانع يُعرف من خلال مصنوعاته. فإذا كانـــت كافة قوى الأرواح والأجسام أزلية ومن تلقاء نفسها فأيّ دليل يقـــوم على وجود الله؟ وكيف علِم العقل البشري أنه موجود؟ ليس في محلـــه القول بأنه ﷻ يربط الذرات مع بعضها ويخلق العلاقـــة بـــين الـــروح والجسد فيُعرف بناء على هذه العلاقة، إذ لا يمكن تسمية أحد إلـــــها نتيجة الربط والوصل فقط. والسبب في ذلك أنه إذا أمكن اعتبار أحـــد إلـــها نتيجة الربط والوصل فقط لأمكن أن يسمّى النجارون والبنّاؤون كلهم آلـــهة، لأنهم أيضا بارعون في عملية الربط والوصل.

---

[١] لا يجوز الاعتراض هنا أن المسلمين أيضا يحسبون الأرواح البشرية أبدية، وذلك لأن القرآن الكريم لا يعلّم أن الأرواح البشرية أبدية بحسب مقتضى ذاتها بل يعلّم أن هذه الأبدية إنما هي عطاء من الله للأرواح البشرية، وإلا فإن الروح البشـــرية أيضا قابلة للفناء مثل أرواح الحيوانات الأخرى. منه.

انظروا ما أغرب الصنائع التي أوجدها الصنّاع الأوروبيون المعاصرون! فقد أوجدوا للعميان بالولادة أداة ليبصروا بها. وما زالوا يخترعون شيئا جديدا في كل يوم جديد حتى اخترعوا وسيلة لنفخ الروح في حيوانات ميتة نوعا ما؛ بمعنى أنه إذا مات حيوان دون أن تتضرر أعضاؤه الرئيسة و لم تمض على موته فترة طويلة فيُحيونه من جديد نتيجة تدابيرهم، مع أن تلك الحياة لا تكون حياة حقيقية، ولكن لا شك في قيامهم بالعجائب على أية حال. وهذه الظاهرة منتشرة في أميركا على نطاق واسع في هذه الأيام. فهل يمكن تسميتهم آلهة بسبب هذه الصناعات؟

فالحق أن الخاصية التي تتسم بها قدرة الله وبسببها يسمَّى ﷻ إلها إنما هي خاصية خلق القوى الروحانية والمادية. فمثلا خلق الله ﷻ في جسم الحيوانات عينين، ولكن لا تكمن عظمته الحقيقية في ذلك فقط، بل عظمته الحقيقية تكمن في خلقه ضمن ذرات الجسد قوى كامنة سلفا يمكن أن يتولّد فيها نور الإبصار. فإذا كانت هذه القوى من تلقاء نفسها فهذا يعني بأن الله ليس بشيء. يقول مَثل أردي ما مفاده: الزيت يجعل الطبخ لذيذا ولكن تُمدح عليه الكنّةُ الكبرى. أي أن تلك القوى تخلق الإبصارَ تلقائيا، ولولا تلك القوى في ذرات العالم لذهبت الألوهية سُدى.

من الواضح أن مدار الألوهية كلها أن الله تعالى خلق جميع القوى والقدرات في الأرواح وذرات العالم كلها ولا يزال يخلقها، وأودعها خواصَّ متنوعة ولا يزال يودعها. فهذه الخواص هي التي تُري عجائبها عند الربط والوصل. لذا لا يمكن أن يساوي بالله تعالى أيّ مخترع لأن كل شخص سواء أكان قد اخترع القطار أو نظام البرقية أو تصويرا أو مطبعة أو صناعة أخرى لا بد له من الإقرار أنه ليس موجد تلك القوى التي استُخدمت لصنع ذلك الشيء. بل الحق أن كل هؤلاء المخترعين يستخدمون القوى الموجودة سلفا، كما تُستخدم قوة البخار لتسيير القاطرة. فالفرق هو أن الله تعالى خلق بنفسه تلك القوى في العنصر وغيره، ولكن هؤلاء الناس لا يستطيعون أن يخلقوا تلك القوى أو القدرات. فما لم يُعتبَر اللهُ تعالى موجد ذرات العالم وكافة القوى في الأرواح فلا تثبت ألوهيته قط. وفي هذه الحالة لن تكون درجته أعلى من البنَّاء أو النجار أو الحداد أو الخزاف، وهذا أمر بديهي لا يمكن دحضه. فعلى الذكي الفطين أن يرد على ذلك بعد تفكير رصين لأن الرد دون التفهُّم ليس إلا هراء.

هذا هو مثال التوحيد عند أتباع مذهب آريا. أما الأمر الثاني؛ أي إلى أيّ مدى يعُدّون إلههم قادرا؟ فذلك واضح بيّن لأنه ما دام مبدؤهم المسلَّم به أن إلههم لم يخلق الأرواح ولا ذرات الأجسام فيتبيّن من ذلك

أن قدرة الإله مقتصرة عندهم على أنه يربط فقط بين الروح والجسد. أما الخواص والمزايا المتميزة والقوى الغريبة في الأرواح والأجساد فهي أزلية ومن تلقاء نفسها ولا دخل للإله فيها. فيتبين من ذلك أن قدرات الإله لا تفوق عندهم قدرات النجارين والحدادين وغيرهم من الصنّاع، إذ يمكن أن تُحسَب قدراته أكبر منهم إذا كان ﷻ خالق هذه القوى والمزايا والخواص. ولكن لما كانت هذه القوى والخواص والمزايا وكافة أنواع القدرات والأرواح وذرات الأجسام قديمة وأزلية كقِدم الأرواح وذرات الأجسام وأزليتها فلا بد من الاعتراف في هذه الحالة بأن الإله الذي لم يخلق تلك الأرواح والذرات لم يخلق قواها أيضا، لأنه ما من شيء يمكن أن يبقى منفصلا عن قواه، بل تكون قوى كل شيء معه دائما وهي التي تُبقي صورته النوعية قائمة. وإذا بطلت تلك القوة والخاصية بطُل الشيء تلقائيا. لذا لو قبلنا أن الله تعالى لم يخلق الأرواح وذرات العالم لاضطررنا إلى الاعتراف إلى جانب ذلك أنه لم يخلق قواها ومزاياها وخواصها أيضا. والنتيجة التي تُستنبَط من ذلك بداهةً هي أن قدرة الله ليست أكثر من قوة البشر وقدرتهم، لأننا نقول مرارا وتكرارا بأن القدرة التي توجد في الله أكثر من البشر هي أنه ﷻ خالق القوى والمزايا والخواص بقدرته. أما الإنسان فمهما تقدَّم في أنواع الاختراعات فإنه لا يستطيع أن يخلق القوى والمزايا والخواص في الأرواح والأجسام

بحسب رغبته، بل يستخدم القوى والمزايا والقدرات التي خلقها الله سلفا. ومن أجل الهدف الذي أراد الله تعالى تحقيقه في الإنسان فقد خلق فيه سلفا كل القوى اللازمة لتكميل ذلك الهدف؛ فمثلا توجد في أرواح البشر قوة الحب، ويستطيع العقل السليم أن يفهم جيدا أن هذه القوة قد خُلقت في روح الإنسان ليحب، بكل قلبه وبكل قوته وبكل حماسه، حبيبه الحقيقي الذي هو ربّه، وإن أحب غيره خطأ منه واعتبر غيرَه محل عشقه وحبه.

فهل لنا أن نقول بأن قوة الحب هذه -الموجودة في روح البشر التي لا شاطئ لأمواجها، والتي يستعد الإنسان للتخلي عن نفسه أيضا عند هياج ثورتها- توجد في الروح منذ القِدم ومن تلقاء نفسها؟ كلا. وإن لم يخلق الله تعالى بيده قوة الحب في الروح بغية توطيد علاقة الحب بينه وبين الإنسان، و لم يخلق هذه العلاقة بنفسه، فهذا يعني أن كل ذلك حدث صدفة، وأنه من حسن حظ الإله أن قوة الحب وُجدت في الأرواح. ولو تصادف عكسُ ذلك، بمعنى أنه لو لم توجد في الأرواح قوة الحب؛ لما خطرت ببال الناس فكرة الإله قط، ولما استطاع الإله أن يفعل شيئا تجاه ذلك لأن الخلق من العدم مستحيل. وإلى جانب ذلك يجب التفكير أيضا أن مؤاخذة الله على عدم الإيمان والعبادة والأعمال الصالحة تدل على أنه خلق بنفسه قوى الحب والطاعة في روح الإنسان،

لذلك هو يريد أن يفنى الإنسانُ -الذي وضع ﷻ فيه تلك القوى- في حبه وطاعته؛ وإلا لماذا نشأت في الإله رغبة في أن يحبه الناس ويطيعوه، ويجعلوا سلوكهم وكلامهم مطابقا لمرضاته؟ نرى أنه لا بد من وجـــود التطابق، نوعا ما، بين شيئين من أجل الجذب المتبـــادل؛ إذ يســـتأنس الإنسان إلى الإنسان والشاةُ إلى الشاة والبقر إلى البقر ويستأنس الطـــائر إلى طائر من جنسه. فإن لم تكن لقوى الإنسان الروحانية والمادية أدنى علاقة بالإله فأيّ اشتراك سيؤدي إلى نشوء الجذب المتبادل بينهما؟ إذ لا يكفي الاشتراك الربط والوصل بأيّ حال، لأن النجارين والحدادين كما ذكرنا آنفا يضاهون الإله من حيث الوصل والربط. فلو انخلع عضو من أعضائنا من مكانه الطبيعي ثم أعاده أحد إلى مكانه الأصلي، أو إذا بُتر أنف أحد ثم كساه أحد لحما طريا وأصلحه فهل سيصبح إلـــهًا؟ لقـــد دُعي الله تعالى أبًا على سبيل الاستعارة في كتب قديمة، وقال تعـــالى في القرآن الكريم: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾[1]. وقال أيضا: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2]. أي أن الله هو النور الحقيقي، وكل نور في الأرض والسماء ينتج عنه. لذا فإن إطلاق "الأب" على الله على ســـبيل

---

[1] البقرة: ٢٠١

[2] النور: ٣٦

الاستعارة واعتباره مصدر كل نور يشير إلى أن لروح الإنسان علاقة متينة بالله.

الآدمي يسمّى في العربية "إنسان" أي فيه أُنسانِ، أُنسٌ لله وأُنس لبني البشر. ويسمّى في الهندية "مانُس" وهو تحوير كلمة "المأنوس". فيتبين من ذلك أن للإنسان أُنسا طبيعيا مع ربه. والحق أن خطأ الشرك أيضا ناتج عن البحث عن الإله الحق. إننا نشهد بكامل الإيمان والمعرفة التامة أن مبدأ مذهب الآريا بأن الأرواح والذرات قديمة وأزلية وغير مخلوقة بكل قواها ليس صحيحا، لأن ذلك يؤدي إلى قطع العلاقة بين الله وعباده نهائيا. وهو مذهب جديد ومكروه قدّمه الباندِيت ديانند، ولا ندري مدى علاقة هذا المذهب مع الفيدا، ولكن ما نقوله هو أن هذا المبدأ الذي نشره أتباع مذهب آريا بأنفسهم لا يصح قط عند العقل السليم وبعد المعرفة الكاملة والتدبر والتأمل الرصين. أما مبدأ "سناتن دهرم" مقابل ذلك، وإن كانت مبالغات "فيدانتا[1]" غير المبررة قد شوهت صورته وهيأ إفراط "أهل فيدانتا" الفرصة للاعتراضات الكثيرة عليه، مع ذلك يوجد فيه لمعان الصدق. وإذا أزيلت الزوائد عن هذا

---

[1] معناها ختام الفيدا وتسمى الأوبانيشاد أيضا، وهي جزء أخير من الفيدا يمثل الأساس النظري للهندوسية الكلاسيكية ويتلخص في البحث عن الذات والوصول إلى الله. ويسمى العامل بهذه الفلسفة بـ"الفيدانيّ" أي "أهل فيدانتا". (المترجم)

الاعتقاد فهو يتلخص في أن كل شيء خُلق بيد الله. وفي هــذه الحالــة تزول الشبهات كلها، ويضطر المرء إلى الاعتراف بأن معتقَـد الفيــدا بحسب مذهب سناتن هو أن كل هذه الأرواح وذرات الأجسام وقواها وقدراتها ومزاياها وخواصها إنما هي من عند الله.

ليكن معلوما أن المذهب القديم في الهند الذي يعتنقه عشرات الملايين الناس هو "سناتن دهرم". ومع أن الناس شوهوه وأن عبــادة الأوثــان والآلــهة وكثير من بدعات الشرك الأخرى مثل تأليه الرسل والأنبيــاء صارت جزءا من هذا المذهب، فمع ذلك توجد فيه أمور جيدة كــثيرة إذا عزلنا عنه الأخطاء المذكورة آنفا. لقد كان في هذا المذهب كبــار الأولياء والقديسون والرهبان، كما وُجد فيه زهاد ونساك كبار قــاموا بجهود ومجاهدات شاقة سواء أقَبِل أحد ذلك الآن أم لا. أما المــذهب الذي قدمه البانديت ديانند فليس فيه تلك الروحانية التي وجدها صلحاء سناتن دهرم وإن كانوا قد فقدوها في الأخير بخلط الشرك بمعتقداتهم. لا يمكن أن تكون علاقة المخلوقات بالله تعالى حقيقية إلا إذا كان الله هو خالقها، ولا يمكن أن تنشأ الوحدة فيمن كان موصوما بوصمة المغايرة. لقد سمعنا من كبار البانديتات أن المذهب الذي قدمه البانديت ديانــد اعتنقه في هذه البلاد أناس كانوا يتبعون رأيهم وعقلهم النــاقص مثــل الفلاسفة الإغريق الضالين لذا لم يبالوا بالفيدات شيئا. وغاية ما كــانوا

يفعلونه هو أنهم كانوا يقرأون على الناس، بُغية إمالتهم عبارة مؤَوَّلة من الفيدا تأييدا لأنفسهم لكي ينشروا بذلك معتقدهم في الناس. وإلا فمعتقد الفيدا الحقيقي هو ذلك الذي يكمن في روح سناتن دهرم. كانت حالتهم العملية جديرة بالإشادة في زمن من الأزمان حين كانوا يقومون في الفلوات بمجاهدات وعبادات. وكانت في قلوبهم الليونة والتحضر الصادق لأن دينهم ما كان مقتصرا على القول باللسان فقط، بل كانوا يطهّرون القلوب وكانوا يبغون أن يروا في هذه الدنيا إلها سمعوا اسمه بواسطة الكتب؛ لذا كانوا يقومون بمجاهدات شاقة. وكان نور الصدق باديا في جباههم. ثم جاء بعد ذلك زمن آخر صارت فيه عبادة الأوثان والأصنام والآلهة والقديسين، بل عبادة كل شيء غريب عادة لدى أتباع سناتن دهرم. ونسوا ذلك الطريق الذي اختاره من قبل "راجه رام شندر" و"راجه كرشنا" اللذَانِ تجلّى الله عليهما بسبب إخلاصهما.

الحق أن الذين يصبحون لله حقيقة ويؤمنون بأن كل ذرة من كيانهم إنما هي من الله تعالى يُنعم الله عليهم أكثر. والذين لا يؤمنون بأن روحهم وكل ذرة من كيانهم من الله، إنهم مستكبرون. والحق أنهم ينكرون منة الله العظيمة وربوبيته التامة بل لا يعتقدون بالعلاقة بين الله وعبده حتى بقدر العلاقة الروحانية بين الأب وابنه، لأنهم يؤمنون

ويعتقدون أن هناك علاقة روحانية بين الابن وأبويه بحيث ينال نصيبا من أخلاقهما؛ فمثلا إذا كان أبو أحد يتحلى بصفة الشجاعة تتطرّق الصفة نفسها إلى ابنه أيضا إلى حد ما. والأب الذي توجد فيه سمة العقل والفراسة إلى درجة كبيرة ينال الابن أيضا نصيبا منها بالقدر نفسه. ولكن الآريين لا يعتنقون مذهبا أن ما يوجد في روح الإنسان من الأخلاق والصفات والقوى فقد نالتها من الله تعالى، لأنهم لو قالوا ذلك لاضطروا إلى الاعتقاد بأن الروح مخلوقة؛ علما أن أخلاق الإنسان إنما هي ظل أخلاق الله تعالى. فعندما خلق الله ﷻ الأرواح تسرب في العباد تأثير إلهم كما يتسرب تأثير أخلاق الأب إلى أبنائه.

لقد قلت قبل قليل بأن الله حين دعا الإنسان إليه خلق فيه قوى مناسبة لعبادته وحبه. فالقوى التي أودعها الله تسمع صوته ﷻ. كذلك حين أراد الله تعالى أن يتقدم الإنسان في معرفته، خلق في روحه حواسّ للمعرفة سلفا. وكيف كان للإنسان أن ينال معرفته ﷻ لو لم يخلقها؟ كل ما يوجد في روح الإنسان هو من عند الله في الحقيقة، وهي صفات الله التي تظهر في مرآة الإنسان. وليس فيها صفة سيئة، بل استخدامها السيّء والإفراط أو التفريط فيها هو السيّء. لعلّ أحدا يعترض هنا متسرعا أن في الإنسان حسدا وبُغضا وغيرهما من الصفات الذميمة فكيف يمكن أن تكون من الله؟ فليكن واضحا، كما قلت من قبل، بأن

الحق أن أخلاق الإنسان كلها ظــل الأخــلاق الإلـــهية، لأن روح الإنسان من الله، ولكن بسبب الإفراط والتفريط أو سوء الاســتخدام تبدو تلك الصفات بصورة مكروهة في الناس الناقصين. فمثلا إن الحسد خُلق سيٌّء جدا في الإنسان إذ يود صاحبه أن يُحرم شخص من نعمــة معينة ويحوزها هو. ولكن حقيقة الحسد هي أن الإنســان لا يقبــل أن يشاركه أحد في كمال حصل عليه. فالحق أنها صفة مــن صــفات الله تعالى الذي يود أن يرى نفسه واحدا دون شــريك. فبســبب ســوء الاستخدام صارت هذه الصفة الحميدة مكروهة، ولكنها ليست مذمومة من منطلق أن يتمنّى الإنسان أن يكسب قصب السبق في الكمال ويودَّ أن يرى نفسه في مقام الوحدة والانفراد في الروحانية.

وإضافة إلى ذلك لو لم نؤمن بالله قادرا لبطلت جميع آمالنا المعلَّقة به، لأن استجابة أدعيتنا تتوقف على أن الله يستطيع أن يخلق متى ما يشاء في ذرات الأجسام أو الأرواح قدرات لم توجد فيها من قبلُ. فمثلا كثيرا ما أدعو لشفاء مريض وتكون علامات الموت بادية عليه في الظــاهر، عندها أدعو الله أن يخلق في ذرات جسمه قوة تنقذه من الموت؛ فــأرى أن دعائي هذا يُجاب في معظم الأحيان، وأُعطَى على الأغلب علمًا في البداية أن فلانا على وشك الموت وأن قوى حياته موشكة على الانهيار، ولكن حين أُكثر من الدعاء حتى يبلغ قمَّته وتكون حالتي شبيهة بالموت

بسبب كثرة الدعاء والقلق والكرب، عندها أتلقى وحيا من الله أنه قد خُلقت في هذا الشخص قوى الحياة من جديد. عندها تطرأ عليه بوادر الصحة دفعة واحدة وكأن الميت يعود إلى الحياة.

كذلك أذكر أنني حين دعوت الله تعالى في أيام الطاعون أن أنقِذني من هذا البلاء يا ربي القدير، واخلُق في جسمي خاصية ترياقية تُنقذني من سم الطاعون؛ خلق الله تعالى فيَّ تلك الخاصية وقال ما مفاده: سأحافظك من موت الطاعون، وكذلك سأحافظ كلّ مَن في دارك الذين لا يستكبرون، أي لا يتمردون على طاعة الله بل هم أتقياء. وكذلك سأحافظ قاديان من الطاعون الجارف ومن الدمار العام، أي لن يحل بقاديان ذلك الدمار الذي سيبيد القرى الأخرى تماما. فقد رأينا وشاهدنا تحقق كلمات الله تعالى كلها. فهذا هو إلهنا الذي يخلق في ذرات العالم قوى ومزايا وخواصَّ جديدة، ولم نعثر على أيّ أثر للطاعون الجارف على هذا المنوال في البنجاب منذ خمس مائة سنة ماضية، فأين كانت هذه الذرات حينذاك؟ فقد خُلقت الآن حين أراد الله خلقها، وسوف تتلاشى في وقت يريد الله به القضاء عليها. إنّ تحاشِينا حيلة إنسانية أي مصل الطاعون بتعليم من الله، سيكون آية لجميع الآريين، مع أن كثيرا من الناس ممن أخذوا المصل رحلوا من الدنيا ولكنني ما زلت حيا أُرزق بفضل الله تعالى. فهكذا يخلق الله تعالى

الذرات كما خلق الذرات الترياقية في جسمي أنا. كـــذلك يخلـــق الله تعالى الروح كما نفخ فيَّ روحا طاهرة أُحيِيتُ بسببها. لسنا محتـــاجين فقط إلى أن يخلق الله الروح ويُحيي أجسادنا، بل إن روحنا أيضا بحاجة إلى روح أخرى لتحيا بها تلك الروح الميتة. والله تعالى هو الذي يخلـــق هاتين الروحينِ. والذي لم يفهم هذا السر فهو يجهل قدرات الله وغافل عن الله تعالى.

والآن بقي أن نرى ما هو اعتقاد الآريين عن علم الله تعالى. فليتضح أن العقل السليم يدرك ضرورة كون الله عالما بالغيب دون أن يكـــون هناك أمر خافٍ لا يحيط به الله علما. ولكن معتقد الآريين يســـتلزم أن إلـــههم لا يعلم عن القوى الخفية للأرواح والذرات وخواصها شـــيئا، لأن كل ما يعلمه إلى الآن هو أن ما يوجد في أيّ إنسان أو حيوان من مزيَّة وقوة وخاصية إنما هو نتيجة أعماله السابقة. فلو كان عالما بأنـــه توجد في الأرواح أيضا -إضافة إلى الحيوانات ذات الأجسام- أنـــواع القوى والمزايا والخواص التي لا تنفصل عنها، لأوجد لها أيضا التناســـخَ ولما عدّها أزلية.

واضح أن خواص الشيء لا تنفك عنه. فمثلا لو حلّت روح الإنسان في حمار لما تخلّت عن خواصها الطبيعية بحال من الأحوال، سواء أظْهَرتْ تلك الخواص في دورة التناسخ الحالية أم لا، لأنه لو تلاشت خـــواص

الروح وقواها كليا عند تغيُّر دورة التناسخ لاستحالت إعادها كما يقول الآريون أنفسهم، لأن المجيء إلى الوجود من العدم محال. والقـــوة الـــتي انعدمت من الروح حقيقة فإن عودها إلى الروح ثانية واستقرارها فيهـــا بمنــــزلة المجيء إلى الوجود من العدم. وإن كانت قوى الأرواح لا تنعدم في دوامة التناسخ، فهذا يعني أن التناسخ لم يؤثّر فيها شيئا. فلما أبقـــى الإلـــه تلك القوى غير المنفكة خارج دوامة التناسخ، تبيّن من ذلك أنه لا يدري عن تلك القوى والمزايا الكامنة شيئا. ولا يدري كذلك ما هي الأعمال التي بسببها نالت الأرواح تلك القوى والمزايا والخواص.

إضافة إلى ذلك إذا كان الإله يعلم علما كاملا بماهية الروح وماهية خواصها وقواها فلماذا لا يقدر على خلقها؟ من المسلَّم به عند الآريين أن عدد الأرواح محدود وتكمل دورها في وقت محدود، فلماذا لا يقدر الله على خَلق ما هو محدود ومعلوم؟ ومَن جعل عدد الأرواح محـــدودا في عدد معين، إن لم يكن الله هو محدِّدها؟ إذا لم يكن الله هـــو خـــالق الأرواح فكيف يمكن أن يكون علمه بها كاملا مثل علم خالقها؟ إذ من المعلوم أن علم الصانع وعلم غير الصانع لا يمكن أن يكونا متســـاويين. فمثلا إن الذين يصنعون شيئا بأيديهم يكونون مطلعين على أدق كيفياته على عكس غيرهم. إذ لو اطّلع عليها الآخرون اطلاعا كاملا لاستطاعوا أن يصنعوه أيضا.

من المسلَّم به والمقبول أن العلم الذي يملكه الصانع لا يملكه غـــيره، وإن ظنَّ الأخير أنه حائز عليه فظنه هذا باطل. والحق أنه يكون مكنونا تحت ظل نوع من عدم العلم. فمثلا نرى كل يوم كيف يُخبَز الخبزُ، إذ تُخبَز عدة أنواع من الخبز أمام أعيننا. ولكن إن أردنا يومـــا أن نخبـــز بأيدينا ربما ستكون النتيجة أننا سوف نُفسد العجين عند العجن، فإمـــا سنجعله مَرْغًا رقيقا أو سنجعله كثيفا وصلبا، فيكون غير قابل للخبز في كِلتا الحالتين أو تتكون فيه قطع صلبة. وإذا تمكنّا بصعوبة مـــن عجـــن الدقيق بحسب المطلوب فلن نتمكّن من الخبز على ما يـــرام، وتكـــون صورته مشوَّهة ورقيقا من مكان وسميكا من مكان آخر، ويبقى غـــير ناضج من مكان ويحترق من مكان آخر. لماذا لا نستطيع أن نخبز علـــى ما يرام على الرغم من مشاهدتنا اليومية؟! بل نُفسد الأمر كله مع بذل وقت طويل؟! السبب في ذلك هو أننا لا نملك ذلك العلم الذي يملكـــه شخص يخبز أنواع الخبز بيده منذ عشرين عاما مثلا.

انظروا كذلك كيف يقوم الجراحون الحاذقون بعمليـــات جراحيـــة خطيرة لدرجة يُخرجون الحصوات من الكِلية. وهناك أطباء قد بتـــروا جزءا مجروحا وغير مفيد من جمجمة الإنسان ورقّعوها بجزء من جمجمة حيوان آخر. وانظروا كيف يتدخلون جراحيا في أعضاء حساسة بكـــل مهارة، حيث يُجرون عمليات جراحية بكل براعة علـــى خرّاجـــات

تتكون في الأمعاء، وكيف يستأصلون الساد من العين بكل دقة. ولو قام فلاح مثلا بهذه العملية دون علم وخبرة وأجرى المبضع على العين لأخرج منها مقلتها. وإذا أطلق المبضع على بطن مريض لبتر بعض أعضائه ولأودى بحياته في الحال.

من المعلوم أن الفَرق الوحيد بين الفلاح والجراح هو العلم فقط، لأن الجراح حائز بسبب كثرة الخبرة والمزاولة العملية على علم بالجراحة لا يملكه الفلاح. ترون أن الخدم والسقّائين وغيرهم موجودون في المستشفيات لخدمة المرضى ويرون دائما كيف يُجري الجراحون عمليات جراحية مختلفة ولكن لو أجرى هؤلاء العمليات لقتلوا الناس حتما. فمما لا شك فيه أن الإنسان ينال عند المزاولة العملية علمًا خاصا لا يناله غيره. لذلك لا بد للآريين من الاعتراف أنه لو كان إلههم خالق الأرواح والذرات لكان علمه أكثر بكثير من علمه الحالي. وهذا الاعتراف يدفعهم إلى اعتراف آخر أيضا بأن علم إلههم ناقص لأن الخالق وغير الخالق لا يمكن أن يكونا سواسية من حيث المعرفة بالحقيقة. وإذا اعترف المرء أن الإله لم يخلق الأرواح ولا قواها وخواصها و لم يخلق ذرات الأجسام أيضا ولا قواها وخواصها ومزاياها، فما الدليل على أن هذا الإله مطّلع على قواها ومزاياها وخواصها؟ ولا يكفي القول بأننا نعتقد أنه مطّلع عليها لأن الاعتقاد وحده ليس دليلا. ولو اعترفنا بعلمه

إلى حد ما على سبيل الافتراض المحال فلن يكون ذلك العلم مساويا لعلم يتأتّى إذا كان الإلـــه قد خلق بيده الأرواح وذرات العـــالم وقواهـــا وخواصها، لأنه من المسلَّم به عند العقلاء جميعا أن علـــم الصـــانع أو الخالق وعلم غير الخالق لا يستويان كما بيّنت من قبل. ولكن القـــرآن الكريم يعلّمنا أنه تعالى يعلم كيفيات الأرواح وذرات العـــالم وقواهـــا وخواصَها الداخلية كلها. ويقول الله تعالى في القرآن الكريم ما مفـــاده بأنني أعلم أسرار الأرواح والذرات الباطنية لأني خالق هـــذه الأشـــياء كلها. ولكن إلـــه الفيدا لا يقدّم دليلا على كيف ولماذا هو مطّلع على قوى الأرواح ومزاياها وخواصها الكامنة مع عدم كونه على علاقة أو صلة معها؟ وكذلك لماذا وكيف اطّلع علـــى قـــوى ذرات الأجســـام وخواصها ومزاياها الكامنة والخفية؟

وإضافة إلى ذلك نطّلِعُ على علم الله تعالى بواسطة وحيـــه المتجـــدد دائما، ونرى كل يوم أن الله تعالى عالم الغيب في الحقيقة، وليس ذلـــك فحسب بل نشاهد تجليات قدرته أيضا، ولكن هذا الباب أيضا موصَـــد على الآريين. لذا ما من سبيل مفتوح أمامهم لليقين بأن إلـــهم عـــالم الغيب أو قادر على كل شيء، ولا يبشّرهم الفيدا بالحصول على هـــذه المرتبة.

كذلك يعترف الآريون بأنفسهم أن إلــهـهم ليس حائزا على الكمال التام من حيث فيض ألوهيته، لأنه يُدخل الناس في دار النجاة بصورة ناقصة دائما ثم يُخرجهم منها بعد مدة -بسبب ذنب لم يرتكبوه- لئلا يحدث أيّ خلل في سلسلة التناسخ. لذا فإن قانون عقوبته ورحمته أيضا يحمل في طياته شائبة الأنانية لأنه يعلم بأنه لو عامل الناسَ بالرحمة التامة ونجّاهم للأبد لانقطعت سلسلة التناسخ للأبد، ولاضطر إلى الجلوس عاطلا بعد ذلك، ولأنه ما دام عدد الأرواح محدودا، ففي هذه الحالة لو أُعطي العابد الذي قضى جُلّ حياته في العبادة نجاة أبدية لكان واضحا أن الروح التي تنال النجاة تفلت من اليد وتتحرر من دوامة التناسخ. ولسوف يأتي حتما يوم ستنال فيه الأرواح كلها نجاة أبدية. ومن المسلَّم به عندهم أن الإله ليس قادرا على خلق الروح، ففي هذه الحالة ماذا عسى أن تكون النتيجة إلا أن تتعطل سلسلة أفعال الألوهية كلها بعد أن تنال الأرواح كلها نجاة أبدية يوما من الأيام وبالتالي لن تبقى في يد الله روح واحدة للتناسخ.

فقد تبين من هذا البيان كله أن إلـه الآريين كما أنه ليس قادرًا على خلق الأرواح كذلك ليس قادرا على تنجية الأرواح نجاة أبدية، لأنه لو نجّى الأرواح نجاة أبدية لتمزّقت لحمة سلسلة أفعاله وسداها كلها، وكأنما قد كتب على نفسه عادة البخل من أجل المحافظة على ملكوته

ويعامل عباده الصلحاء معاملة البخلاء، ويعرضهم للخزي والذلة -بعد إكرامهم- بإدخالهم في دوامة التناسخ بالتكرار ويجمع عليهم ميتات مكروهة متكررة لئلا يختل نظام ملكوته. يقرّ الآريون بأنفسهم أنه تعالى نجّى جميع الناس في العالم مرارا، ولكن أخرجهم من دار النجاة بعد فترة وجيزة وأدخلهم في أنواع التناسخ. أرجو من السادة الآريين ألا ينزعجوا من قولي لهم بكل أدب وبقدر ما أجد كلمات لينة بأن اعتراضا شديدا يقع على هذا الاعتقاد. ولا أتوقع أن أحدا من الآريين يستطيع أن يرد عليه بوضوح، وإذا استطاع سنسمعه بكل سرور. الاعتراض هو أنه ما دامت عادة الإله بسبب دافع الأنانية ألا يترك الناس في دار النجاة للأبد بل يُدخلهم في دوامة التناسخ فإن أنواع الولادات هذه ستستلزم ترجيحا بلا مرجَّح. بمعنى أن الذين نالوا النجاة لكونهم عابدين صالحين للإله، يكون مخالفًا للعدل تحويلُ بعضهم إلى رجل وغيره إلى امرأة وآخر إلى بقرة وغيره إلى ثور أو كلب وخنزير وآخر إلى قرد أو ذئب عند إخراجهم من دار النجاة، وخاصة حين ينال كل ناجٍ النجاة بعد المرور بامتحان قاسٍ، ويصل مرامه هذا بعد مروره بدوامة التناسخ إلى عشرات الملايين من السنين، ففي هذه الحالة كان واجبا أن يحظى ببعض التخفيف على الأقل ليُجعَل إنسانا. ما قصة أنْ جعل اللهُ الإنسانَ حبيبا له أولا ووهبه قربه ولكنه أخرجه من دار النجاة

بعد جعْله كلبا أو خنـــزيرا، و لم يجعل أناسا مثله كلابا بل جعلهم أناسا مع أن الجميع حققوا شروط نيل النجاة، و لم يكن للإلـــه منّـــة علـــى أحد؟ فلماذا جُعل البعض أناسا بعد أن أُخرجوا من دار النجاة وجُعـــل البعض كلابا؟ ففي هذه الحالة لم تكن العقوبة ولا الرحمة مبنيـــة علـــى العدل.

والأمر الآخر الذي لا نفهمه -هل من رجل رشيد من الآريين يفهم ذلك- وهو أن المبدأ القائل بإدخال الناجين في دوامة التناسخ بعد مدة من الزمن ليواجهوا خزي الولادات المتكررة في الدنيا مرة بعد أخـــرى يستلزم ألا يبقى ولا واحد من كبار الآريين المقدسين خارج نطاق هذا الخزي؟ مع أن هذا ليس رأينا ولا نصِمُ كرامَ قومٍ بذلّة، بـــل نـــرى أن الذي يهبه الله تعالى بفضله العظيم نصيبا كاملا مـــن معرفتـــه وحبـــه والعلاقة الطيبة معه، ويُدخله في فئة المكرَمين عنده لا يخزيه بعد ذلـــك أبدا. ولا يمكن أن يحوَّل أحد إلى كلب أو سِنَّور أو خنـــزير أو قرد بعد حيازته على تلك الدرجة العليا من قرب الله تعالى. ولكن مبدأ الآريين يقتضي أن يظل المقدسون يتقلّبون في دوامة التناسخ دائما سواء أكانوا واصلين إلى درجة الأنبياء أو الزهاد والقديسين. فنتســـاءل بكـــل أدب واحترام: هل رجال الدين والقديسون الذين نزلت علـــيهم الفيـــدات الأربعة وغيرهم من الزهاد مثل "راجه رام شندر" و"راجـــه كرشـــنا"

وغيرهما مستثنون من هذه القاعدة أم لا؟ وإذا كانوا استثناء منها فما السبب وراء ذلك، وإلا فما معنى ذكرهم بالاحترام؟ هل يقبل العقل السليم أن يُكرَم كتاب ويُعتبر كتابا سماويا وأن يُعتقَد إلى جانب ذلك أن الذي نزل عليه ذلك الكتاب ظل يتقلّب في دوامة أرذل دورات التناسخ.

باختصار، إن الذين نالوا مرتبة العزة عند الله مرة فإدخالهم في دوامة التناسخ وتحويلهم إلى كلاب وسنانير وخنازير ليس فعل ذلك الإله القدوس الذي لا يريد تدنيس أحد بعد تطهيره. وإلا لا يبقى أحد من صلحاء الآريين جديرا بالمدح باليقين لأنه لا يُدرى بأية دورة من دورات التناسخ يمر حاليا.

فحاصل الكلام أن إله الآريين لا يوصف بصفة العناد المذمومة فقط بحسب هذا المعتقد بل يُعَدّ قاسي القلب وظالما جدا وذا ضغينة أيضا، إذ إن الذين أحبوه بصدق القلب وضحّوا بأنفسهم في سبيله واختاروه إلى الأبد يُخرجهم من دار النجاة ويحوِّلهم إلى قرود وخنازير في الحال أو بعد أيام قلائل. أيّ خير يمكن أن يتوقَّعه المرء من هذا الإله؟ يجب على السادة الآريين أن يدرسوا هذا الموضوع جيدا ولا يردّوا بمحض الثورة والغضب؛ بل يجب أن يستوعبوا الموضوع جيدا قبل أن ينبسوا ببنت شفة في الرد.

إن أتباع مذهب آريا يدّعون أنه لا يوجد في الفيدا تعليم عبادة العناصر والنجوم، بل فيه تعليم عبادة الله الواحد الأحد فقط الذي لا شريك له. ولكن مقابلهم هناك مذهب "سناتن" الذي نراه منتشرا في الهند كلها ويوجد فيها عشرات الملايين من السكان ومئات الباندينات هنا وهناك ويقولون بأن تعليم عبادة العناصر موجود في الفيدات حتما، والفيدا يعلّم دون شك أن تعبدوا النار والهواء والماء والأرض والشمس والقمر. لهذا السبب يوجد في الهند عبدة هذه الأشياء منذ القِدم. إذًا، فإن عبدة نهر "الغانج" وعبدة النار الصادرة من البركان في منطقة "كانغره"، وعبدة الشمس ما زالوا يشتغلون في هذه العبادات هنا وهناك، وكلهم يدّعون الالتزام بتعليم الفيدا. وبغض النظر عن ذلك عندما نتأمل أمانة وعدلا في تراجم الفيدات المنشورة بالأردية والإنجليزية نضطر إلى الاعتراف بعد إلقاء نظرة على مئات الفقرات أنه قد دُعي فيها دون أدنى شك من النار والهواء والشمس والقمر وغيرها، واستُعين بها من أجل نيل المرادات. فننقل فيما يلي بعض الفقرات من "رِج فيدا" على سبيل المثال لا الحصر. وقد تُرجم هذا الجزء من الفيدا وقورنت مرة أخرى مع الكتاب الديني الأصلي في السنسكريتية وأُكِّد على صحتها بشهادة الباندينات، وقُبلت للتدريس في الجامعات. والفقرات هي:

"أُثني على الإله "أغني" (أي النار) الذي هو العضـو الأعظـم لأداء شعيرة "هوم"[١] والذي يوصل النذور إلى الآلهة، وهو من الأثرياء الكبار. فليوجِّه الإلهُ "أغني" -الذي ظلّ العابدون يثنون عليه في قديم الزمان ولا يزالون يمدحونه في الزمن الحالي- الآلهةَ الأخرى إلى هذا الأمـر. فيـا "أغني" الذي نشأ باحتكاك الخشبتين، اجمع الآلهة على الكلأ المحصود[٢]. فأنت داعيهم نيابة عنا، وتُعبَد. يا "أغني" قدِّم قرباننا اللذيذ أمام الآلهـة ليأكلوه. يا "أغني" قدِّم نذرنا إلى الآلهة مثل الهـواء والمـاء والشـمس وغيرهما. فيا "أغني" البريء من العيوب، أنت إلهٌ ذكي من جملة الآلهـة الأخرى. تسكن عند والدَيك وتهب لنا الأولاد، أنت واهب الثـروات كلها. يا "أغني"، يا مالك الأحصنة الحمراء: افرح بمدحنا لـك، وأتِ بثلاثة وثلاثين إلـهًا إلى هنا. يا "أغني" إن الناس يشعلونك في مكـان مصون في بيوتهم دائما. يا "أغني" الفطن الذي تحرق نفسك بنفسك قدِّم قرابيننا اللذيذة للآلهة ليأكلوها. فيا أيها الإله "إندر" والإلـه "وايو"، إن هذا الماء قد رُشّ من أجلكما، فأتيا إلى هنا مع طعام لنا. يا "إندر" ابـن

---

[١] شعيرة من شعائر الهندوس الدينية يقرأون فيها جزءًا من الفيدا ويصبون في النار الزيتَ وغيره من أشياء ذات رائحة طيبة، (المترجم)

[٢] نوع معين من كلأ يستعمله الهندوس عند قيامهم بشعيرة "هوم"، (المترجم)

العابد "كوسيكا" تعال سريعا واجعلني أنا العابد غنيًّا ثَرِيًّا.[١] فيا أيتها الشمس وأيها القمر اجعلا زمننا ناجحا وزِيدا من قوتنا. لقد خُلقتما لفائدة كثير من الناس، والكثيرون يعتمدون عليكما. (جدير بالتأمل هنا أن في هذه العبارة إقرارًا من ناحية أن الشمس والقمر كليهما مخلوق، ثم طُلبت منهما المرادات أيضا)

عند طلوع الشمس تغيب النجوم والليل مثل اللصوص. نتوجه إلى الشمس الذي هو إله جيد ضمن الآلهة كلها. فأنقذنا يا قمر من التهمة والذنب. واسعَد لتوكلنا وكن صديقا لنا. فلتزدد قوتك. يا أيها القمر، أنت واهب الثروة والمنجّي من المشاكل فأتِ دارنا مع البواسل الشجعان. يا أيها القمر ويا "أغني"، أنتما سواءٌ من حيث المرتبة فوزِّعا محامدنا فيما بينكما لأنكما ظللتما رئيسَي الآلهة دائما. أدعو الإله "الماء" الذي يشرب منه مواشينا. أيتها الإلهة "الأرض"، توسّعي كثيرا ويجب ألا تبقى عليك أشواكٌ، ولتكوني مكانا لعيشنا، وأسعِدينا."

---

[١] لقد ورد في كتب شجرة الهندوس القديمة أن ابن "كوسيكا" اسمه "وِشوا متر". يسرد "سائن" -المفسر المعروف للفيدات- في بيان كيف صار "إندر" ابنا لكوسيكا قصة وهي مذكورة في فهارس تتمة الفيدا أن ابن "كوسيكا اشراتها" تمنّى في قلبه أن يكون له ولدٌ نتيجة توجُّه "إندر" وقام بالمجاهدة والتنسك. ونتيجة المجاهدة وُلد "إندر" في بيته، وصار ابنا له. منه.

هذه بعض الفقرات التي نقلناها من "رِج فيدا" نموذجا، ومـــن أراد فليقارنها مع الكتاب الأصلي باللغة السنسكريتية. هذا، وهناك مئـــات الفقرات من هذا القبيل توجد في الفيدا. وآلاف الباندينيات من مذهب "سناتن دهرم" الموجودون في الهند يستنبطون منها أنها تُثبـــت عبـــادة العناصر. ولهذا السبب يوجد في الآريين مَن يعبدون النار والماء والشمس والقمر. ولا يشهد هؤلاء فقط على هذا المعنى بل يشهد الشهادة نفسها إلى يومنا هذا مئاتُ الباحثين في مذهب "برهمو" أيضـــا الـــذين قـــرأوا الفيدات الأربعة باللغة السنسكريتية بجهد جهيد.

والجدير بالتأمل هنا أن البانديت ديانند وحده الذي لا يتلقى وحيا أو إلهاما، يدّعي مقابل هؤلاء جميعا أن هذه كلها أسماء الإلـــه. ثم لم يَصمُد على ادّعائه إلى الأخير بل قبِل في بعض الأماكن، حيث لم يقـــدر علـــى التأويل قبِل أن المراد من النار في هذا المقام هو النار فقط والمراد من المـــاء هو الماء فقط. والقول الحق هو أن البانديت ديانند ما كان يؤول الفيدا بل كان يريد أن يختلق فيدا جديدا، إذ إن للتأويل أيضا حدودا. من المعلـــوم أنه ما كان من عباد الله السماويين الذين يتلقون الإلهام من الله، وما كان حائزا على مكالمة الله، ولم تظهر في تأييده آيات سماوية. بل كان واحـــدا من مئات الباندينيات الهندوس دون أن يملك أدنى مزيَّة خارقة. فإن قبـــول كلامه دون دليل في هذه الحالة بعيد عن العدل، وخاصة حين نجـــد أن

آلاف الباندیتات في جانب وهو وحده في جانب آخر، ولا ترافقه من الله علامة تميّزه من غيره. وما دام لم يعمل شيئا دون التأويلات فلماذا يُقبل كلامه دون تحقيق؟ لا يقول المسلمون فقط بأن الفيدات تحتوي على تعليم عبادة الخلق، بل الهندوس القدامى من أتباع "سناتن دهرم" الذين يوجد عشرات الملايين منهم في هذا البلد أيضا ظلّوا يقولون دائما بأن تعليم عبادة الخلق موجود في الفيدات. لا أستطيع أن أفهم أنه لو لم يكن تعليم عبادة الخلق في الفيدا، فكيف أمكن لآلاف الباندیتات أن يصيروا عميانا دفعة واحدة على هذا النحو ويتهموا الفيدا على عكس الحقيقة؟ الفقرات المحتوية على عبادة العناصر ليست واحدة أو اثنتين بل الحق أن "رج فيدا" كله مليء بها، فحتامَ يَسَعُ الإنسان التأويلات؟! ولو كانت هناك فقرتين أو عشر فقرات أو عشرون أو خمسون فقرة لأوَّلها المرء تكلُّفًا ولكن توجد في الفيدا مئات الفقرات من هذا القبيل، فحتام يمكن تأويلها؟! التعنت أمر آخر، ومن كان أسيرَ التعنت فليقل ما شاء، ولكن لو فكّر المرء بالعدل لما وجد إلى التأويل سبيلا.

يتوهم الآريون دون مبرر أن ما فهمه الباندیت دیانند لم يفهمه آلاف الباندیتات الآخرون. ولكن هذه الفكرة سخيفة للغاية. الفيدا موجود في أيدي فِرق ثلاث، أي أتباع سناتن دهرم، وأتباع مذهب "برهمو"، وثالثا تراجم الفيدات بالأردية والإنجليزية. ففي هذه الحالة من يستطيع أن يقبل

بأن جميع هؤلاء الناس فقدوا صوابهم عند إظهار رأيهم أن الفيدات تعلّم عبادة المخلوق، ولم يسلم من هذا الخطأ إلا الBANDيت ديانند؟ يخطر ببالي أنه يمكن أن يكون تأويل البانديت ديانند صائبا إذا استطاع الآريون تقديم فقرات كثيرة وواضحة من الفيدات تصرح بألا تعبدوا النار ولا الهواء ولا الماء ولا الشمس ولا القمر ولا شيئا آخر بل يجب أن تعبدوا الله وحده - كما قدمنا بعض الفقرات نموذجا من الفيدات التي يوجد فيها تعليم عبادة الخلق بكل قوة وشدة- ويجب أن تكون هذه الفقرات خمسين أو ستين على الأقل لأن هناك مئات الفقرات في الفيدات التي تحض على عبادة العناصر والشمس والقمر، فلا تكفي لدحضها بضع فقرات فقط؛ لأنه قد يخطر بالبال أن شخصا ما يكون قد ألحقها بالفيدات فيما بعد بغية سترها. لقد قلت ذلك من أجل الحكم في هذا الأمر. إذا وُجدت فقرات تفند شبهة عبادة الخلق قليلة العدد جدا فلا بد في هذه الحالة أيضا، أن يبلغ عددها إلى خمسين أو ستين على الأقل حتى لا يبقى مجال للشك. وإن لم تَثْبُتْ كثرة الفقرات من هذا القبيل مقابل تعليم الشرك لا يمكن لعشرات ملايين الباديتات أيضا، دع عنك البانديت ديانند وحده، أن يجيبوا بأمانة على تأويل تلك الفقرات التي تعلّم الشرك.

من المعلوم أن عشرات ملايين الناس قد ضلوا نتيجة تعليم الفيدا المذكور آنفا، وقد انتشرت في الآريين عشرات المذاهب لعبادة المخلوق. ولو

افترضنا جدلا أن أحد مفسري الفيدا أيضا فسر تلك الفقرات كما فسرها الانديت ديانند فذلك أيضا ليس جديرا بالقبول قط، لأن المفسر مثلـــه لم يدّع الإلهام والوحي؛ لذا من الممكن أن شخصا لم يعجبه تعليم الشرك قد حجب فقرات الفيدا بتأويلاته. وما دام المفسرون الآخرون قد قبلوا مقابل ذلك أن تعليم الشرك موجود في الفيدا حتما فكيـــف يمكـــن البـــتّ في الموضوع مع وجود رأيينِ؟! ولا يمكن للمرء أن يتبنّى رأيا قط بناء على تلك الأفكار سواء أكانت قديمة أم حديثة بأن الفيدا بريء من هذه الوصـــمة؛ فأين نخفي رأي بقية المفسرين؟ وكيف يمكن الإعراض دون سبب معقول عن معنًى فهمه عشرات ملايين الناس منذ البداية؟ فلما اســتخدم الفيـــدا كلمات تلوّثَ القومُ بسببها بنجاسة الشرك كان من واجبه أن يسطر بنفسه خمسين أو ستين أو مائة مرة، من أجل التأكيد وإزالة اللـــبس: ألا تعبـــدوا الشمس ولا القمر أو النار والماء وغيرها وإلا ستهلكون.

هناك أمر آخر علِمناه من تعليم القرآن الكريم وأرى ذكره أيضا هنا ضروريا تكميلا للبحث. ويخيّل إليّ أنه قد يكون هذا هو المـــراد مـــن فقرات "رِج فيدا" أيضا ثم غاب ذلك المراد عن الأعين السطحية بمرور الزمان. وممكن أيضا أن تكون في الفيدا في البداية فقرات كثيرة تفيـــد عدم عبادة النار والماء والهواء والشمس والقمر وغيرها، ثم نشـــأت في الهند فِرق كثيرة أصبحوا عبدة العناصر والشمس نظرا إلى كلمات الفيدا

الظاهرية، فأزاحوا تلك الفقرات من الفيدا شيئا فشيئا، لأن من عـــادة الإنسان أنه عندما يجد في كتاب أمرين متناقضَين بحسب فهمه وعقلـــه يحاول التوفيق بينهما. وعندما لا يتمكّن مـــن التوفيـــق يســـعى إلى أن يشطب منه بطريقة ما جزءا يعارض جزءا مسلَّما به عنده، كما يسعى المسيحيون لذلك ليل نهار، إذ إن أجزاء الأناجيل التي تشهد بصـــراحة تامة أن يسوع بن مريم كان إنسانا تشق عليهم كثيرا. لو أُلِّفت الأناجيل بالتشاور معهم لكان كثير من أجزائها جديرة بالشطب، ولا تزال هذه المحاولات جارية من خلال التراجم المختلفة.

كذلك إن البيان الذي سأورده فيما يلي، وهو ليس من عندي بـــل سأكتبه بالاستنباط من القرآن الكريم، يتبين منه أنه من الممكن أن الفيدا أيضا كان وحيا من الله تعالى في وقت من الأوقات، وأنه كان كتابـــا موحى به من الله تعالى ثم أخطأ الناس في فهم معانيه بعد مرور الزمان، مما أدّى إلى نشوء فِرق مختلفة في الآريين في الهند، فبدأ البعض بعبـــادة الشمس وغيرهم بعبادة النار وبدأ آخرون يدعون نهرَ "الغانج" لتحقيـــق أمانيهم. وحين رأت تلك الفِرق أن مئات الفقرات في الفيدا تعـــارض عبادة المخلوق أخرجوها منه مع مرور الوقت، ولم يُبقوا فيه إلا الفقرات التي كانت توحي بتعليم الشرك. وإذا ثبت أنه قد شُطبت مـــن الفيـــدا مئات الأقوال من هذا القبيل حتما، لكان ممنوعا على شخص تقـــيّ أن

يتسرع في تكذيب الفيدا على الأقل. ولا يكفي لتكذيبه أن فيه تعليم عبادة النار وغيرها ومدحها وثناءها، لأن بعض آيات القرآن الكريم كما سأوردها لاحقا تُدخل أسلوب الفيدا هذا في باب التوحيد. مع أن هناك بعض العبارات في الفيدا تفيد عبادة العناصر ويتعذر تأويلها، ولكن مما لا شك فيه أنه يمكن تأويل بعض العبارات بناء على إشارات توجد في القرآن الكريم، وسأشرح هذه القاعدة لاحقا.

إضافة إلى ذلك أنصح أيضا أفراد جماعتي بأن الفيدا كتاب خادع في حالته الراهنة، إذ نجد فيه تعليم الشرك هنا وهناك، ويلاحَظ تأثيره في عشرات ملايين الناس إذ هم نشيطون في عبادة النار وفي غيرها من العادات المشركة. بل يبدو أن عبادة النجوم والنار الملحوظة في المجوس قد وصلتهم من الفيدا نفسه. ولا يُستبعَد أن هذه التعاليم الشركية وجدت طريقها إلى الروم واليونانيين أيضا بواسطة الفيدا، لأن الآريين يظنون أن الفيدا قديم، لذا لا بد من التسليم بأن الكتاب الأقدم هو منبع كل تعليم كاذب ومبني على الشرك. والتأثير الذي تركه تعليم الفيدا يتبين من معتقدات عشرات ملايين الناس الذين يدّعون الالتزام بالفيدا. ولا يتراءى نور التوحيد في تعليم الفيدا الحالي. بل تُلاحَظ في كل صفحة من صفحاته كلمات توحي بتعليم الشرك، ويخطر بالبال عفويا أن للعدد "أربعة" علاقة مع الشرك، إذ كانت الأناجيل أربعةٌ وقدمت

إلــــهًا زائفا، كذلك الفيدات أيضا أربعة وعلّمت عبادة النار وغيرهـــا. ولكن من الممكن والأقرب إلى القياس أن هذا الكتاب تعرض للتحريف، وكان صحيحا ومن الله في زمن من الأزمان ثم فسد بتصرف الجهـــلاء وتحريفهم، وشُطبت منه عبارات تقول بألا تعبدوا الشـــمس والقمـــر والهواء والنار والماء والسماء والأرض وغيرها. ومع أن الكتاب صـــار خطيرا ومضرا نتيجة هذا القدر من التغيير والتحريف ولكنه لم يكن بلا جدوى في وقت من الأوقات.

من كان لديه إلمام بتاريخ الهندوس يعلم جيدا أن تغـــييرات كـــثيرة طرأت على الفيدات، وحرقها المعارضون في غابر الأزمان، وظلـــت إلى مدة من الزمن في قبضة أناس كانوا مشغوفين بعبادة العناصر والأوثان، وحُرّمت قراءتها إلا على هؤلاء البراهمة. لذا فإن كتب الفيدات ليســـت في متناول اليد بسهولة، بل توجد فقط في مكتبات البراهمة الكبار الذين كانوا قد صاروا عبدة الأوثان والعناصر. ففي هذه الحالة يقبل العقل أن هؤلاء البراهمة قد أضافوا إلى الفيدات أمورا شركية كثيرة. وكثير مـــن الباحثين في الهند يعتقدون أنه قد أضيف إلى الفيدات في بعض الأزمنـــة وأُنقص منها في أزمنة أخرى وأُحرقت في بعض الأزمنة. وعندما فَـــرَغَ الآريون من النـــزاعات الداخلية وقعوا في براثن حكومات خارجيـــة. لقد بقيت الحكومة الإسلامية في هذا البلد إلى سبع مائة سنة، ومعتقـــد

الآريين الذي شاهده المسلمون في أثناء هذه المدة الطويلة كان عبادة الأصنام والنار وغيرهما. لقد زار الشيخ سعدي مرة هذه البلاد وكانت عبادة الأوثان في أوجها. فيقول في كتابه "بوستان" ما تعريبه:

"قبّلتُ يد هذا الوثن المهان (رياء وقلتُ في نفسي) لعنة الله على الوثن وعلى من يعبده."

الحماس الذي يوجد في الآريين تجاه البقرة أيضا، عرقٌ من عبادة المخلوق، وإلا فما معنى هذا الهياج الشديد لحيوان؟ قبل نحو ١٣٠٠ عام فتح المسلمون جزءا من هذه البلد، كانت عبادة الأوثان والنار عندئذ أيضا منتشرة في البلاد بوجه عام. ولا يثبت من التاريخ المعلوم قط أنه قد أتى على الهند زمان كان أهلها فيه موحدين.

إن اعتراض الآريين على المسلمين بأن ملوكهم أجبروا آباءهم على ترك عبادة الأصنام كُرها وأدخلوهم في الإسلام يوحي أيضا بجلاء أن الآريين معجبون بعبادة الأوثان، ولا تثبت لهم أدنى علاقة بالتوحيد على الصعيد العملي. ويكفي دليلا على ذلك أنهم ساخطون جدا على إسلامِ عبدةِ الأوثان. لقد اختُرعت للغرض نفسه قصة وثني اسمه: "حقيقت رائي" بأن أحدا من الملوك المسلمين أراد -على حد قولهم- أن يردّه عن عبادة الأوثان ويُدخله في الإسلام، ولكن ذلك الشاب كان يعشق عبادة الأوثان، فضحى بنفسه في هذا السبيل.

فباختصار، يشهد تاريخ الإسلام منذ ألف عام تقريبا أن الهند مركز قوي لعبادة الأوثان والأصنام. من يستطيع أن يثبت أنّ هناك زمنا وُجد فيه في هذا البلد عشرات ملايين الناس الموحدين نتيجة تعليم الفيدا المقدس كما يلاحَظ فيها عشرات الملايين من عبدة الأوثان والعناصر؟ إن معبد الأصنام القديمَ لـ "جغن ناتهـ جي"، وكذلك بعض معابد الأصنام القديمة الأخرى التي يعود تاريخها إلى آلاف الأعوام على ما يبدو، تشهد بكل وضوح أن مذهب عبادة الأوثان والأصنام ليس بجديد، بل هو موغل في التاريخ. كذلك الكتب مثل "بهاغوت" وغيرها التي أُلِّفت قبل آلاف السنين كما يبدو، وكان الهندوس السذج من أتباع سناتن دهرم يقرأونها، بكل حب؛ تشهد أيضا على قِدَم الشِرك. وإلى جانب ذلك قد وُجد في هذا البلد بعض الشواهد التي تُري حالة زمن قديم كمرآة، وتشهد بأعلى صوتها أن عبادة الأصنام كانت شائعة في هذا البلد في تلك الأزمنة السحيقة أيضا. وبقدر ما يمكن تقصّي آثار التاريخ يلاحَظ أن ظلمة الشرك وعبادة العناصر وعادة عبادة الأوثان في كل زمان تُلازم الهندوسي في كل الأحوال ولا تزول عنه وصمة الشرك كليا ما لم يُسلم، سواء أانضم إلى مذهب آريا أو إلى أيّ مذهب آخر. إن مذهب عبادة الأوثان والعناصر ظل موجودا في قوم الآريا منذ أزمنة سحيقة يتعذر العثور على بدايتها. ولم يتسنّ لمؤرخي أمم أخرى أن

يشهدوا بأن الهند شهدت التوحيد أيضا في وقت من الأوقـــات. لـــن يكون من مبالغة القول إن قلنا بأنه قد خلا في الهند في ذلـــك الـــزمن السحيق عشرات ملايين الбانديتات من مؤيدي عبادة العناصر. فيُستنتج من وجود هؤلاء الباندیتات أن هذا البلد ظل زاخرا دائما بعبادة الأوثان وعبادة العناصر والأصنام كما يزخر البحر بالماء، ولم يكن التوحيـــد في نصيبه ما لم ينتشر فيه الإسلام. ولكن الملوك الذين نشروا التوحيـــد في هذا البلد واستأصلوا شأفة عبادة الأصنام هم الذين عُدّوا سيئين في نظر الآريين. فالهندوس لا يزالون يسبون "محمود الغزنوي" على هدمه معابد عبادة أصنامهم القديمة.

فباختصار، إن مذهب عبادة الأوثان والعناصر موغل في القِـــدم في هذه البلاد لدرجة يتعذر تحديد بدايته على وجه التحقيق إلا أن يُســـلَّم بأن هذا المذهب ظل يمشي جنبا إلى جنب مع الفيدا. ومع ذلك، كمـــا قلت قبل قليل بأنه يخيَّل إليّ بالنظر إلى بعض آيات القرآن أنه ربما كان تعليم الفيدا الحقيقي نزيها من عبادة العناصر، ويكون المراد من مـــدح العناصر والثناء عليها شيئا آخر. وكما ذكرت إن ظني هذا سيبلغ مرتبة اليقين عندما يثبت من خمسين أو ستين أو سبعين فقرة من الفيدا أنه يمنع بصراحة ووضوح من عبادة جميع العناصر والأجرام السماوية التي ورد مدحها وثناؤها في "رِج فيدا".

تأويل فقرات الفيدا الذي وعدتُ بإيرادها

إن تأويل فقرات الفيدا الذي ذكرته من قبل يخطر ببالي بالتأمل في بعض الآيات القرآنية. الآية الأولى هي قول الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أيْ أن الحمد والثناء كله لله الذي ربوبيته مشهودة ومحسوسة في كل عالَم؛ أي في كل أسلوب وبواسطة كل ما خلقه الله لفائدة البشر، بمعنى أن كل الوسائل المتفرقة التي يتوقف عليها بقاءِ الناس في هذه الدنيا وعافيتُهم وتكميلهم تعمل وراءها قوة واحدة خافية اسمها "الله". فمثلا تعمل الشمس لتكميل تربية نظام هذا العالم وتدفِّئ جسد الإنسان إلى حد ما لتبقى الدورة الدموية جارية فيه وتجنِّب الإنسان الموت وتدعم نورَ عينيه. فالشمس الحقيقية التي تدفِّئ في الحقيقة وتهب النور الحقيقي هو الله تعالى، لأن الشمس الظاهرية أيضا تعمل بقوة الله وقدرته. وإن عمل هذه الشمس الحقيقية لا يقتصر على مجرد إبقاء الدورة الدموية التي تعتمد عليها الحياة الجسدية جارية بحيث يجعل ﷻ قلب الإنسان أداة لهذا العمل، ويساعد نور الأعين بالنور السماوي؛ بل يختار ﷻ شخصا من جملة الناس لإيصال حياة روحانية إلى كافة أعضاء البشر ويجعله كالقلب لمجموعة سلسلة الناس التي هي بمنزلة الجسد، ويجعله أداة لإيصال دم الحياة الروحانية إلى كافة أعضاء

الإنسان. فيؤدي هذا الشخص تلك الخدمة بطبيعة الحال؛ أيْ يأخذ من جانب ويوزّع على جميع الجهات المناسبة. وكما توصل الشمس غير الحقيقية أي المادية نورا كاملا إلى الأعين وتكشف لها جميع الأشياء الطيبة والسيئة، كذلك توصل هذه الشمس الحقيقية عينَ القلب إلى منارة عليا من المعرفة وكأنها تُطلِع النهار. وكما تُنضج الشمس المادية الفواكه بمساعدة الشمس الحقيقية وتودعها الحلاوة وتزيل منها العفونة وتُلبس الأشجار كلها لباسا أخضر في فصل الربيع وتحمِّلها بثروة الثمار اللذيذة، ثم تُظهر تأثيرها في فصل الخريف على النقيض من ذلك وتُسقط أوراق الأشجار كلها وتجعلها دميمة الشكل وتحرمها من الثمار وتجعلها عارية تماما من الأوراق ما عدا تلك التي تبقى خضراء دائما فلا تُؤثر فيها؛ كذلك تماما هي أعمال الشمس الحقيقية التي هي منبع كافة أنواع الأنوار والفيوض، فتُري تأثيراتها المختلفة بتجلياتها المختلفة؛ فتخلق الربيعَ بتجلٍّ، وتأتي بالخريف بتجلٍّ من نوع آخر. وبتجلٍّ تخلق حلاوة المعرفة للعارفين، وبتجلٍّ آخر تزيل من الدنيا مادة الكفر والفسق العفنةَ.

فلو تدبر الإنسان جيدا لرأى أن جميع الأعمال التي تنجزها الشمس المادية إنما هي أظلال تلك الشمس الحقيقية. وهذا لا يعني أنها تُنجز الأعمال الروحانية فقط بل جميع الأعمال المادية الموكولة إليها لا تُنجزها بنفسها، بل الحق أن قوة المعبود الحقيقي الكامنة هي التي تعمل فيها وتنجز

جميع تلك الأعمال. وللإشارة إلى الأمر نفسه وردت في القرآن الكـــريم قصة ملكة اسمها "بلقيس" كانت تحكم بلدها وكانت تعبـــد الشـــمس. فحدث أن هددها نبي عصرها قائلا بأن تحضر إليه وإلا سيغزوها بجيشـــه وذلك لن يكون خيرا لها. فخافت وانطلقت من مدينتها لتحضر إلى ذلك النبي. وقبل حضورها أعدّ النبي صرحا أرضيته ممرَّدة من قوارير، وأعـــدّ تحتها خندقا واسعا على غرار قناة يجري فيها الماء وتسبح الأسماك. عندما وصلت الملكة قيل لها: ادخُلي الصرح. فحين اقتربت رأت أن الماء يجري بكل قوة وفيه أسماك، تأثرت بهذا المشهد بحيث كشفت عن ساقيها لـــئلا تبتلّ ثيابها بالماء. عندها نادى النبيُّ الملكةَ التي كان اسمها "بلقيس" وقـــال إنك مخطئة في ذلك. وهذا الذي خشيةً منه كشفتِ عن ساقيك ليس ماء، بل هي أرضية زجاجية والماء يجري تحتها. لقد جاء هذا الذكر في القرآن الكريم في آية: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾[1] أي قال ذلك النبي: يا بلقيس لا تنخدعي، فإنه زجاج رُصِّعت بها أرضية الصرح، أمـــا المـــاء فيجري تحت الزجاج، وأن الزجاج ليس ماء بحد ذاته. ففهمت الملكة أنها قد نبِّهت إلى خطئها الديني، وأدركت أنها كانت مخطئة في الحقيقة إذ قد سلكت مسلك الجهل بعبادتها الشمس. فآمنت بالله الواحـــد الـــذي لا شريك له وفُتحت عيناها واستيقنت أن تلك القوة العظمى الـــتي يجـــب

---

[1] النمل: ٤٥

عبادتها هي غير التي كانت تعبدها، وأنها كان مخطئة إذ اتخذت الأشـــياء السطحية معبودا لها. وكان بيان ذلك النبي يتلخص في أن الدنيا كمثـــل صرح من القوارير، وما تنجزه الشمس والقمر والنجوم وغيرهـــا مـــن العناصر لا تنجزها بقوتها الذاتية بل هي بمنـــزلة القوارير، وأن هناك قوة كامنة وراءها وهو الله تعالى. وكل هذه الأعمال إنما ينجزها الله تعـــالى بنفسه. فبرؤية هذا المشهد تابت بلقيس توبة صادقة عن عبادة الشـــمس وفهمت أن هناك قوة أخرى تستخدم الشمس وغيرها. أما هذه الأشـــياء فليست إلا كالقوارير فقط.

هذا ما بينته عن الشمس، والحال نفسها تنطبق على القمـــر، أي أنّ الصفات التي تُنسب إلى القمر هي صفات الله في الحقيقة؛ فالقمر يـــنير الليالي الحالكة والمخيفة، وعندما يسطع القمر تزول ظلمة الليلة اللـــيلاء فورا، ففي بعض الأحيان يبدأ بالسطوع منذ البداية وأحيانا أخرى يطلع بعد انتشار بعض الظلام. إنه لمشهد رائع إذ لا يبقى للظلام أيّ أثر قط عندما يطلع القمر. كذلك عندما يسطع نور الله تعالى أيضا على أنـــاس قذرين وذوي بواطن مظلمة فينيبون إليه، ينيرهم كما يُنير القمرُ الليـــلَ. ومن الناس مَن يأخذ نصيبا من نور هذا القمر في المرحلـــة الأولى مـــن حياته ومنهم مَن يأخذه في الوسط من عمره ومنهم مـــن يأخـــذه في المرحلة الأخيرة. وهناك بعض الأشقياء هم كليالي السَّلْخِ؛ أي يعمّهـــم

الظلام مدى عمرهم، ولا يُكتب لهم أن ينالوا نصيبا من نور هذا القمر الحقيقي. فملخص الكلام أن هذه السلسلة لنور القمر تشبه كثيرا نـــور ذلك القمر الحقيقي.

كما ينمّي القمرُ الفواكهَ ويُكسبها الطراوة، كذلك الذين يُحمِّلـــون شجرة وجودهم بثمار العبادات تحالفهم رحمة الله مثل القمر وتنمّي تلك الثمار وتجعلها طرية. هذا هو المعنى الكامن في كلمة "الرحيم"، وهـــي صفة الله الثانية المذكورة في سورة الفاتحة، وتفصيلها أن هنـــاك أربعـــة أنواع من الربوبية المادية التي يرتبط بها نظام العالَـــم. منـــها الربوبيـــة السماوية، وهي مصدر التربية المادية إذ بها ينـــزل الماء. وإن لم ينـــزل لفترة من الزمن لغارت مياه الآبار أيضا كما أُثبِت في العلوم الطبيعية. إن هذه الربوبية السماوية أي الماء النازل من السماء أيضا يحيي العالم ويأتي بالمعدوم إلى الوجود إذ إن السماء هي رب النوع[1] الأول التي ينـــــزل منها الماء، وسمِّيت في الفيدا باسم "إندر". كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[2] والمراد من السماء هنا هـــو طبقـــة الزمهرير التي ينـــزل منها الماء. وقد أُقسِم في هذه الآية بطبقة الزمهرير

---

[1] الجوّ أو القطب العلوي الذي تجتمع فيه السحب وينـــزل منـــه المـــاء يســـمَّى "السماء" في مصطلح القرآن الكريم، ويسمَّى في الهندية "آكاش". منه.

[2] الطارق: ١٢

التي تُنــزِّل المطر. و﴿الرَّجْعِ﴾ تعني المطر. وملخص الآية أن الله تعــالى يقول بأني أُشهد السماء التي ينــزل منها الماء للدلالــة علــى ظــاهرة الوحي.. أي أن حالتكم الروحانية أيضا بحاجة إلى ماء ينــــزل مــن السماء فقط كما ينــزل ماؤكم المادي أيضا من السماء. ولولا ذلــك الماء لجفّت مياه عقولكم أيضا. العقل أيضا يكتسب الطراوة والنور من ذلك الماء السماوي، أي من وحي الله تعالى.

فلباب القول: الخدمة التي تقوم بها السماء أي خدمة إنزال الماء إنمــا هي ظل صفة الله الأولى، كما يقول تعالى بأن بداية كل شيء من الماء، كما يولَد الإنسان أيضا من الماء. وبحسب الفيدا إن إلــه المــاء هــو السماء التي تُسمَّى "إندر" في مصطلحه. ولكن من الخطــأ الظــن أن "إندر" هذا شيء يُعتدُّ به في حد ذاته. بل الحق أن القوة العظمى الخفية والكامنة التي اسمها "الله" هو الذي يعمل فيها. لبيان ذلك يقول الله ﷻ في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي لا تظنوا أن هناك ربًّا آخر أيضا غير الله الذي يربِّي العالَــم بربوبيته بل هو ربكــم الواحــد الأحد الذي تعمل قدرته في كل شيء. في الترتيــب الــوارد في هــذه السورة ردٌّ على الإلــه "إندر"، لأن المرحلة الأولى الأولى من التربيــة تبدأ منه وهو يُسمّى سماء بتعبير آخر. ولهذا السبب ينسب أهل الــدنيا القدرَ والقضاء كله إلى السماء عادة. أما المشركون فرَبٌّ النوع الأكبر

عندهم هو ذلك الذي يُسمّى "إندر". فالمقصود هنا هو تفنيده، والبيان أن "إندر" الحقيقي هو الله الواحد الأحد، وإن قدرته هي التي تُنزِّل الماء. إن عدَّ السماء "رب العالمين" حمقٌ محض، بل ربّ العالمين هو وحده الذي اسمه "الله".

باختصار، هذه هي ربوبية الله الأولى التي نسبها الجهلاء إلى السماء، أي إلى "إندر". وسبب ذلك أن هؤلاء العَمِهين يرون الماء نازلا من السماء ولكن القوة التي تُنزِّله هي غيرها. والمراد من إنزاله على هذا النحو هو إظهار تجلٍّ أن هذه أيضا صفة من صفاته. إذًا، إن ربوبية السماء الظاهرية ظلٌّ لربوبيته ﷻ الحقيقية. أما الرعد والصاعقة وغيرهما مما يلاحَظ في السحاب إنما هو تجلٍّ من تجليات صفاته.

إن ربوبية الله الثانية التي تعمل في الأرض هي "الرحمانية". وبكلمة "الرحمن" أُريدَ دحض الإله الشمس لدى الوثنيين. إذ يرى عبدة الأوثان أنه كما أن السماء تُنبت الأشياء بواسطة الماء كذلك تُلبس الشمسُ الأشجارَ كلها لباسا في فصل الربيع، وهذه رحمة منه ﷻ وليس نتيجة عملٍ. فالشمس مَظهر الرحمانية من الناحية المادية لأنها تُلبس الأشجار العارية رداء الأوراق في الربيع، وإلى ذلك الحين لا تكون الأشجار قد عملت أي عمل أي لم تصنع شيئا حتى يُضاف شيء على ما كانت عليه سابقا، بل تكون قد أصبحت عارية تماما بسبب عبث

الخريف بها. ثم تبدأ كل شجرة بتزيين نفسها شيئا فشيئا نتيجة لطف الشمس وعطوفتها، حتى يبلغ فعل الأشجار بمساعدة الشمس درجة تتكون فيها الثمار. وعندما تكون قد أنجزت عملها بعد تكوين الثمار يُلقي القمرُ عليها ظل رحيميته. والرحيم هو الذي يعِين العامل على إكمال عمله حتى لا يبقى عمله ناقصا. فالقمر يعين ثمار الأشجار من حيث تنميتها وترطيبها بتأثيره. فمن المسلَّم به من حيث العلم الطبيعي أن البستانيين يسمعون صوت تفتُّح الرمان في الليالي المقمرة. لذا فقد سمِّي القمر –وهو النيِّر الثاني– باسم الرحيم لأن عمله الأكبر هو أن يعين الثمار الموجودة وينمِّيها ويرطِّبها، وعندما تنضج الثمار وتبلغ كمالها تجذبها الأرضُ إلى نفسها بصفتها مالكةً لتنال الثمار جزاءها. فإذا كانت الثمار جيدة ورائعة نالت حفاوة كبيرة على الأرض وأُنزلت منزلة التقدير. وإذا كانت رديئة وفاسدة رُمي بها في أماكن سيئة. وكأن هذا الجزاء يكون بيد الأرض كما جعله الله تعالى من خواصها أي تُكرم الثمرة الطيبة وترمى الثمرة السيئة في مكان حقير.

فهذه هي الأسماء الأربعة التي أُعطِيها الآلهة الأربعة الكبرى في الفيدا على سبيل الاستعارة. الأولى: السماء التي تسمَّى إلهة "إندر"[1] وهي إلهة

---

[1] **الحاشية:** لا يظننّ أحد أن كلّها آلهة في الحقيقة بل الحق أنها تحت سيطرة مالك واحد، وقد خُلقت لفائدة البشر. لقد استخدمت كلمة "الإله" هنا كاستعارة

الماء. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1]. أي كل شيء حيٌّ بسبب الماء فقط، لذا فالإلهة المجازية، أي "إندر" التي يجب أن تُسمّى "السماء" هي كبرى الآلـــهة المجازية كلها التي في كنفها تتربى الشمس والقمر، وهي إلـــهة الربوبية العامة مقارنـــة بالآلـــــهة الأخرى. وتليها إلـــهة "الشمس" وهي مَظهر الرحمانية. وربوبيتها تفوق ربوبية القمر وتقلّ عن السماء. والعمل الذي يخصها هو أن تُظهر لطفها ورحمتها على الأشجار دون وجود أيّ عمل منها؛ بمعنى أن الأشـــجار تكون عارية من الأوراق وتكون مضروبة بالخريف وكأنهـــا أمـــوات مغروسة في الأرض، وواقفة على قدم واحدة مثل المتسولين صفر اليدين. فتطرب إلهة الشمس وتزهو وتهبها لباسا في فصل الربيع، وتَمْلَؤُهَا ثمارا وأزهارا وتضع على رؤوسها أكاليل من الزهور خلال بضـــعة أيـــام، وتُلبسها الرداء الحريري بأوراقها الخضراء، وتُغْنيها بثروة الثمار؛ وبذلك

مستخدمة في الفيدا فقط، لأن فيوض هؤلاء الأربعة جارية بحسب الفيدا وكأنهـــا تفيض بإرادتها. ولكن الحق أنها كلها خلق الله ولا تعمل شيئا بإرادتها، ولا تدري ماذا تعمل فكأنها ميِّت في يد الحي. قد ضُرب مَثل هذه الصفات والموجـــودة في السماء والشمس والقمر والأرض ليتدبرها الإنسان لتساعده في فهم صـــفات الله تعالى. فمثلا؛ ينكر الآريون رحمانية الله مع أن الفيدا يعترف بصفة الرحمانيـــة في الشمس كاستعارة. وذلك ليرى الناس رحمانية الله بهذه الطريقة. منه.

[1] الأنبياء: ٣١

تجعلها كعريس جميل. فأيّ شك بقي في رحمانية مَن يرحم ويتلطف إلى هذا الحد بهذه الدراويش العراة دون عمل سابق منـــها؟! مثـــل هـــذه الاستعارات موجودة في الفيدا بكثرة وهي تبدو في البدايـــة كأفكـــار الشعراء، ولكن لو تعمقنا فيها أكثر لتراءى فيها شيء من لمعان علمـــي أيضا.

وبعد الشمس هناك إله القمر -بحسب الفيدا- الذي ينظر إلى أعمال الضعفاء ويبلّغها بمساعدته مبلغ الكمال. بمعنى أن الأشجار تحمل الثمار في فصل الربيع ولكن لولا القمر لبقي عملها هذا ناقصا ولما نالت الثمار نضرة ونموا وطراوة قط. فالقمر متمم عملها، لذا استحق مجازا أن يُدعى رحيما. فالفيدا يعُدّه رحيما، ولا ضير في ذلك على سبيل الاستعارة.

ثم يأتي بعد القمر دور إلهة الأرض التي وسّعت ظهرَها كثيرا لتبـــوّئ المسافرين. كل ثمرة على الشجرة إنما هي كالمسافر وإن مستقرها الأخير هو الأرض، فتبوئها الأرض على ظهرها حيثما تشاء بناء على صلاحياتها كمالكٍ. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَحَمَلْنَـــاهُمْ فِـــي الْبَـــرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1] أي حملنا الإنسان في البرّ والبحر، كذلك تحمل الأرض أيضا كل شيء. والمستقر الدائم لشيء فانٍ هو الأرض، فتُحلّ من تشاء محل الإكرام وترمي بمن تشاء مقام الذلة. وبذلك سمِّيت الأرض: ﴿مَالِكِ يَوْمِ

[1] الإسراء: ٧١

الدِّينِ﴾؛ أي تتجلّى هذه الصفات الإلهية الأربع في مرآة الفطرة على سبيل الاستعارة. إذًا، فقد أراد الله تعالى أن يُظهر صفاته في مظاهر مجازية أيضا، ليَطمئن قلب الباحث عن الحق بصفات دقيقة نتيجة الاطلاع على الأمثال.

فتبين من هذا البحث كله أن هذه الآلهة الأربعة المجازية المذكورة في الفيدا تتصف بأربع صفات مجازية. فالسماء تملك مجازا صفة الربوبية الكبرى، وتتصف الشمس بصفة الرحمانية، وأما القمر فقد أُعطي نصيبا من صفة الرحيمية، وتحظى الأرض بصفة: "مالك يوم الدين"، وكل هذه الصفات مشهودة ومحسوسة. وبناء على هذه الأمور عدّها ذوو العقول السطحية آلهةً[1] حقيقية، وحسبوها "أرباب النوع" وجديرة بالعبادة. فلتفنيد مزاعم هؤلاء الناس يقول الله تعالى في كلامه المقدس في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ

---

[1] كلمة "ديوتا" تُطلَق في السنسكريتية على "الرب" الذي يربِّي أحدا؛ فالشمس ربٌّ أي "ديوتا"، والقمر ربٌّ أي "ديوتا". وفوق كل هؤلاء الأرباب أي الآلهة هناك ربٌّ أعلى ومدبِّر بالإرادة وهو الإله الحقيقي واسمه "رب العالمين"، أي ربّ الجميع وربّ جميع الأرباب أيضا. وهو الوحيد الذي يعمل بإرادته وخياره، هو الإله الحقيقي أما ما عداه فكلها أدوات تعمل بيده. فهو الوحيد الذي يستحق العبادة والحمد، لذلك قال: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. منه.

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، أيْ أن الحمد والمدح والثناء خاص بذلك الرب الأعظم الذي اسمه "الله"، وهو رب العالمين، ورحمن العالمين، ورحيم العالمين، ومالك العوالم كلها ومالك يوم الدين. أي أن مرتبة العبادة خاصة بالله تعالى بحيث إن ربوبيته ورحمانيته ورحيميته ومالكيته ليوم الدين ليست محدودة على عالم واحد، أو في أسلوب واحد، بل كلّ هذه الصفات تتجلى بأساليب لا تُعَدّ ولا تحصى، ولا يسع أحدا أن يبلغ منتهاها. أما ربوبية السماء والشمس وغيرهما فمحدودة في أسلوب معين ونوع معين ولا تتعدى دائرها الضيقة، لذا فإن هذه الأشياء لا تستحق العبادة. وإضافة إلى ذلك، إن أعمالها ليست ناتجة عن إرادها، بل إن قوة الله تعمل وراءها كلها.

ثم قال: يا رب الجميع الذي يُجلّي صفاتِه هذه بأساليب لا تُعَدّ ولا تُحصى، أنت وحدك تستحق العبادة، أما الشمس والقمر وغيرها فليست جديرة بالعبادة. إذ قال في آية أخرى: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لله الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾[1] أي اسجدوا فقط للذي خلق كل هذه الأشياء بما فيها الشمس والقمر والسماء والنار والماء وغيرها. السبب وراء إيراد صيغة الجمع بعد بيان الشمس والقمر هو أن الأمم الأخرى تعبد

[1] فصّلت: ٣٨

هذه الأشياء، ولكن لا تعبدوها أنتم مطلقا. ثم في هذه السورة أي سورة الفاتحة جوابٌ على أنه ما دمنا قد مُنعنا من عبادة السماء والشمس والقمر والنار والماء وغيرها فما هي الفائدة الكامنة في عبادة الله ولا توجد في عبادة تلك الأشياء؟ فقد رُدَّ على ذلك بأسلوب الدعاء بأن ذلك الإله يعطي النعم ظاهرة وباطنة، ويجلّي نفسه على عباده بنفسه. والإنسان لا يستطيع أن يعرفه بمجرد عقله، بل ذلك الإله القادر يعرّف نفسه بتجليه الخاص، وبقدراته وآياته العظيمة. وعندما يحل غضبه وسخطه بالدنيا يُنقذ منه عبادَه العابدين. وهو الذي ينوِّر عقل الإنسان ويهبه معرفة من عنده وينجيه من الضلال ولا يتركه ليضل. هذا هو ملخص سورة الفاتحة التي يقرأها المسلمون في صلواتهم الخمس يوميا. بل الحق أن هذا الدعاء هو الصلاة في الحقيقة. وما لم يقرأه الإنسان بقلب متألم واقفا أمام الله ﷻ ولم يدعُه لحلّ مشاكله التي علِّم الدعاء لحلها، فكأنه لم يصلِّ أصلا. وقد علِّمت في هذه الصلاة ثلاثة أمور هي:

الأول: وحدانية الله، ووحدانية صفاته؛ ليصرف الإنسانُ وجهه عن القمر والشمس وغيرهما من الآلهة الزائفة ويصير للإله الحق وحده، ويصعد من روحه صوت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

والثاني: قد علِّم أن يشارك إخوته أيضا في أدعيته ليؤدي بذلك حق البشر، لذا فقد جاء في الدعاء لفظ: ﴿اهْدِنَا﴾ ومعناه: يا ربنا أرنا جميعا

صراطَك المستقيم، وليس معناه أن أرِني وحدي صراطك المسقيم. فبهذا الدعاء الذي جاء بصيغة الجمع يؤدِّي الإنسان حق بني البشر أيضا.

والثالث: قد أُريدَ في هذا الدعاء التعليم أيضا ألا تترك حالتنا يا ربنا مقتصرة على إيمان ظاهري فقط، بل أَعطِنا تلك النِعم الروحانية التي أعطيتَ الصلحاء من قبل. ثم قال تعالى بأن ادعُوا الله أيضا أن أنقذنا من صراط الذين لم يُعطَوا أَعْيُنًا روحانية، فخاضوا في نهاية المطاف في أعمال أدّت إلى حلول غضب الله بهم في هذه الدنيا، أو اجتنَبوا الغضب في هذه الدنيا ولكنهم ماتوا موت الضلال وواجهوا الغضب في الآخرة.

إذًا، فملخص الدعاء هو أن الذي لم يهبه الله تعالى نِعمًا روحانية وأَعْيُنًا مبصرة و لم يملأ قلبه باليقين والمعرفة يهلك في النهاية، ويحل به الغضب في هذه الدنيا بسبب تجاسره وخُبثه لأنه يستخدم لسانا بذيئا في حق الأطهار ويلهث مثل الكلاب. فيُهلك كما أُهلك اليهود بسبب تجاسرهم وخُبثهم، وحلّ بهم عذاب الطاعون مرارا واستأصلهم. وإن لم يتجاسر أو يتخابث أحد في الدنيا و لم يستخدم لسانا بذيئا و لم يشترك في مكايد بذاءة اللسان والخبث فإن العذاب سيحل به في العالَم الثاني بعد أن يرحل من هذه الدنيا.

فملخص الكلام، كما قلت من قبل، أن الأدعية التي دُعِيَ بها في "رِج فيدا" من الآلهة "إندر" والشمس والقمر والنار وغيرها قد يكون

المراد منها هو قوة الله -الذي هو إله الآلــهة المجازية كلها- العليا التي تعمل فيها خفية، لأننا نجد في القرآن الكريم بعــض الإشـــارات إلى أن جميع الأشياء التي تعمل في هذا العالَــم للحفاظ على نظام العالــم إنما هي نماذج أسماء الله وصفاته في الحقيقة التي تتجلى في أسلوب المجـــاز. وكأن الأجرام السماوية والعناصـــر الأرضـــية أوراق كتـــابٍ نتلقـــى بواسطتها درس المعرفة بصفات الله تعالى ونطّلع على سُنَّته. فمثلا تُري الشمس أربعة تغيُّرات في أربعة فصول.

التغيّر الأول هو **فصل الخريف** على عكس فصل الربيع. وهذا التغيّر يبدأ بإزالة رونق الأشجار وبهائها، إذ تسقط أوراق معظـــم الأشـــجار ويجف فيها ماؤها الذي يهبها النضرة والطراوة. والتأثير نفســـه لهـــذا الموسم يقع على جسد الإنسان أيضا، إذ تنشأ فيه أمراض ناتجـــة عـــن الجفاف والمواد السوداوية. فهناك تجلٍّ من تجليات الله تعالى يشبه فصل الخريف بحيث يأتي على الناس زمان يستولي فيه الانقباض على قلـــوبهم ويقلّ بالتدريج سائل الوجد وذكر الله الذي يهب النضـــرة والطـــراوة الروحانية. وإن لم تأت إلى الآن فترة المعصية والفسق بوضوح، لكـــن يتلاشى حماس الأُنس الإلهي وتسيطر على القلوب الكآبـــة والـــذبول والجمود وحالة الانقباض ولا تبقى المتعة واللهفة والشـــوق لله. وهـــذا الزمن يتسم بما يمكن اعتباره بداية زمن الذنوب والمفاسد.

والزمن الثاني الذي يظهر للعيان بواسطة الشمس بعد الخريف هو زمن الشتاء حين تطلق الشمس البرودة بشدة بسبب بُعدها. ومثل ذلك هناك تجلٍّ للشمس الحقيقية الذي اسمه "الله" ويشبه موسم الشتاء بشدة. وهذا يحدث حين يفتر حب الله كليا في القلوب وتهجره الطبائع الإنسانية، ويختار كل شخص بدلا منه ﷻ سبُل النفسانية والشهوات. وينتشر في الدنيا شرب الخمر، والقمارُ، والزنا، والكذب والزيف والخديعة وبذاءة اللسان، والكِبْر وعبادة الدنيا والسرقة والخيانة وسفك الدماء والسخرية والاستهزاء وغيرها من السيئات والمنكرات من كل نوع. وتُختَبر المواهب نظرا إلى حذلقة اللسان فقط. والذي يُري حذلقة اللسان بهذه الطرق يُعَد موهوبا ويُحتَرم، وإذا مات أُنشئت أشياء تذكارا له. كذلك تكون الأرض خرابا يبابا، ولا يوجد على ظهرها أحد ذو قلب طيب ولسان طاهر وأفكار نزيهة يخاف الله ويرتوي بماء المعرفة إلا نادرا. هذه المرحلة يمكن أن تسمَّى زمن الذنوب والمفاسد، لأن الحسنة في هذا الزمن تندر والسيئة تكثر، وتمتلئ الأرض ذنبا وإثما.

والزمن التالي[1] الذي تُظهره الشمس بعد الشتاء نتيجة التغيرات فيها هو فصل الربيع. وفي هذا الزمن تُحيا الأشجار من جديد بعد موتها ويُخلق في النباتات نُسْغَها مجددًا بعد أن جفَّ. فكذلك تتجلى الشمس

---

[1] هكذا ورد في الأصل ويبدو أنه سهو والصحيح: الزمن الثالث. (الناشر)

الحقيقية بتجلّيها العظيم على العالم فتُظهر فصل الربيع. عندها ينــــزل من السماء ماء جديد لإحياء الأرض. وينــزل ذلك الماء بحيث يصطفي الله تعالى عبدا من عباده ويجعل قلبه سحابة الربيع لهذا الماء، فيخرج الماء من تلك السحابة بإذن الله وينــزل على الأشجار الجافة التي أذبلتــها ودمّرتها ريح الخريف الصرصرُ، فيُنبت فيها أوراقا جديــدة لمعرفــة الله ويُبرز فيها أزهار الحب والشوق، ويملأ أغصان الإنسان بثمار الأعمــال الحسنة في نهاية المطاف.

والزمن الثالث[١] الذي تُظهره إلهة الشمس بعد الربيع هو زمن الصيف. وفي زمن الصيف تُنضج الشمس ثمارا كانت غير ناضجة في فصل الربيع. كذلك يحل صيفُ تجلياتِ الله تعالى أيضا. ففي هذا الزمن ترتقي طبــائع الناس الطاهرةُ أكثر مما كانت عليه في أيام الربيع وتتنشــط في ذكــر الله تعالى وحبه، وينشأ في الطبائع الهياجُ لذكر الله وتبلــغ الترقيــات مبلــغ الكمال. وهذا الزمن هو زمن الصلاح والحسنة بكــل معــنى الكلمــة، فيسلك معظم الناس سبل مرضاة الله ويجعلون مرضاته ﷻ مشيئتهم.

فالواضح أن هناك أربعة تغيرات تتعلق بالله تعالى أيضا مقابل هــذه التغيرات الأربع للشمس. فلا مجال للنقاش في أن ما يوجد في الأجــرام السماوية والعناصر من الصفات المادية والفانية موجــود في الله تعــالى

[١] هكذا ورد في الأصل سهوا والصحيح: الزمن الرابع. (الناشر)

كصفات روحانية وأبدية. وقد كشف الله تعالى علينـــا أن الشـــمس وغيرها ليست بشيء بحد ذاتها بل إن قدرة الله ﷻ العظيمة هي الـــتي تنجز كل شيء في الخفاء. هو الله الذي يُلبس القمر رداء ذاتـــه فينـــوّر الليالي الحالكة، كما يدخل ﷻ القلوب المظلمة بنفسه وينوّرها ويتكلم بداخل الإنسان. وهو الذي يلقي على قواه غطاء الشمس ويجعل النهار مظهرا لنور عظيم، ويجلّي أعماله المختلفة في فصول مختلفة. إنها لقدرته ﷻ التي تنـــزل من السماء وتسمّى مطرا، وتجعل الأرض الجدباء مخضرّة وتسقي العِطاش. إنها لقوته التي تحرق بكونها نارا، وتجدد النَفَس بكونها هواء، وتنضّر الأزهار وتهبها رونقا وبهاء وتسوق الســـحاب وتوصـــل الصوت إلى الآذان. إنها لقدرته ﷻ وحده التي تجسدت بصورة الأرض وحملت على ظهرها البشر والحيوانات. ولكن هل هذه الأشياء آلـــهة؟ كلا، بل هي مخلوقات، ولكن قدرة الله ملتصقة بأجرامها التصاق اليـــد بالقلم. مع أننا نستطيع القول بأن القلم يكتب ولكنـــه لا يكتـــب في الحقيقة بل اليد هي التي تكتب. كذلك إن قطعة الحديد التي اتخذت هيئة النار بدخولها النار، يمكن أن نقول بأنها تحرق وتضيء أيضا، ولكن تلك الصفات ليست صفاتها بل هي صفات النار.

كذلك صحيح تماما من منطلق التحقيق أن كلّ ما هـــو مشـــهود ومحسوس من الأجرام الفلكية والعناصر الأرضية بل في كـــل ذرة مـــن

العالم السفلي والعلوي -من حيث خواصها المختلفة الموجودة فيها- هي أسماء الله تعالى وصفاته، وقدرته متجلية فيها خفية. فكلها كانت كلماته ﷻ في البداية قد أظهرتها قدرته بأساليب مختلفة. قد يتساءل قليل العلم فيقول: كيف تجسّدت كلمات الله تعالى؟ وهل نقص شيء من ذات الله تعالى بسبب انفصالها عنه؟ ولكن عليه أن يفكّر أن الحرارة التي تجذبها العدسة المحدَّبة[1] من الشمس لا تُقلّل من حرارة الشمس شيئا.

---

[1] **الحاشية:** يعتقد الآريون أن إلههم لم يخلق شيئا في الأرض والسماء بل قام فقط بالوصل والربط بين الأشياء الموجودة منذ القِدم، كما أن الأرواح أزلية وموجودة منذ القِدم كذلك الذرات، وهي أجزاء الجسد الصغيرة، هي أزلية وقديمة. ولكننا لا نسخط على الآريين بسبب معتقداتهم هذه بقدر ما نشفق عليهم لشقاوتهم، لأنهم إن لم يعرفوا قدرة الله تعالى على الخلق فلم يعرفوا* شيئا، ولم تتسنَّ لهم معرفة صادقة وكاملة.

إن الإله الذي خلق في السماء أجراما هائلة مثل الشمس والقمر، وخلق النجوم بهذا العدد الهائل بحيث لم يُحِطْ بها الإنسان جميعا إلى الآن، هل كان محتاجا في

---

* لا يمكن أن يتولد حبٌّ دون مشاهدة الحسن أو الإحسان. ولا يمكن التخلص من ذنب دون حب الله أو خوف سخطه. الحب يحرق الذنب كما تحرق النارُ الأوساخَ. الذهب الذي تصهرونه على النار كل يوم هل يمكن أن تبقى فيه الشوائب؟ ولكن مَن ليس مقتنعا بحسن الله، بمعنى أنه لا يؤمن به قادرا قدرة كاملة، وليس مقتنعا بإحسانه، بمعنى أنه لا يؤمن بأن الروح التي تتكلم بداخله إنما هي منه ﷻ، أنّى له أن يحب إلهه؟ منه.

خلقها إلى أية مادة؟ عندما ألقي نظرة على تلك الأجرام الهائلة وأتأمل في عظمتها وعجائبها وأرى أن كل ذلك قد حدث بمجرد إرادة الله وإشارته، تعلن روحـــي عفويا؛ ما أعظم قدراتك يا ربنا القدير! وما أغرب أفعالك وما أبعدها عن إدراك العقل! إنه لغبي مَن ينكر قدراتك، وأحمق مَن يثير بشأنك اعتراضا ويتساءل: مِن أيّة مادة خلق هذه الأشياء؟ من المؤسف حقا أن السادة الآريين لا يفكّرون أنه إذا كان الله تعالى مضطرا في خلقه إلى الالتزام بأسباب دنيوية، فإنه كما لا يســـتطيع أن يخلق أيّ شيء بغير المادة، كذلك لا يستطيع أن يخلق شيئا دون وقت كافٍ. ففي هذه الحالة كما نقدّر لبناء جدار مثلا أن البنّاء يستطيع أن يبنيه في أيام كـــذا وكذا وليس قبلها، كذلك لا بد لنا من التقدير أن الله تعالى أيضا يكون قد احتاج حتما إلى وقت كذا وكذا لخلق الشمس والقمر على ســـبيل المثـــال، ويكـــون مستحيلا عليه أن يخلق شيئا قبل ذلك. ولكن من الواضح أن تحديد هذه الحـــدود لله تعالى وعَدُّه محتاجا إلى وقت معين لفعل شيء كفرٌ. فسواء أأنجـــز ﷻ عمـــلا عاجلا أو ببطء بحسب مشيئته ولكنه ليس محتاجا إلى الوقت. وإذا كـــان الحـــال على هذا المنوال فكيف صار محتاجا إلى المادة؟ أيّ حمقٍ أكبر من أن يستنتج المرء بحقه أمرا من منطلق منطقٍ أُسِّس نظرا إلى ضعف الإنسان. لا أعتقـــد مطلقـــا أنْ يكون ذلك تعليم الفيدا بل هو من صُنع البانديت ديانند بوجه خاص. فحين رأى البانديت أنه لا يستطيع العيش دون الطعام ولا يُخْمِدُ ظمأه بغير الماء، ولم يستطع أن يقرأ الفيدات دون جهد جهيد وتحمّلِ مشقة وعناء؛ زعم أنه كما احتاج هـــو إلى المادة لاقتناء شيء، كذلك إلههم أيضا محتاج إلى المادة. من عادة الإنسان أنـــه يقيس أعمال الآخرين على نفسه. فلا تفهم المومسات قط أن في الدنيا ســـيدات عفيفات وطاهرات القلب أيضا. الذي أُعطي العينين لا يمكنه أن يُعمِي نفسه بعد اقتنائهما. والذي نال حظا من العلم والمعرفة لا يمكن أن يحب الجهل. لقد رأينـــا

كذلك الفواكه التي تنمو بتأثير القمر لا يؤدي نموّها إلى اضمحلال القمر. هذا هو سر معرفة الله، ومركز نظام الله الروحاني كله أن العالم قد جاء إلى الوجود نتيجة كلمات الله فقط. فلما تقرّر ذلك وقد علّمنا

بأم أعيننا مئات الأمور الخارقة للعادة التي لو لم نشهد بعدها أن إلـهنا قادر على كل شيء في الحقيقة وليس محتاجا إلى مادة، لكنا مذنبين جدا. قبل قرابة أربعة عشر عاما رأيت في الكشف أني كتبتُ بعض الأمور على ورقة راغبا في حدوثها على هذا النحو. ثم رأيت أني قدّمت تلك العبارة أمام ربي القادر ليوقّع عليها حتى تحدث الأمور على النحو المطلوب. فوقّع عليها ربيّ بقلمه بالحبر الأحمر الذي كان يشبه الدم، بل خيِّل إلي أنه دمٌ في الحقيقة. ولكن قبل التوقيع هزّ ﷻ قلمه فسقطت عليّ قطرات من ذلك الدم. فاستيقظتُ وجدا وشوقا وحبا على أن الله تعالى حقق بُغيتي ووقّع على كتابتي دون تردد. كان أحد أصحابي واسمه ميان عبد الله السنوري موجودا عندي حينذاك. فبدأ يصرخ مستغربا ويقول: من أين سقطت هذه القطرات الحمراء؟ وكما رأيت في الكشف سقوط القطرات الحمراء الرطبة، كذلك سقطت على قميصي في الظاهر أيضا وسقط بعضها على السيد عبد الله. فما قولكم الآن؟ هذا كله كان كشفا فقط، فكيف وُجدت قطرات الدم في الظاهر؟ ومن أية مادة جاء ذلك الدم؟ بماذا يمكن للآريين أن يردوا على ذلك إلا أن يقولوا بأنها قصة زائفة اخترعتُها أنا من عندي. لقد سجلتُ القصة نفسها في كتابي: "كحل لعيون الآريا" أيضا لأني ألّفته في تلك الأيام. ولكن لما كانت هذه آية ظهرت مقابل الآريين لذا أظن أنها كانت إشارة إلى قتل البانديت ليكهرام، وكذلك إلى تفشي الطاعون. وعلى غرار ذلك هناك مئات الآيات الدالة على قدرات مثلها ظهرت للعيان بغير مادة. مَن لم ير تلك القدرات فماذا رأى من ربّه!! منه.

القرآن الكريم المبدأ نفسه، فمن الممكن عندي أن يكون المراد مما مدح به الفيدا النارَ أو الهواء ومما أثنى به على الشمس هو أن قدرة الله تعالى تعمل في كل هذه الأشياء بصلة متينة بحيث إن تلك الأجرام كلها بمنزلة القشر مقابله ﷻ، وقدرة الله هي اللب، وكل الصفات تعود إليه ﷻ، فهو الذي يجب أن نسمّيه النار والماء، لأن أفعال هذه الأشياء ليست أفعالها بل كلها أفعال الله ﷻ، وإن قدراتها ليست قدراتها بل هي قدراته ﷻ، كما تشير آية سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى الأمر نفسه. أي أن الأشياء السماوية والأرضية التي تعمل بأساليب مختلفة وطرق شتى للمحافظة على نظام العالم ليست هي العاملة، بل إن قدرة الله هي التي تعمل من ورائها. كما قال ﷻ في آية أخرى: ﴿صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾[1]. أي أن الدنيا هي بمنزلة صرح من القوارير التي يجري تحتها الماء بقوة. ويظن الجاهل أن القوارير هي الماء بينما الماء تحتها. كذلك قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[2] أي لا تظنوا أن الأرض تحملكم أو السفن تحملكم في البحر بل نحملكم نحن.

---

[1] النمل: ٤٥

[2] الإسراء: ٧١

فملخص الكلام أنه يمكننا أن نقبل من الفيدا المعنى الذي ذكرته من قبل، ويمكننا التفكير أيضا، كما أرشدنا القرآن الكريم، أن هذا ما يهدف إليه الفيدا أيضا، ولكن لا بد من ثبوت أمرينِ اثنينِ:

أولا: أن يكون مذهب الفيدا أيضا كما ذكر القرآن الكريم أن كل هذه الأشياء، سواء أكانت أجراما سماوية أم عناصر أرضية أم كل ذرة من المخلوقات، قد خُلقت بيد الله، لأنه لو لم نسلِّم بذلك فلا يمكن أن تكون صفاتها صفات الإله، ويستحيل أن تكون مزاياها مزايا الإله، ولا يمكن أن تُعَدّ قدرات هذه الأشياء قدرات الله. ولكن من المؤسف أن الذرات والأرواح كلها أزلية وقديمة وغير مخلوقة بحسب مبدأ الآريين، وأن مزاياها وصفاتها وخواصها وقدراتها أيضا أزلية وغير مخلوقة ولا دخل للإله فيها. فإذا كان هذا هو مذهب الفيدا فلا بد من التسليم بأن الفيدا علّم عبادة النار بذكره صفات النار، وبمدحه الشمس علّم عبادتها. ولكن لو آمنا أن الله تعالى هو خالق كل هذه الأشياء وقدراتها وطاقاتها، وأن قدراتها هي قدراته عَزَّ وَجَلَّ فلا يبقى أيّ اعتراض.

وليكن معلوما أن هناك شرطا آخر أيضا إلى جانب ذلك وهو أن توجد في الفيدا خمسون أو ستون أو سبعون فقرة -مقابل الفقرات التي تتضمن مدح الشمس أو النار وغيرها والثناء عليها- تعني أن

هذه الأشياء لا تستحق العبادة قط ولا يجوز أن نطلب منها أن تُحقِّق مراداتنا. بعد إثبات هذين الأمرين يكون الفيدا جديرا بأن تُبرَّأ ساحته من هذه التهمة، وتُرفع عنه التهمة التي يُلصِقها به كبار أهل الرأي. وإن لم يثبت هذان الأمران فالتهمة ثابتة.

ثم هناك اعتراض آخر على مبدأ الآريين ونرجو أيضا أن ينتبهوا له جيدا. وهو أنه قد تقرر عندهم أن سلسلة الدنيا أزلية وأبدية لن تنتهي، ولكن اختار الإله منذ القِدم أنه ظل يُرسل الكتب السماوية بالسنسكريتية وفي الهند دائما منذ بدء الخليقة. ولكن هذا القول خاطئ من ثلاثة أوجه.

الأول: لأنه يخالف رحمة الله العامة، بمعنى أنه ما دامت توجد في العالم بلاد مختلفة ولغات متنوعة وأهل بلد يجهلون لغة قوم آخرين، بل كانت الحالة قبل العصر الراهن أن أهل بلاد كانوا يجهلون حتى وجود بلد آخر، وسادت الهند كلها فكرة أنه لا توجد بقاع مسكونة وراء جبال الهملايا. فلما كان العالم متفرقا على هذا النحو فإن اقتصار كتاب سماوي على بلد واحد منذ عشرات الملايين من السنين مع كون أهل الدنيا متفرقين على النحو المذكور يناقض رحمة الله التي تليق بكونه رب العالمين. أما ما قاله القرآن الكريم على النقيض من ذلك فهو الأكثر معقولية والأقرب إلى العدل وهو قوله

تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[١]، أي ما من بلـــدة وبلـــد مأهول إلا وقد أرسلنا إليه رسولا. ويقول تعالى: ﴿يَتْلُـــو صُـــحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[٢]. أي أن القرآن الكريم مجموعة كافـــة الكتب التي أُرسلت من قبل. معنى هذه الآية أن الله تعالى أرسل لكل قوم دستورَ العمل منفصلا. ثم أراد أن يكونوا موحّدين كوحدة الله ﷻ، فأنزل القرآن الكريم لتوحيد الجميع وأخبر أن الزمن قريب حين يجعل الله تعالى جميع الأمم أمة واحدة، ويجعل الـــبلاد كلـــها بلـــدا واحدا، والألسن كلها لسانا واحدا. فنرى أن العالم يقترب إلى هذا الوضع يوما إِثر يوم، وأن العلاقات المتبادلة بين البلاد تتقوى كـــل يوم. لقد تيسرت للسياحة أسباب لم تُتَحْ من قبل، وتسنَّت لتبـــادل الأفكار أيضا مرافق كثيرة، واختلط قوم بقوم وكأنهما يريـــدان أن يصيرا قوما واحدا. والأسفار الطويلة والشاقة سهُلت كثيرا؛ إذ يُصنع في روسيا حاليا قطار سوف يكمل جولته حول العالم كله في أربعين يوما. وقد اختُرعت وسائل الإعلام الخارقة للعادة. فيتبين من ذلـــك أن الله تعالى يريد أن يجعل الأمم المختلفة -التي كانـــت واحـــدة في وقت من الأوقات- أمة واحدة مجدَّدا لكي تكتمل دائـــرة الخلـــق،

---

[١] فاطر: ٢٥

[٢] البينة: ٣، ٤

وليكون هناك إله واحد ونبي واحد ودين واحد. من المعقول جدا أن الله تعالى أرسل في زمن التشتت أنبياء في كل بلد على حدة ولم يبخل بحقّ أيّ بلد، ولكن عندما أحرزت البلاد كلها في الزمن الأخير استعدادا ليكونوا أمة واحدة جمع ﷻ الهدايات كلها في لسان واحدة هي أم الألسنة؛ أي العربية. هل لضمير أن يقبل أن يولَد الفيدا -الذي هو كلام الإله على حد قول الآريين- في الهند وفي اللغة السنسكريتية عشرات ملايين المرات ولم يظهر في أية لغة أخرى ولا مرة واحدة ولا في أي بلد آخر؟ إذا كانت مسألة التناسخ شيء يُذكر فيجب أن يُثبَت من خلاله لماذا أحب الإله أهل هذا البلد إلى هذا الحد وتجاهل البلاد الأخرى كلها؟ ما هي الأعمال الحسنة التي قام بها أهل هذا البلد دائما والتي بسببها نال شرف نزول الفيدا فيه على مرّ العصور؟ هل يعلم الإله أم لا أن البلاد الأخرى أيضا تحتاج إلى أن ينزل كلام الله في لغتهم حينا من الأحيان، وأن يكون فيهم مَن يتلقى الوحي الإلهي؟ إذا كان يعلم ذلك فلماذا ظل كلام الله ينزل في الهند وفي السنسكريتية فقط؟ يجب بيان السبب لهذا الانحياز؟ وما ذنب البلاد الأخرى التي لم تُكتَب هذه النعمة في نصيبها وهي محرومة للأبد مِن شرف نزول كتاب الله في بلادهم وفي لغتهم؟

والجانب الثاني لهذا الاعتراض هو أنه لو قُبل على سبيل الافتراض أن الفيدا جاء للعالم كله، وأجاز الله لنفسه البخلَ وحرم البلاد والأمم الأخرى من شرف مكالمته دائما، فكان من المفروض في هذه الحالة على الأقل أن يختار الإله لغة هي أم اللغات ولغة حية دون السنسكريتية التي لا يمكن أن تُعدّ أم اللغات بحال من الأحوال، وليست لغة حية أيضا، بل ماتت منذ زمن طويل و لم تعُد تُحكى في أيّ بلد. غير أن العربية وحدها تحتل مكانةَ كونها أم الألسنة، وهي اللغة الوحيدة الحية اليوم من بين جميع اللغات التي يقال بأن الكتب السماوية نزلت بها. وقد أثبتُّ بحجج قوية بعد المقارنة بين جميع اللغات بعد بحوث مضنية أن العربية هي أم الألسنة في الحقيقة. لذا تستحق هذه اللغة وحدها أن تخاطَب بها الأممُ كلها. ولقد ألّفتُ كتابا أثبتُّ فيه أن العربية هي أم الألسنة كلها. ومَن قرأ هذا الكتاب لا أخال أنه سيجد مفرا من التسليم بذلك، لأني أثبتُّ فيه بالبحوث من الدرجة العليا وبالمقارنة بين آلاف المفردات ومن خلال كنز علمي يوجد في مفردات العربية أن العربية هي أم الألسنة.

الخطأ الثالث في مبدأ الآريين القائل بأن الإله قد ختم على الفيدا وأن باب الوحي الإلهي مغلق على سواه. إن تجربتي الشخصية التي تحالفني دائما هي أن الله تعالى يكلّمني كل يوم تقريبا ويُطلِعني على

أسرار غيبه وعلوم المعرفة. إذًا، لو كان التباهي والزهو بإغلاق باب الوحي في المستقبل مذكورا في الفيدا فلسنا بحاجة إلى أيّ دليل بعد ذلك على كونه كاذبا؛ لأن القائل بعكس ما هو مشهود ومحسوس يكون كاذبا حتما أشد الكذب. الوحي الأعلى الذي أكرمني الله به لا نجد مثله في الفيدا. وهو كلام مليء بالخوارق والغيب امتلاء البحر بالماء. وينزل معظمه بالعربية التي هي عرش كلام النبوة. غير أنه ينزل تارة بالأردية وتارة بالفارسية، وقد نزل أحيانا أخرى بالإنجليزية أيضا. وإذا قال الآريون أية آية تُثبت أنه كلام الله؟ قلتُ: هل نسوا النبوءة عن البانديت ليكهرام التي ذُكر فيها يوم هلاكه وتاريخه أيضا؟ ألا تكفي الآريين تلك النبوءة وحدها؟ وهناك أكثر من مئة ألف نبوءة يشهد عليها فوج من الشهود بمن فيهم كثير من أشراف الآريين أيضا. فأي دليل أكبر من ذلك يمكن أن نقدّمه على مكالمة الله تعالى، بل نقدم بعض الآريين المحليين أنفسهم بل مئات الآلاف من غيرهم أيضا شاهدين عليها.

ليس من غير المناسب ذكر أمر آخر هنا وهو أن بعض الجهال يذكرون مقابل مائة ألف نبوءةٍ نبوءةً واحدة أو نبوءتينِ ويقولون بأنهما لم تتحققا. ولكن هذا قصور فهمهم فقط، والحق أنه ما من نبوءة إلا وقد تحققت بحسب كلماتها بالضبط، أو تحقق جزء منها

وهو شاهد على تحقّق جزئها الثاني في وقت آخر. إن كتمان شهادة الحق وتقديم الأعذار الواهية ليس من شيمة الذين يخافون الله. يتحتم على الآريين بوجه خاص ألا ينسوا آيةً أراهم الله تعالى إياها بيده القوية وجعل عشرات ملايين الناس عليها من الشاهدين. إن إنكار آية عظيمة مثلها والتكذيب بعدها، هو بمنزلة محاربة الله تعالى.

لقد أوردتُ تعاليم الفيدا هذه على سبيل المثال فقط، وقلت أن تعليم القرآن الكريم يخالفها. لقد جاء القرآن الكريم لتوطيد دعائم التوحيد في العالم، وفيه تعليم التوحيد كسيف مسلول. اقرأوه من البداية إلى النهاية تروا أنه لا يعلّم أن تعبدوا غير الله أو تطلبوا من غيره تحقُّق أمانيكم أو تحمدوه أو تُثنوا عليه. لا يجعل القرآن الكريمُ كتب الله خاصةً ببلدٍ أو بقوم دون قوم، بل يقول بأنه جاء لإكمال دائرةٍ كانت نقاطُها موجودة في العالم كله بصورة متفرقة. فهو يخُطّ الآن خطًّا بين تلك النقاط ويحوِّلها إلى دائرة، وبذلك يريد أن يجعل الأمم كلها أمة واحدة، ولكن ليس قبل الأوان، بل في وقت يشهد بنفسه أنه قد حان لكل الأمم أن تصبح أمة واحدة حتما.

الثاني:

ما هو تعليم المسيحيين والآريين عن كل نفس وعن بني البشر وعن القوم، وما هو تعليم القرآن الكريم في هذا الموضوع؟

لا أرى حاجة إلى نقل تعليم المسيحيين مفصلا في هذا المقام، إذ إن مسألة موت المسيح وكفارته لم تحررهم من جميع أنواع المجاهدات والأعمال فقط بل شجّعت أيضا معظم القلوب على ارتكاب الذنوب، لأنه ما دامت في يد المسيحيين وصفة قطعية لغفران الذنوب، أي موت المسيح، فمن الواضح مدى تأثيرها الذي تركته في القوم، وإلى أيّ مدى تكون قد شجّعت النفس الأمارة على اقتراف الذنب. لا أخال أنني بحاجة إلى بيان مدى الضرر الذي ألحقته هذه الوصفةُ بالطهارة العملية في أوروبا وأميركا، وخاصة منذ أن التحق بها جزؤها الثاني أيضا، أي الخمر؛ فقد صارت هذه الوصفة مادة خطيرة جدا وقابلة للاشتعال. يقال في تأييد ذلك بأن عيسى عليه السلام كان يشرب الخمر، فمن واجب كل مسيحي صادق أن يشربها أيضا ويقتدي بمرشده!

فباختصار، الزلزال الذي أصاب طهارة هذه البلاد العملية بسبب استخدام هذه الوصفة؛ والدمارُ الذي ساد تلك الأقوامَ ترتعد لذكره

الأبدان. من المؤسف حقا أن مزيج الخمر والكفارة صار بارودا قويا وقابلا للاضطرام سريعا بحيث تتبخر أمامه التقوى والطهارة الباطنية كالهشيم والكلأ أمام عاصفة عاتية. وهذا البارود أقوى لنسف الطهارة الباطنية من المدفعية التي يصل مداها إلى عشرة أميال لأن المدفعيات في معظم الحالات تصيب الهدف إلى بُعد ميلَين أو ثلاثة أميال على أكثر تقدير، ولكن دائرة هذه المدفعية قد اتسعت إلى أكثر من عشرة آلاف ميل. إن ظاهرة انتشار الخمر في أوروبا اكتسحت هذا البلد أيضا، ولا حاجة إلى بيان أكثر من ذلك.

إضافة إلى ذلك إن سفور النساء بوجه عام قد جعل الرجال والنساء دريئة هذه المدفعية. من المعلوم أن ذوي القلوب الطاهرة والذين يخشون الله قلة قليلة في العالم، ومعظم الناس يشبهون كلبا لا يتمالك نفسه من أن يلعق الإناء إذا وجد فيه حليبا أو شيئا لذيذا آخر. تكون النفس غالبة والشهوات طالبة، والأعين عمياء، ثم تُذكي الخمرُ لظى هذه العواطف أكثر! ففي هذه الحال تتلاشى خشية الله من القلوب. إن أيام الشباب والعواطفُ الثائرة وكؤوس الخمر تُعمي المرءَ. إن التقاء الشاب والشابة بحرية وكأنهما زوجان يؤدي إلى مفاسد مخجلة بدأت أوروبا أيضا تطّلع عليها يوما فيوما. وكما سنُّوا قانون الطلاق بعد تجارب كثيرة، كذلك سوف ترون أنهم سيصوغون قانونا يشبه الحجاب الإسلامي في أوروبا

أيضا مضطرين يوما من الأيام، وإلا ستؤول الأمور إلى أن يصبح الرجال والنساء كالبهائم حتى تتعذر معرفة مَن هو والد هذا أو ذاك. وأنّى لمثل هؤلاء الناس أن يكونوا طاهري القلوب؟ إن أطهار القلوب هم أولئك الذين يكون الله عَزَّ وَجَلَّ ماثلا أمام أعينهم دائما ولا يذكرون الموت فحسب، بل يكادون يموتون كل لحظة بهيبة عظمة الله. ولكن كيف يمكن أن تتولد هذه الحالة عند الإدمان على الخمر؟ إن الخمر وخشية الله لا تجتمعان في شخص واحد قط. إن التجرؤ الناتج عن كفارة المسيح والثورةُ النابعة عن الخمر قد نجحتا في استئصال التقوى. لا يسعنا التقدير هل الكفارة تسببت في هذه المفاسد أكثر أم الخمر. لو كانت فيهم عادة الحجاب كما في الإسلام لبقي بعض الستر قائما، ولكن أوروبا تعادي الحجاب ولا نفهم فلسفتهم هذه. وإن لم يرتدعوا عن الإصرار على ذلك فليشربوا الخمور كما يحلو لهم؛ إذ تظهر بسببها فوائد الكفارة بكثرة! لأن الذين يُذنبون اعتمادا على كفارة المسيح تظلّ موازينهم تثقل بواسطة الخمر كثيرا وباستمرار! لا أريد أن أطيل هذا النقاش لأن مقتضيات الطبائع مختلفة. إننا نخاف استخدام الأشياء النجسة حتى في حالة مرض شديد دع عنك شرب الخمر بدلا من الماء.

هنا أتذكّر قصتي القديمة وهي أنني مصاب بداء السكري منذ عدة سنين وأتبول ١٥ أو ٢٠ مرة يوميا، وفي بعض الأحيان أتبول مئة مرة

أيضا في يوم واحد. وبسبب السكّر في البول أعاني أحيانا من مرض الحكّة أيضا. وبسبب كثرة البول أُصاب بضعف شديد. وذات مرة اقترح علي أحد أصدقائي أن الأفيون يفيد لعلاج كثرة التبول، فلا حرج في تناوله بهدف العلاج. قلت له: أشكرك كثيرا على مواساتك، ولكن لو بدأت بتناول الأفيون لعلاج السكري فأخشى أن يقول الناس مستهزئين بأن المسيح الأول كان يشرب الخمر، والمسيح الثاني يتعاطى الأفيون!

فحين توكّلت على الله تعالى في هذا الأمر لم يجعلني محتاجا إلى هذه الأشياء الخبيثة. وكلما أعياني المرض خاطبني الله وقال ما مفاده: اُنظر، فقد شفيتك، وبالفعل شُفيتُ في الحال. فبناء على هذه الأمور إنني واثق من أن إلـهنا قادر على كل شيء[1]. كاذبون هم الذين يقولون بأنه سبحانه وتعالى لم يخلق الروح ولا ذرات الأجسام. إنهم غافلون عن الله. في كل يوم جديد نرى خلقه الجديد ويَنْفُخُ في أنفسنا روحا جديدة بالترقيات. لو لم يكن الله خالقا من العدم لمتنا ونحن أحياء. إنه لعجيب الإله الذي هو إلهنا، من هو مثيله أو نظيره؟ إن أفعاله لغريبة حقا. هل من أحدٍ أفعالُه

---

[1] ما لم يطّلع الإنسان على وجود الله بواسطته عز وجل ومن خلال تجلّيه، فهو لا يعبد الله بل يعبد أفكاره. إن عبادة الإنسان أفكاره فقط لا تزيل الأدران الداخلية. هؤلاء الناس يريدون أن يصيروا آلهة الإله بأنفسهم إذ يريدون أن يطّلعوا عليه عز وجل بأنفسهم. منه.

مثل أفعاله؟ هو قادر على كل شيء ولكن حكمته تمنعه أحيانا من فعل معين؛ فأقول على سبيل المثال بأني مصاب بمرضَين، أحدهما بالجزء الأعلى من الجسد وهو الصداع والدُوارُ وبرودةُ اليدين والقدمين نتيجة انخفاض ضغط الدم وضعفُ النبض. والثاني بالجزء الأسفل من الجسد وهو كثرةُ البول والإسهال. وأعاني من هذين المرضين منذ عشرين عاما تقريبا. وفي بعض الأحيان يتلاشيان نتيجة الدعاء كأنهما زالا نهائيا، ثم يعودان مرة أخرى. ذات مرة دعوت الله تعالى ليزيل هذين المرضين تماما فتلقيت جوابا بأن هذا لن يحدث. عندئذ ألقى الله في قلبي أنهما أيضا من علامات المسيح الموعود، لأنه قد ورد أنه سينـزل في مهرودتين. فهما المهرودتان نفسهما. إحداهما على الجزء الأعلى من الجسم والثانية على الجزء الأسفل منه، لأن معبِّري الرؤى كلهم متفقون على أنه إذا رأى أحدٌ المهرودات في عالم الكشف أو الرؤى -وهو عالَم النبوة- كان المراد منها المرض. فلم يُرِد الله تعالى أن تنفصل عني علامة المسيح الموعود هذه.

لا يخطرنّ ببال أحد أني لم أذكر هنا تعليم الإنجيل، لأنه قد تقرر أن المسيح جاء لينفع بدمه فقط، أي ليظل المذنبون ينجون على الدوام نتيجة موته، وإلا فإن تعليم الإنجيل أمر بسيط وهو موجود في الكتاب المقدس سلفا، فيمكن القول بتعبير آخر بأنه للرياء فقط، والعمل به ليس

مطلوبا. وهذا هو الحق. هل تعمل المحاكم بذلك؟ وهل يعمل القساوسة أنفسهم بذلك؟ هل يلتزم به عامة المسيحيين؟ غير أنه يُعمَل بحسب كفارة المسيح ودمه، وتستفيد منه أوروبا وأميركا كلتاهما!

إضافة إلى ذلك، من الخطأ الكبير اعتبار تعليم الإنجيل كاملا، لأنه لا يسقي شجرة فطرة الإنسان بوجه صحيح، بل يطيل غصنا واحدا بوجه غير مناسب ويقطع البقية. ولا يُربي الإنجيل جميع القوى التي جاء بها الإنسان إلى هذه الدار الفانية. يتبين بالنظر إلى فطرة الإنسان أنه أُعطي قوى مختلفة ليستخدمها في أوقات مختلفة بحسب مقتضى الحال والمحلّ؛ فمن جملة أخلاق الإنسان خُلقٌ يشبه فطرة الشاة، وخُلقٌ آخر يشبه صفة الأسد. فيريد الله تعالى أن يصير الإنسان شاة بحسب مقتضى الحال ويصبح أسدا بمقتضى حال أخرى. ولا يريد عَجَلَّ أن يكون كشاة دائما وفي كل الأحوال، كما لا يحب عَجَلَّ أن يكون مثل الأسد دائما وفي كل الأحوال. وكما أنه عَجَلَّ لا يريد أن يبقى الإنسان نائما كل حين أو يبقى مستيقظا دائما، ولا يودّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يظل عاكفا على الأكل أو أن يكفّ عن الأكل نهائيا، كذلك لا يريد عَجَلَّ أن يركّز على قوة واحدة من قواه الباطنية ويحسب القوى الأخرى التي أعطاه الله إياها لغوا؛ فإذا كان الله قد أعطاه قوة الحِلم والرأفة والعفو والصبر، فقد أعطاه أيضا قوة الغضب والرغبة في الانتقام. فهل من المناسب أن يستخدم المرء قوة

واحدة مما وهبه الله تعالى أكثر من المفروض ويفصل القوة الأخرى عن فطرته كليا؟ فهذا يجلب الاعتراض على الله بأنه أعطى الإنسان بعض القوى التي لا تصلح للاستخدام، لأنه هو الذي خلق في الإنسان قوى مختلفة.

فليكن معلوما أنه لا توجد في الإنسان قوة سيئة، بل إن سوء استخدامها يجعلها سيئة. فتعليم الإنجيل ناقص للغاية إذ قد رُكِّز فيه على جانب واحد فقط. وإضافة إلى ذلك يدّعي تعليمه أنه إذا لطمكم أحد على خدّ فأديروا له الخدّ الآخر، ولكن لا يُعمَل بحسب هذا الادعاء. فمثلا يمكن لأحد أن يلطم قِسًّا ثم لينظر ماذا سيقوم به من إجراءات بواسطة المحكمة. فما الفائدة من تعليم لا يمكن أن تعمل به المحاكم ولا القسس؟ التعليم الحقيقي هو تعليم القرآن الكريم وهو مبني على الحكمة ويراعي مقتضى الحال. فمثلا يقول الإنجيل أنه يجب أن تتلقوا لطمات الناس دائما، ولا تقاوموا الشر بأي حال، ولكن القرآن الكريم يقول مقابل ذلك: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[1]؛ أي إذا آذاكم أحد وكسر سِنّكم مثلا أو فقأ عينكم فجزاؤه سيئة مثلها. ولكن إذا عفوتم عن السيئة وكان العفو يؤدي إلى نتيجة

---

[1] الشورى: ٤١

طيبة وإصلاح، بمعنى أن يتوقف المجرم عن ذلك في المستقبل؛ فالعفو هو الأَولى في هذه الحالة، وستنالون من الله أجرا على هذا العفو.

انظروا الآن، فقد رُوعي في هذه الآية كِلا الأمرين وأُنيط العفو والانتقام بالحكمة ومقتضى الحال. هذا هو المسلك الحكيم الذي يجري عليه نظام العالم. العفو أو العقوبة بحسب مقتضى الحال هو الحكمة بعينها. فكما ترون أننا لا نستطيع أن نأكل طعاما واحدا دائما بل ننوِّع الأطعمة ذات التأثير البارد وأخرى ذات التأثير الحار بحسب مقتضى الأمر، ونلبس ثيابا دافئة في الشتاء ورقيقة في الصيف كما تقتضى الضرورة. كذلك إن حالتنا الأخلاقية أيضا تقتضي التغيُّر بحسبما يناسب. فتارة تقتضي المناسبة إظهار القوة؛ ولو أظهر المرء الضعف عندها لفسد الأمر، وتارة أخرى تقتضي الضرورة العفو والصفح، وإن إظهار الغضب عندئذ يكون سفالة محضة. فملخص الكلام أن كل وقت وكل مناسبة تقتضي عملا بحسب مقتضى الحال. ومَن لم يراعِ الحكمة ومقتضى الحال فهو حيوان وليس إنسانا، وهمجيٌّ وليس متحضرا.

والآن نتطرق إلى مذهب الآريين لنرَى ما تعليمه عن طهارة الإنسان وعن سلوكه الحسن. فليكن معلوما أن أقبح مبدأ من مبادئ الآريين وأدعاها للخجل هو "النيوك" الذي سجله الباندِيت ديانند

بكل جرأة في كتابه "ستيارته بركاش"، وعدّه تعليمَ الفيدا الجدير بالاعتزاز. لو جعل الأمر مقتصرا على الأرامل لما كانت بنا حاجة إلى أن نتكلم فيه. ولكنه أبلغ هذا المبدأ المعادي لفطرة الإنسان منتهاه وخلع لباس الحياء والعفة تماما وقال بأنه إذا كان للمرأة زوج ولكنه لا يقدر على إنجاب الذكور لعِلّة جسدية فيه، وكان يُنجب البنات فقط مثلا أو لا يقدر على الإنجاب أصلا لرقّة المني أو إذا كان كامرأة عقيم وإن كان قادرا على الجماع، أو تأخر إنجاب الأولاد الذكور لسبب من الأسباب، فعليه أن يجعل زوجته في الحالات المذكورة تضاجع شخصا آخر. وبهذه الطريقة يستطيع أن ينال أحد عشر[1] ولدا من نطفة شخص آخر، بمعنى أن زوجته ستظل تضاجع شخصا آخر إلى عشرين عاما تقريبا. وقد ذكرت هذه القضية مفصلا في كتابي "آريه دهرم" مستشهدا بكتابه المذكور. الحياء يمنعني من إيراد تلك التفاصيل كلها في هذا المقام. فباختصار، هذه العملية تسمَّى "النيوك".

[1] لا أعرف على وجه التحديد هل أُمر في مسألة "النيوك" -أي إخضاع الزوجة لمضاجعة شخص آخر- بالحصول على ١١ ولدا فقط أو أكثر. لقد قرأت ذلك في "ستيارته بركاش" قبل مدة طويلة، ولكن لم أَعُد أذكره لضعف الذاكرة. أرجو من الآريين أن يخبروا بذلك لأنهم حتما سيذكرونه جيدا بناء على جعْل نسائهم يمارسنه كل يوم. منه.

معلومٌ أن هذا المبدأ يستأصل الطهارة البشرية من جذورها، ويصم الأولاد بولادة غير شرعية. لا تقبل الفطرة الإنسانية بحال من الأحوال وقاحةً بأن تكون لشخص زوجةٌ وقد سافر للزواج منها، وزوّجه أبواه ببذل مئات أو آلاف الروبيات، فصارت عِرض الزوج ومحل غيرته ومدار عزته وشرفه كله، وزوجها حيّ يُرزق ثم تضاجع زوجته في الليل شخصا آخر بحضوره، ويسوِّد شخص آخر وجهه مع زوجته في بيت الزوج وهو يسمع الأصوات ويفرح على أن ما يجري هو جيد، فتُرتكب هذه العملية غير المشروعة أمام عينيه دون أن تثور غيرته.

قولوا الآن بالله عليكم هل تقبل غيرة أحد وقاحةً أن تضاجع زوجته -التي تزوجها بكل سرور وبهجة- غيره بحضوره هو؟ انظروا كيف أبدى "راجه رام شندر" غيرةً على زوجته "سِيتا"، مع أن "راون" كان من البراهمة ولم يكن عند "سيتا" أولاد إلى ذلك الحين، وكان "النيوك" مع شخص من البراهمة جائزا بحسب هذا المبدأ. ولكن غيرة "رام شندر" على زوجته المحصنة أدّت إلى قتل "راون" وحرق "لنكا". والذي لا يغار على زوجته لا يستحق أن يُدعى إنسانا. ولماذا لا يسمى ديُّوثا؟ لقد لوحظت هذه الغيرة في الحيوانات أيضا. وقد لوحظ في الطيور أن الطير أيضا لا يجيز أن يقيم طير آخر علاقة مع أنثاه. فهل يمكن أن تقبل فطرة

الإنسان السليمة هذا الفعل البعيد عن الحياء؟ ثم يقول ديانند بأن هذا ما جاء في الفيدا ولكن لا يسعنا القبول بأن يكون في الفيدا قول مثله. فتباهى الBANDIT ديانند كما شاء أمام الجهلاء، ولكن ليس بوسع كل شخص أن ينال فضلا علميا كاملا يُنير قلب الإنسان. تكون هناك بعض الكلمات ذات أوجه، فيختار الجاهل معنى واحدا تسرُّعا منه وجهلا. ومَن اضمحل فيه الحياء لا يشعر بأن كلامه بعيد عن النباهة والطهارة. ولكن هنا ينشأ سؤال طبيعي وهو: لماذا أكّد البانديت ديانند على أمر مخجل مثله؟ وكيف تجاسر وكتب هذا التعليم القذر في كتابه "ستيارتهـ بركاش"؟

فبقدر ما تأملتُ فيه أرى أن جوابه هو: أن البانديت ديانند بقي عازبا طول عمره ولم يتزوج، فلا يدرك معنى الغيرة التي يكنّها شخص نبيل وغيور تجاه زوجته، لذا لم تدرك طبيعته الغِرّة ما يكتبه. لم يعرف ديانند أن ممارسي الدعارة أيضا يكنّون غيرة تجاه زوجاتهم. بل هناك أناس يقيمون علاقات غير شرعية مع مومسات، ولكن حين يرون أن مومسة ذات علاقة معهم ضاجعت غيرهم يستشيطون غضبا ويبترون أنفها أو يقتلونها في معظم الأحيان. فهل يقبل العقل والحالة هذه أن تقوم امرأة شخص غيور من الآريين بهذه الأمور ومع ذلك يقدر على مواجهة الناس؟ هذا المبدأ يتسبب في انتشار الفاحشة الصريحة في العالم،

فيضطر المسؤولون الحكوميون إلى التدخّل للحد من مبادئ سيئة مثلها، كما منعت الحكومة الإنجليزية قهرا منذ بداية عهدها تقليد "جَل بَروا"[1] وتقليد "ستي"[2].

كذلك لو عُدّت مسألة التناسخ[3] أيضا صحيحة لأدّت إلى الفساد

---

[1] "جَل بَروا" تقليد هندوسي حيث كانوا يُلقون ولدهم البِكر في نهر "غانج" دون رحمة ويهلكونه. (المترجم)

[2] تقليد هندوسي آخر وهو أنه إذا مات الزوج كانت جثته تُحرَق بالنار، وكانت أرملته أيضا تحرق نفسها إظهارا للإخلاص والوفاء لزوجها. (المترجم).

[3] **الحاشية:** ما من مسألة أكثر بطلانا من التناسخ لأن أساسها خاطئ ويثبت بطلانها عند الاختبار أيضا، كما هي باطلة من حيث طهارة الإنسان. فمن واجب العارف أن يعُدّها باطلة لكونها تعيب قدرة الله تعالى أيضا.

أما بطلان أساسها فقد ورد في "ستيارتھ بركاش" أن الروح تحل في بطن المرأة بحيث تسقط على أوراق الخضروات مع قطرات الندى وبأكل تلك الخضروات تؤكل الروح أيضا. ولكن هذا يستلزم أن الروح تسقط على الأرض قطعتينِ، فيأكل الرجل قطعة صدفة وتأكل المرأة قطعة ثانية لأنه من الثابت والمتحقق أن الولد ينال القوى والأخلاق الروحانية من الرجل والمرأة على السواء وليس من أحدهما، فصار ضروريا أن يأكل كلاهما تلك الخضروات التي عليها الروح ولا يكفي أن يأكل أحدهما. فهذا يستلزم تقسيم الروح بالبداهة. ولأن تقسيم الروح باطل فصار التناسخ أيضا باطلا.

أما بطلان هذه المسألة من حيث الاختبار، فكما تولّدت الأرواح المتنوعة دائما، لا يمكن في تلك الحالات كلها أن تتولد الأرواح نتيجة الندى. فمثلا نرى أحيانا

أن القمّل تتولد في الرؤوس، فبأيّ ندى تؤكل تلك الأرواحُ؟ كذلك تتولد الحشرات في مستودعات القمح، فبأي ندى تدخل تلك الأرواح التي يقع عددها في عشرات الملايين في المستودعات ومن يأكلها؟ تتولد الديدان في البطون، وفي بعض الأحيان تتولد في الدماغ أيضا، وبحسب علوم الطبيعة تكون هناك آلاف الديدان في قطرة ماء واحدة، فبأي ندى تتولد تلك الديدان كلها؟ تقول التجربة بأن في كل شيء بيوض نوعٍ من الديدان، إذ تسوس الحريرَ أيضا سُوسٌ وتنخر في الخشب والغلال، وفي بعض الفواكه تتولد الديدان منذ بداية تكوينها. وبأي ندى تدخل الديدان في التين البري؟ وقد أثبت أصحاب التجارب أنهم يستطيعون أن ينتجوا آلاف العقارب ببعض الطرق، فمن أي ندى تأتي تلك العقارب؟ من المؤسف أن عقلية الbanديت ديانند السطحية أصابت الآريين بأنواع الندم والخجل. فقد رحل من هذه الدنيا سريعا بعد الإدلاء بهذه البيانات الخاطئة والسخيفة وترك الذين سلكوا مسلكه عرضة للندم من عدة أنواع.

ثم انظروا ما أقبح مسألة التناسخ من حيث الطهارة أيضا. فمثلا عندما تولَد البنت هل تخرج معها قائمة ليُعرَف منها أنها أمٌّ فلان أو جدّة فلان أو أخته، فلا يتزوجنَّها؟!

كذلك إن مسألة التناسخ تعيب قدرة الله أيضا بشدة. إن الله تعالى قادر على أن ينفخ روحا في الخشب أيضا إذا شاء ذلك، كما أن عصا موسى كانت تتحول إلى خشبة تارة وإلى حية تارة أخرى. ولكن إله الهندوس لا يمكن أن يبقى إلها في حال كون الأرواح أزلية، لأن الذي يدير أمور ألوهيته بدعم من الآخرين لن تقوم لألوهيته قائمة، بل هي مهيأة للانقراض على أية حال عاجلا أم آجلا.

أما القول بأن دوامة التناسخ التي تجري منذ عشرات ملايين السنين بحسب معتقد الآريين فسببها يعود إلى ذنوب ارتكبها الناس في أثناء ولادات سابقة إنما هي

نفسه الذي أدّى إليه "النيوك"[١] لأن في هذه الحالة سيحدث ملايين المرات أن ينكح الرجل امرأة كانت أمَّه في الحقيقة أو جدته أو ابنته التي ماتت من قبل ثم وُلدت وجاءت إلى الدنيا مجددا. فإذا كانت مسألة التناسخ صحيحة كان من واجب الإله على الأقل أن يخبر المولودة الجديدة أنه كانت لها علاقة قرابة مع فلان وفلان في الولادة السابقة حتى لا يصل الأمر إلى البغاء.

ليكن معلوما هنا أن مسألة التناسخ باطلة من أساسها. إذ لا يصح ما تفترضه جدلا إلا إذا قيل بأن الروح تسقط على الخضروات منقسمة في قسمينِ ثم تؤكل كالطعام. أما التفاوت في المراتب فليس دليلا على التناسخ لأن هذا التفاوت في المراتب يوجد في الجمادات أيضا. فجواب

فكرة واهية وعبثية وسخيفة للغاية وباطلة تماما من حيث تجارب العلوم الطبيعية. من الواضح أن في خلق الأرواح أيضا نظاما إلهيا لا يتغير ولا يتبدل. فمثلا تتولد آلاف الحشرات في موسم الأمطار، وفي أيام الصيف يتولَّد الذباب بكثرة هائلة، فهل معنى ذلك أن الذنوب تُرتكَب في العالم في تلك الأيام دائما، فيحوَّل الناس إلى الذباب والحشرات نتيجة كثرة ذنوبهم الكبائر؟ هذا، وهناك آلاف الأدلة الأخرى من هذا القبيل التي تُبطل التناسخ، فعلى الآريين أن يفكروا في هذه الأمور كلها بتدبر رصين. منه.

[١] إن كثرة النيوك مضرة للنساء لسبب آخر أيضا وهو أن ذلك سيؤدي إلى غياب الحياء كليا، فلو ضاجعت المرأة غير زوجها لبضعة أعوام لتعودت على ذلك على الدوام. منه.

هذه الشبهة أن الذي نقصه شيء يوفى حسابُه كاملا يوم القيامة، والذي نال جزءا أكبر حوسِب حينذاك. لذا كيف يمكن أن يكون التفاوت البسيط في الدنيا الفانية دليلا على التناسخ؟

والقول ردًّا على "النيوك" بأن في المسلمين أيضا عادة " نكاح المتعة" جواب غريب. لا أدري ماذا يفهم السادة الآريون من نكاح المتعة. فليكن واضحا أن الله تعالى لم يعلّمنا في القرآن الكريم شيئا في هذا الخصوص سوى النكاح. غير أن فِرقة في مذهب الشيعة يعقدون قرانا مؤقتا؛ أي إبقاء النكاح قائما إلى وقت معين ثم يقع الطلاق، وهذا يسمونه متعة. ولكن ليس لديهم دليل على ذلك من كلام الله تعالى. ومع ذلك هو نوع من النكاح، وزمن الطلاق فيه معروف، بينما لا علاقة لمسألة "النيوك" بالطلاق قط. إن علاقات الزوجين تنقطع كليا بعد الطلاق ويعتبر كل من الزوجين أن الآخر مات بالنسبة له. وزدْ إلى ذلك أن مسألة الطلاق موجودة في كل دين بسبب حاجة الناس إليه. فقد سُنّ هذا القانون في الغرب أيضا. وأما الاعتراض بأن المسلمين يعدِّدون الزوجات فلا علاقة له أيضا مع "النيوك"، إذ إن الراجات في الهندوسية وكبارهم أيضا كانوا يعدِّدون ولا يزالون يفعلون. والاعتراض أن نكاح نبينا ﷺ بالسيدة زينب عُقد في السماء، يُثبت غباوة المعترض فقط. الحق أن نكاحات أنبياء الله ورسله تُعقد في السماء في الحقيقة لأنه

ﷻ يأمرهم بالنكاح قبل الأوان ويوافق عليها. ما دام راهبكم يتوسط ويعقد قِرانا أفلا يحق ذلك لله؟ كان الاعتراض في محله إذا أنكح الله امرأة متزوجة من نبي قهرا دون أن يطلقها زوجها. أما إذا كان النكاح برضا الفريقين بأمر من الله بعد الطلاق فما وجه الاعتراض عليه؟

وإذا كان سماح المرء لزوجه بمضاجعة غيره في حياته يعادل عند الآريين طلاقَه زوجَه نتيجة ارتكابها الفاحشة أو لسبب آخر، فالحكم في ذلك سهل للغاية، لأن هناك كثيرا من المسلمين وغيرهم في هذا البلد الذين يطلّقون زوجاتهم مضطرين بسبب عدم الانسجام بين الطبائع، فتصبح المطلقات كعضو مبتور ولا تبقى أية علاقة بينهما. وإذا طلب الآريون فيمكننا أن نهيئ لهم عدة قوائم تضم المسلمين بل الهندوس أيضا الذين طلقوا نساء ذوات سلوك سيئ وقطعوا علاقاتهم معهن كليا بسبب هذه المشاكل. كذلك على الآريين أيضا أن يهيئوا لنا قوائم[١] هؤلاء النبلاء والمحترمين من الآريين الذين جعلوا زوجاتهم في حياتهم يمارسن "النيوك" وحصلوا على الأولاد بمضاجعتهن الآخرين. ولكن يجب أن

---

[١] قبل فترة نشر أحد الآريين -لعله كان من مدينة فيروز بور- في جريدةٍ رسالةً جاء فيها بأنه إذا كان أحد من الآريين يرغب في أن تمارس زوجُه "النيوك"، أو كانت الزوجة بنفسها ترغب في هذه العملية المقدسة، فلهم أن يتفقوا معه على ذلك بالمراسلة. ولا ندري هل أُرسل الجواب على طلبه من قاديان أيضا أم لا؟ منه.

يقدموا مع هذه القائمة قائمة أخرى تضم أسماء الأولاد الذين وُلدوا نتيجة النيوك لأننا نريد أن نعرف كم من الآريين من قاديان بوجه خاص جعلوا زوجاهم يمارسن النيوك إلى الآن، وإلى أيّ مدى شاركوا في هذه العملية "المقدسة"، وكم منهم حصلوا على الأولاد بعد ما سمحوا لزوجاهم مضاجعة مع الأجانب؟ لأنه إذا كان هذا العمل مستحسنا وجديرا بالاعتزاز بحسب تعليم الفيدا المقدس فلا بد أن يكون كل واحد من الآريين قد ساهم في ذلك بل كان واجبا عليه أن يفعل.

ليكن معلوما أن القرآن الكريم يفرض تعليم الحجاب على الزوجات مقابل تعليم "النيوك" فيقول: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ...* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[1] أي قل للمؤمنين رجالا ونساء أن يكفوا عن النظر إلى النساء والرجال الأجانب، وأن تكفّ النساء عن سماع الأصوات غير المشروعة للرجال الأجانب، وأن يحفظوا فروجهم لأن ذلك أزكى لهم.

فكّروا الآن أيها الآريون بشيء من العدل أن القرآن الكريم يمنع حتى من أن ينظر الرجل إلى امرأة أجنبية وأن تنظر المرأة إلى رجل أجنبي أو تسمع صوته بوجه غير شرعي، أما أنتم فتسمحون لزوجاتكم بكل

---

[1] النور: ٣١، ٣٢

سرور أن يضاجعن رجالا آخرين وتسمون هذه العملية باسم الـ "النيوك". ففكروا الآن كم هو بُعد شاسع بين هذين التعليمين. والأسف كل الأسف أنه إذا اعُترض عليكم من باب المواساة بأنكم لماذا تجعلون نساءكم يرتكبن هذه الفعلة الشنيعة؟ قدمتم مسألة الطلاق، ولا تدرون أن الحاجة إلى الطلاق مشتركة في العالم كله. والمرأة التي قُطعت معها علاقة الزواج فكأنها قد ماتت بالنسبة إلى المطلِّق. فلو توقفتم عند حد طلاق نسائكم في حال الضرورة، أي إذا عصينكم أو خالفنكم أو ارتكبن الفاحشة أو عادينكم بشدة، لما وقع عليكم أيّ اعتراض لأن العلاقة بين الرجل والمرأة إنما هي للمحافظة على التقوى والطهارة. والزوجان يتعاونان للمحافظة على الدين والطهارة وكل واحد منهما يكون صديقا صدوقا ووفيّا ومخلصا للآخر، وإن لم تبق بينهما العلاقة الطيبة التي هي الهدف الحقيقي من النكاح فما الحل سوى الطلاق؟ عندما تتآكل سِنٌّ مثلا وتؤلم كثيرا لا تعود سنًّا بل تتحول إلى شيء خبيث ولا بد من قلعها حتى لا تصبح الحياة مُرة كما جاء في بيت فارسي: "عندما تصاب سِنُّك بالسوس فاقلعْها يا صديقي."[1]

[1] الحق أن الطهارة الإسلامية هي التي شعرت بضرورة الطلاق، وإلا فالذين يعيشون كالديُّوثين يرون أنه لا حاجة إلى الطلاق مهما فعلت نساؤهم. منه.

الثالث:

أيّ من الأديان الثلاثة، أي المسيحية أو الهندوسية أو الإسلام، يرشد إلى الإله الحق ويُريه عيانا ولا يكتفي بالقصص فقط

فليكن واضحا أن الغرض الحقيقي من اختيار الدين هو أن ينال المرء يقينا كاملا بالله الذي هو منبع النجاة وكأنه رآه بأم عينيه، لأن روح الذنب الخبيثة تريد أن تهلك الإنسان. ولا يسع الإنسان أن يجتنب سمّ الذنب الفتاك بحال من الأحوال ما لم يحظَ بيقين تام بالله الكامل والحي، وما لم يعلم أن الله الذي يعاقب المجرم ويرزق المتقي سعادة دائمة موجود. يلاحَظ كل يوم وبوجه عام أن الإنسان عندما يستيقن أن الشيء كذا قاتلٌ لا يقترب منه. فمثلا لا يتناول أحد السمَّ قصدا، ولا يقف أمام أسد مفترس، ولا يُدخل يده في جحر حيّة عمدا؛ فلماذا إذًا يرتكب الذنب عمدا؟ السبب في ذلك أنه لا يحظى بيقين كيقينه بالأشياء المذكورة آنفا. فالواجب الأهم والأول على الإنسان هو أن يوقن بالله ويختار دينا يحصل بواسطته على اليقين لكي يخشى الله ويجتنب الذنوب. ولكن كيف يمكن الحصول على هذا اليقين؟ هل بواسطة

القصص والحكايات البحتة؟ كلا. هل يمكن ذلك بأدلة عقلية مبنية على الظن فقط؟ كلا.

فليكن واضحا أن هناك سبيلا وحيدا للحصول على اليقين وهو أن يرى الإنسان آيات الله[١] الخارقة للعادة بواسطة مكالمته ﷻ، ويستيقن بجبروته وقدرته من خلال تجاربه المتكررة، أو يمكث في صحبة شخص بلغ هذه الدرجة.

والآن أقول بأنه ما من مسيحي ولا أحد من الآريين حائز على هذه الدرجة من المعرفة، وليس في أيديهم إلا القصص البحتة، وكلهم محرومون من مشاهدة التجليات الحية لله الحي. إن إلهنا الحي والقيوم يكلّمنا كما يتكلم الناسُ. نسأله شيئا وندعوه وهو يجيبنا بكلمات مليئة بالقدرة. ولو طالت هذه السلسلة إلى ألف مرة لما أعرض ﷻ عن الإجابة. ويُظهر في كلامه أمورا غيبية غريبة ويُري مشاهد القدرة الخارقة للعادة لدرجة يجعل المرء يستيقن بأنه هو الذي يجب أن نناديه إلـها. يجيب الدعوات ويُخبر بإجابتها، ويحل مشاكل عويصة. ويُحيي

[١] إن نبوءات نبي خلا من الدنيا تظل تتحقق أمام أعين الجيل الثاني كمعجزات وتُطَمْئِن القلوب إلى فترة من الزمن بعد زمن نبوته. ولكن هذا المشهد لا يدوم إلى مدة طويلة. والقصص البحتة لا تجعل الإنسان ورعا بالمعنى الحقيقي. وإنما يمكن لمن يتبع خَطًّا واحدا أن يزدادا تعصبا لقومه ويكون سليط اللسان كشخص شرير، ولكن لا يمكن أبدا أن تتطرق إلى قلبه طهارة صادقة تؤتي أكلها. منه.

المرضى شبه الأموات نتيجة كثرة الدعاء. وبكلامه يُخبرني بإراداته كلها قبل الأوان. الإله الحق هو ذلك الإله الذي هو إلـــهنا، ويثبـــت لنـــا بكلامه الذي يشمل أحداثًا مستقبلية أنه هو إلـــه الأرض والسماء. هو الذي خاطبني وقال: سأحافظك من موت الطاعون، وسأحافظ أيضـــا جميع هؤلاء الذين يمكثون في دارك بالتقوى والورع.

من ذا الذي نشر في هذا الزمن إلهاما مثله سوايَ، وأكّد على حمايـــة الله لنفسه ولزوجه ولأولاده ولجميع الصلحاء الذين يسكنون داره؟ لقد ظهرت على يدي ما يقارب مئة ألف آية، والآريون مثل لاله شـــرمبت ولاله ملاوا مل أيضا من السكان المحليين شاهدون على أكبر جزء منها. وإن أنكروا ذلك سأبين لهم في كتيب منفصل هل رفضهم إياها دِيـــنٌ[١] أم تعنُّتٌ بحتٌ. إن قول الزور خشية القوم أسوأ من أكل النجاســـة. ثم القوم أيضا ليس خارجا عن نطاق هذه الشـــهادة، بـــل إن بانديتـــهم

[١] أرى أن بذاءة لسان الآريين في تزايُد في هذه الأيام، وقد اتخذوا قومهم أيضا إلها إضافة إلى الآلهة المذكورة في الفيدا. أعلم يقينا أنه قد حان الأوان ليُري الله الحـــي والقيوم قدرته من السماء في تأييد الحق. لقد علموا ضعف إلـــه الفيدا بتاريخ ٦ آذار/مارس ولكن هذا الإله الجديد قد أنساهم ذلك الحدث. أيّة آية يطلبونها مني الآن؟ عليهم أن يتحدَّوا علنا. ثم سيرُدّ الله على تحديهم كما يشاء فهو على كـــل شيء قدير. الاستهزاء بالله وبوحيه ليس جيدا. مع أن الفيدا ليس كلام الله بحسب قولهم، ولكن كلام الله ينـــزل عليّ؛ فعليهم أن يروا ويتبينوا ولا يستهزئوا. منه.

"الشجاع" قد جعل الجميع شهودا بموته، فما حقيقة المسكينَين "شرمبت" و"ملاوا مل"؟

اعلموا أنه قد ظهرت نبوءة عظيمة أخرى عن الطاعون، وهي أني نشرتُ قبل ستة أعوام أو سبعة في أحد كتبي بإلهام من الله أن كثيرا من الناس سينضمون إلى جماعتي نتيجة الطاعون. وهذا ما كان تماما؛ فقد انضم إلى جماعتي أكثر من عشرة آلاف شخص خشية الطاعون. لقد شبّه الله تعالى جماعتي بسفينة نوح، فلا يزال الناس يركبونها. وقد ركب سفينة نوح السباع والبهائم خائفة، وليس أن نوحا اصطادها من الفلوات كالصيادين بل ركبت السفينة بنفسها خائفة على حياتها. كذلك يركب الناس من كل نوع هذه السفينة أيضا خائفين.

اسمعوا يا سكان الأرض جميعا، اسألوا الآريين والمسيحيين ثم قولوا عدلا وإنصافا هل في أيديهم شيء سوى قصص قديمة وبالية؟! ولهذا السبب اتخذت فرقة منهم إنسانا إلـها، مع أنه لا يفوقني في شيء، بل لو رآني لوجد نِعم الله تعالى عليّ أكثر. هذا هو إله المسيحيين الزائف.

أما الآريون فقد اخترعوا من عند أنفسهم إلـها افتراضيا وضعيفا كإنسان لا يقدر على خلق الأرواح وذرات الأجسام. لو كان لهم نصيب من قدرات الله المتجددة لعلموا أنه بريء من الضعف البشري

وقادر على كل شيء. ما حقيقة الروح حتى يتعذر عليه ﷻ خلقُها؟ وما حقيقة الذرات حتى يستحيل عليه سبحانه وتعالى خلقُها؟ في الأرواح هناك أرواح أخرى، وفي الذرات هناك ذرات أخرى، والله خالقها جميعا. فهو يخلق باستمرار أشياء متجددة، أحيانا بمشيئته، وأحيانا أخرى استجابة لأدعية عباده المقبولين عنده. ومن لم يره على هذا النحو فهو أعمى كما يقول ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾[1]. أي الذي لم يره في هذا العالم لن يراه في ذلك العالم أيضا، وسيكون أعمى في كِلا العالَمين. الأعين لرؤيته ﷻ تُنال في هذا العالم، وحياة الجنة تبدأ من هذا العالم نفسه.

الإعلانات التي نشرها الآريون لشن الهجمات عليّ اعترضوا فيها على بعض نبوءاتي أيضا لقلة فهمهم. يقولون بأنه كانت هناك نبوءة بولادة الابن في الأيام الراهنة أو قبلها ولكن وُلدت بنت. فيكفي القولُ في الجواب بأنهم لو قرأوا كتبي واختاروا طريق الأمانة لما أثاروا اعتراضا مثله أبدا. لا أذكر إلهاما محتواه بأن ابنا سيولَد الآن حتما بلا فصل. إذا كانوا يذكرونه فليقدموه وإلا فإن قول "لعنة الله على الكاذبين" يكفي جوابا مني.

---

[1] الإسراء: ٧٣

لقد نشر الله تعالى نبوءة عن القيامة في جميع الكتب. الآريون أيضا يعتقدون بالقيامة الكبرى ولكن لم تتحقق تلك النبوءة إلى الآن بل عدد السكان في الدنيا يزداد يوما فيوما. الأماكن التي كانت فيها الفلوات والبراري من قبل ترى فيها الآن مدُنا، ولكن هل يمكن القول بأن النبأ كان باطلا؟ بل الحق أن تحقّق كلام الله يكون منوطا بموعد فيتحقق في موعده المناسب. أما نبوءة الوعيد فيتأخر تحققها أحيانا بسبب التوبة والرجوع إلى الحق. ما أدلَّ على وقاحة الإنسان من أن يكذب عند توجيه الاعتراض! كذلك كان الاعتراض على النبوءة عن موت عبد الله آتهم في محله لو متُّ قبله وكان هو حيا إلى الآن، لأن الإلهام كان يتلخص في أن يموت الكاذب مذهبًا قبل الصادق. ولكنه استفاد من الشرط الإلهامي لبضعة أيام ثم مات بحسب النبوءة. وقد تراجع عن تجاسره في مجلس بحضور سبعين شخصا تقريبا كان نصفهم مسيحيين وظل خائفا وباكيا إلى نهاية ميعاد النبوءة، فأُعطي مهلة. كانت المهلة بحسب شرط من الله ومذكورة في الإلهام. ثم دعاه القبر في نهاية المطاف. ولكنني أستغرب لماذا يقدم الآريون قصصا أخرى دون مبرر؟! ولماذا ينسون بهذه السرعة ما جرى لهم؟! ولماذا لا يستفيدون من النبوءة عن الBانديت ليكهرام؟! افتحوا كتابه وانظروا أنه نشر عني إعلانا أن الإله أخبره أن هذا الشخص سيهلك بالهيضة في غضون ثلاث سنوات. وقد

نشرتُ أنا أيضا في كتب عديدة بإلهام من الله أن ليكهـــرام ســـيهلك مقتولا في غضون ست سنوات ويكون يوم قتله مقرونا بيوم العيد، وبعد فترة سيتفشى الطاعون في هذا البلد. فتحققت كل هذه الأمور. فارتحل بانديتكم "الشجاع" ليكهرام من هذا العالم في ٦ آذار/مـــارس تاركـــا إياكم عرضة للخجل.

انظروا، كيف ثبت صدق إلـــه الإسلام وغلبته. إذا كان ذلك عمل الإنسان فلماذا لم تتحقق نبوءة ليكهرام؟ أسأل الآريين بكل أدب: هل النبوءة التي تنبأ بها عني ليكهرام بأن هذا الشخص سيموت بالهيضـــة في غضون ثلاث سنوات كانت من الله في الحقيقة؟ فلماذا إذًا عجـــز إلـــه ليكهرام عند هذه المواجهة؟ أما إذا كان الانديت قد كذب وافتـــرى على الله فهل يجوز بناء النُّصب التذكارية لمن افترى على الله؟ انظـــروا كيف تحققت نبوءة إلـــهنا بكل جلاء في هذه المواجهة؟ ولقد كتبـــتُ أنه يجب على الآريين أن يدعوا إلـــههم مجتمعين لإنقاذ ليكهرام، ولكن إلـــههم لم يستطع ذلك. والآن ننهي كلامنا هنا. والسلام على من اتبع الهدى.

الخاتمة

في الرد على بعض اعتراضات الآريين

إذا نظر الإنسان بنظر العداء ناويا الطعن فقط دون تفكير رصين لصار الأمر- مهما كان واضحا وجليا- مدعاة للاعتراض في نظره. هذه هي حال الآريين إذ لا يهتمون بخجل يَصْدِمُ قلب كلّ مَن كانت عنده مسحة من الحياء عندما يثبت أن اعتراضه خاطئ وبلا أصل.

اسمعوا الآن، فقد أثاروا اعتراضات أثيرت دائما بمحض الجهل على دين مقدس وكامل مثل الإسلام. والآن ننقل الاعتراضات التي وجّهوها إلى الإسلام في جلستهم في قاديان بتاريخ ١٩٠٣/٢/٢٨م وبذلك أثبتوا ما آلت إليه حالة تعنُّتهم وجهلهم وبُغضهم بغير حق.

الاعتراضات

(١) المسلمون يسيئون إلى الله تعالى باعتقادهم أنه جالس على عرش يحمله أربعة ملائكة، وهذا يُثبت أن الله محدود وليس قائما بذاته. وإذا كان الله محدودا كان علمه أيضا محدودا وهو ليس حاضرا وموجودا في كل مكان.

الجـواب

يا أيها السادة، لا يعتقد المسلمون أن العرش شيء مادي ومخلـــوق يجلس الله عليه. اقرأوا القرآن من البداية إلى النهاية لن تجدوا فيـــه أن العرش شيء محدود ومخلوق. لقد قال الله في القرآن الكـــريم مـــرارا وتكرارا بأنه هو خالق كل شيء له وجود؛ فيقول بأنه هـــو خـــالق الأرض والسماء والأرواح وكافة قواها. وبأنه قائم بنفسه وكل شيء قائم به، وكل ذرة وكل شيء موجود خلقُه هـــو. ولم يقـــل في أي مكان بأن العرش أيضا شيء مادي خلقتُه. وإذا استخرج أحـــد مـــن الآريين من القرآن الكريم بأن العرش شيء مادي ومخلوق سأعطيه ألف روبية جائزةً قبل أن يغادر قاديان. أقول حلفا بـــالله الـــذي الحلـــف الكاذب به فعل الملعونين بأني سأسلِّم له ألف روبية فور اســـتخراجه تلك الآية من القرآن الكريم. وإلا أقول بكل أدب بأن الذي يفتـــري على الله سيكون محل لعنة.

من الواضح الآن بأن أساس هذا الاعتراض هو أن العـــرش شـــيء منفصل يجلس الله عليه. ولما لم يثبت ذلك فما بقي اعتراض. يقول الله بصراحة بأنه موجود على الأرض وفي السماء أيضا وليس جالسا على شيء معين بل هو قائم بذاته، ويحمل كل شيء ومحيط بكل شيء. لا يكون ثلاثة إلا وهو رابعهم، ولا يكون خمسة إلا وهو سادسهم. وما

من مكان إلا ويوجد الله فيه. ثم يقول: ﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[١]، وبأنه أقرب إليكم من حبل الوريد، وهو الأول والآخر وهو الظاهر والباطن. ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٢]. أيْ إذا سألك عبادي عن مكان وجودي فالجواب هو أني قريب، وما من أحد أكثر مني قربا. فالذي يدعوني مؤمنا بي أجيب دعوته. مفتاح كل شيء بيدي، وعلمي محيط بالجميع. أنا الذي أحمل الأرض والسماء، وأنا الذي أحملكم في البر والبحر.

كل هذه الآيات موجودة في القرآن الكريم، ويعرفها كل صغير وكبير من المسلمين ويقرأها. ومن أراد فليأتنا وليسألنا الآن. هل عدم استيضاح هذه الآيات وتوجيه الاعتراض بسبب استعارة فقط هو أمانة مذهب الآريين؟ أيّ مسلم في العالم يحسب الله محدودا أو ينكر علمه الواسع وغير المحدود؟ اعلموا أنه لم يرد في القرآن الكريم قط أن ملاكا ما يحمل الله تعالى بل ورد مرارا أن الله يحمل كل شيء. غير أنه قد ورد في بعض الآيات على سبيل الاستعارة أن الملائكة يحملون عرش الله الذي ليس شيئا ماديا ومخلوقا في الحقيقة. فلكل عاقل أن يفهم هنا أنه ما دام العرش ليس شيئا متجسدا، فماذا عسى أن يحمله الملائكة؟

---

[١] البقرة: ١١٦

[٢] البقرة: ١٨٧

فلا بد أن تكون هذه استعارة، ولكن الآريين لم يفهموا هذا الأمر لأن الإنسان يعمى بسبب أنانيته وتعنته.

والآن اسمعوا الحقيقة، ألا وهي أنه كلّما استُخدمت في القرآن الكريم كلمة "عرش" كان المراد منه عظمة الله وجبروته وسموُّه. لذلك لم يُصنِّفه ﷻ في عداد المخلوقات. وهناك أربعة مظاهر[١] لعظمة

[١] **الحاشية:** إن لله أربع صفات وبواسطتها تلاحَظ شوكة الربوبية الكاملةُ، ويتراءى بالكامل وجه ذلك الإله الأزلي والأبدي. فقد بيّن الله تعالى هذه الصفات الأربع في سورة الفاتحة، وأعطى الناس -ليؤمنوا به معبودا- تعليما للإقرار بكلمات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي يا ربنا المتصف بأربع صفات نعبدك وحدك لأن ربوبيتك محيطة بكل العالمين، ورحمانيتك محيطة بكل العالمين، ورحيميتك محيطة بالعالمين كلها ومالكيتك بيوم الدين أيضا محيطة بالعالمين كلها، ولا شريك لك في حسنك هذا وإحسانك لذا لا نشرك في عبادتك أحدا.

فليكن واضحا الآن أن الله تعالى عَدّ في هذه السورة هذه الصفات الأربع مظهرا أتمّ لألوهيته. وقد استنتج من هذا الذكر فقط أن الإله الذي يملك هذه الصفات الأربع هو وحده يستحق العبادة. والحق أن هذه الصفات الأربع كاملة من كل الوجوه وتحيط بكافة مقتضيات الألوهية وشروطها إحاطة الدائرة لأنها تتضمن ذكر صفات الله الابتدائية، وتشمل الرحمانية والرحيمية في الزمن الأوسط أيضا، ثم ذُكرت صفة المجازاة أيضا للزمن الأخير. والحق أنه ليس هناك فعل من أفعال الله تعالى يخرج عن نطاق هذه الصفات الأربع مبدئيا. فهذه الصفات الأربع تُري صورة الله كاملة. إن معنى "استوى على العرش" حقيقةً هو أنه عندما تجلت هذه الصفات الإلهية بعد خلقه العالم، استوى الله على العرش؛ بمعنى أنه لم تبق صفة من

صفاته خارج مقتضى الألوهية بل تجلّت الصفات كلها بالتمام والكمال. كما عندما يجلس الملك على عرشه تتجلّى شوكته بالكامل. فمن ناحية يصدر الأمر بإعداد أسباب متنوعة لسد الحاجات الملكية، فتتم على جناح السرعة -وهذه هي الربوبية العامة- ومن ناحية ثانية يُغنَى الحضور كلهم بالجود والسخاء نتيجة الفيض الملكي دون أيّ عمل منهم. ومن ناحية ثالثة يُزوَّد القائمون بالخدمة بأساليب وأشياء مناسبة لإتمام خدماتهم. ومن ناحية رابعة يُفتح باب الثواب والعقاب، فيُضرب عنقُ أحد ويعتق غيره. فهذه الصفات الأربع تستلزم الاستواء على العرش دائما. فإن تنفيذ الله تعالى هذه الصفات الأربعة في العالم هو المراد من الاستواء على العرش.

أما السؤال: ما معنى حمْل أربعة ملائكةٍ العرشَ؟ فجوابه أن هناك أربعة ملائكة موكَلون بهذه الصفات الأربع ويُظهرونها في العالم. وتحت إمرتهم تعمل أربعة نجوم تسمّى "أربابُ النوع الأربعةُ" وقد سمِّيت في الفيدا باسم الآلهة. فهم ينشرون حقيقة هذه الصفات الأربعة في العالم وكأنهم يحملون هذا العرش الروحاني. كان الوثنيون يعتقدون بكل وضوح كما يتبين من الفيدا بأن هذه الصفات الأربع يملكها الآلهة بشكل دائم، لذلك جاء فيه مدحها والثناء عليها بكثرة وطُلب منها تحقيق المرادات. فقد وضّح الله تعالى على سبيل الاستعارة أن هذه الآلهة الأربعة التي يحسبها الوثنيون معبودا لهم ليست مخدومة بل هي خادمة وتحمل عرش الله تعالى، أي تُظهر كالخدام صفات الله تعالى هذه من خلال مرآتها. والمراد من العرش هو مستلزمات صفات الاستواء على العرش كما بيّنت من قبل. لقد كتبتُ قبل قليل بأن معنى الرب هو الإله. فقد بدأ القرآن الكريم من سورة جاء فيها: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي الحمد والثناء كله لله الذي هو إله العالمين كلها. هو وحده رب العالمين ورحمن العالمين ورحيم العالمين ومالك جزاء العالمين، لا

يساويه إلــه قط. ولأن ظاهرة عبادة الآلــهة كانت منتشرة على نطاق واسع في زمن نزول القرآن الكريم وكان الإغريق يسمون كل إلــه "ربّ النوع"، وكانت كلمة ربّ النوع معروفة في الهند كاسم الإلــه لذا توجّه كــلام الله تعــالى أولا وقبل كل شيء إلى تلك الآلــهة الزائفة فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي هو إلــه العالمين كافة وليس إلــه عالَــمٍ واحد أو عالَــمينِ اثنين فقط لذا يجب عبادته وحمده والثناء عليه وحده. والحمد والثناء على غيره خطأ. وبــذلك جمع الله تعالى في نفسه كل الصفات التي جعلها الوثنيون خاصة بالآلــهة الأربعة وعَدّ نفسه وحده منبع تلك الصفات. كان الوثنيون يعتقدون أيضا منــذ قــديم الزمان أن صفات الله المبدئية أي تلك التي هي أصل الصفات كلها هي أربع فقط، أي الخلقُ والتزويد بأسباب مناسبة، ثم نصرة العامِلين لتقــدمهم، ثم الجــزاء في الآخرة. فكانوا ينسبون هذه الصفات الأربع إلى أربعة آلــهة. فبناء على ذلــك اتخذ قوم نوح أيضا أربعة آلــهة. ومن منطلق هذه الصفات كان الوثنيون العرب أيضا قد اتخذوا أربعة آلــهة هي اللات ومناة والعُزَّى وهُبل. وكانوا يزعمون أن هذه الآلــهة الأربعة تقوم بعملية التربية في العالم كل بحســب أســلوبها وهــي شفيعتهم وهي التي توصلهم إلى الله تعالى. هذا ما يتبين من الآية: ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَــى اللهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٤).

وكما قلتُ من قبل بأن الفيدا أيضا يدعو إلى المدح والثناء علــى هــذه الآلهــة الأربعة. مع أن الفيدا يذكر آلــهة أخرى أيضا ولكن الآلــهة المبدئية التي وُلدت منها كل الآلــهة، أو قولوا إن شئتم بأنها فروعها، هي أربعة فقط لأن المهمــات أيضا، أربع. فهدف القرآن الكريم الأولُ هو أن يقضي على آلــهة الفيدا وآلــهة الأديان الأخرى كلها ويبين أنها من أخطاء الناس إذ اتخذوا أشياء أخرى آلــــهة أي أرباب النوع. وليبين أيضا أن هذه الصفات الأربع خاصة بالله تعالى. وتلــك

الله وجبروته التي تُعَدّ أربعة آلهة بحسب الفيدا -وتسمَّى الملائكةُ أيضا في مصطلح القرآن الكريم- وهي: السماء التي تسمَّى "إندر" أيضا. ثم الإلهة الشمس، والقمر والأرض. فهذه الآلهة الأربعة كما ذكــرتُ في هذا الكتاب، تحمل صفات الله الأربع التي هي المظاهر الأتم لجــبروت الله وعظمته والتي تسمّى العرش بتعبير آخر، أي تُــجلِّيها على العالم. ولا حاجة إلى شرح أكثر إذ قد بيّنّاها بالتفصيل آنفا. وقــد ورد في القرآن الكريم أن للملائكة ثلاثة أنواع:

(١) ذرات الأجسام الأرضية وقوى الأرواح.

(٢) قوى السماء والشمس والقمر والأرض التي تعمل باستمرار.

الآلــهةُ التي لا حياة فيها تحمل كالخدام عرش هذه الصفات الأربع. نِعم ما قال قائل:

"الحمد يليق بك وحدك، أيّ باب يذهب المرءُ إليه فهو بابك."

إذًا، هذا الاعتراض الذي يثيره الآريون دائما إنما يقع على فيداهم في الحقيقة، لأن المسلمين يعبدون الإله الذي هو معبود حقيقي، ولكن الآريين يعتبرون الآلــــهة الزائفة التي تحمل على رؤوسها عرش صفات الله الأربع كالخدام إلها. بــل هــي خادمة الخدام لأن هناك قوى أخرى مسيطرة عليها، وهي الملائكة الذين يُبقــون قوة تلك الآلهة قائمة. ومنهم مَن يسمَّى في مصطلح الشرع جبريل ومنـــهم مَـــن يسمى ميكائيل وغيره يُدعى عزرائيل وآ خر إسرافيل. إن أتباع ســـناتن دهـــرم يعتقدون بالملائكة من هذا النوع أيضا ويسمونها "جَم". منه.

(٣) القوى العليا فوقها التي تسمى جبريل وميكائيل وعزرائيل وغيرهم وقد سُمِّيت "جم" في الفيدا. ولكن المراد من الملائكة هنا هي الآلهة الأربعة، أي السماء والشمس وغيرهما التي تحمل صفات الله الأربع. وقد سُمِّيت هذه الصفات نفسها "العرش" بتعبير آخر. يعترف الفيدا أيضا بهذه الفلسفة، ولكن ما أغرب علماء الفيدات هؤلاء الذين ينكرون أيضا مسألة هم متمسكون بها!

فباختصار، إن آلهة الفيدا الأربعة هذه، أي السماء والشمس والقمر والأرض، تحمل عرش الله أي صفته الربوبية والرحمانية والرحيمية ومالكية يوم الدين. كلمة "الملائكة" الواردة في القرآن الكريم تفيد العموم؛ فكل ما يخضع لأمر الله هو ملاكه. إذًا، كل ذرة في العالم ملاك الله لأنها تخضع لأمره وتطيعه. وإذا لم تكن كل ذرة من ذرات العالم خاضعة لأمره ﷻ فكيف خلق الله أجرام الأرض والسماء؟ هذه الاستعارة التي ذكرتُها توجد في كلام الله استعارات كثيرة مثلها وتحتوي على علم لطيف ودقيق وحكمة دقيقة جدا. وإن لم يرتدع أحد عن جهله الآن أيضا فله أن يختار أيّ اعتراض يشاء ليوجهه إلى الإسلام ثم ليسمع جوابه بالصبر والحِلم. وإلا فلا يثبت من مثل هذه الاعتراضات إلا أن المعترض يجهل حقيقة الأمر وقلبه مليء بالتعنت وليس له هدف إلا التحقير فقط. الدين علمٌ ويضم في طياته

أسرارا. فهل من الضروري أن تثار ضده اعتراضات بمحض الافتراء؟ وإلا فالمسلمون أحق بالقول بأن الآلهة التي قدمها الفيدا إنما هي الشمس والقمر والنار والماء والأرض وغيرها من الأشياء المخلوقة كلها محدودة ومخلوقة ولا حياة فيها. لذا إن إله السادة الآريين ليس محدودا فقط بل ميّت أيضا فلا يستطيع أن يسمع نداءهم ولا يجيب.

والإله الذي لم يخلق شيئا لا بد مِن عَدِّهِ محدودا على أية حال، فقولوا إن شئتم أن هناك مدينة تسكنها الأرواح والذرات والإله، فتقطن الأرواح في إحدى حاراتها وفي حارة أخرى تسكن ذرات الأجسام وفي زاوية حارة ثالثة يقطن الإله، لأنه لا يمكن للإله أن يُقحم نفسه بين الأشياء التي هي أزلية ولها وجود مستقل. هل يمكنكم أن تحيطوا بكل مكان؟ فكّروا ما الفرق بينكم وبين الإله من حيث الأزلية ومن حيث غير المخلوقية؟ وأنّى له أن يُقحم نفسه في غيره. وبذلك صار إلهكم محدودا تلقائيا، وبسبب كونه محدودا صار علمه أيضا محدودا. ولكن هل لأحد أن يحسب محدودا ذلك الإله الذي يقدّمه القرآن الكريم ويقول عنه بأنه روح كلّ روحٍ وبه تحيا، وبأن كل ذرة خُلقت بيده وقائمة بسببه وهو محيط بكل شيء لأن كل شيء مخلوق بيده؟

الجاهل الذي يملؤه التعنتُ يتفوه بشيء ولا يعزم على البَتِّ فيه، هذه هي حال الآريين وكأنهم سيعيشون في هذه الدنيا إلى الأبد. وإلا نقول بأنكم لو استطعتم أن ترفضوا قولا واحدا مما قاله القرآن الكريم فلكم أن تفرضوا عليّ أية غرامة تشاؤون، أو تصادروا عقاراتي كلها. ولكن هل يودّ أحدكم أن يتحاكم في أمر ما بهدوء وتروٍّ وتأنٍ كما يُحكم في القضايا في المحاكم، حاشا وكلا! فاصبروا إلى أن يحكم الله بيننا وبينكم.

(٢) هناك اعتراض آخر أيضا أن الملائكة يوصلون إلى الله تعالى أخبار الخير والشر ويجهلها الله تعالى إلى ذلك الحين.

الجواب هو لعنة الله على الكاذبين. وإلا فأرونا أين قال الله في القرآن الكريم بأنه يجهل أحوال الخلق ما لم يُطلعه عليها ملاك من الملائكة؛ بل يقول الله في القرآن الكريم مرارا وتكرارا بأنه يعلم كل صغيرة وكبيرة ولا تسقط حتى ورقة دون إذنه. ما أغرب هؤلاء القوم إذ يفترون إلى هذا الحد بكل تجاسر. القرآن الكريم كله مليء بالتأكيد على أن الله تعالى يحيط بكل شيء علما. فماذا نسمي افتراءهم بأن المسلمين يعتقدون أن الله لا يعلم عن مخلوقاته شيئا ما لم يخبره الملائكة؟

(٣) هناك اعتراض آخر أن المسلمين يعتقدون أن الله تعالى بقي عاطلا لبعض الوقت في البداية، لأن العالم ليس موجودا من الأزل.

الجواب: المسلمون لا يعتنقون قط اعتقادا أن الله كان عاطلا قبل خلق الإنسان، بل يقول الله ﷻ في القرآن الكريم مرارا وتكرارا بأنه خالق منذ الأزل، أما تفصيل خلقه فيفوق قدرة الإنسان. نؤمن انطلاقا من القرآن الكريم أنه ﷻ لم يتعطل قطّ ولكن لا نعرف تفاصيل ذلك. ولا ندري كم مرة خلق الله تعالى هذا العالَم وكم مرة أهلكه. إن هذا العلم الواسع وغير المتناهي هو عند الله فقط ولا يحيط به سجلّ. يعتقد المسيحيون أن الله خلق الدنيا منذ مدة وجيزة ولم يكن هناك شيء قبل ذلك وأنه تعالى ليس خالقا منذ الأزل، فلكم أن توجّهوا هذا الاعتراض إليهم. وعليكم أن تستحيوا قليلا لأننا نؤمن بأن إلهنا ظل يخلق ذرات الأجسام والأرواحَ أيضا منذ القِدم، أما أنتم فلا تؤمنون بوجود هذه الصفات فيه ﷻ حتى لمرة واحدة دع عنك أزليتها. فكيف تعترضون على الإسلام افتراء متناسين معتقداتكم أنفسَكم؟ وإلا أرونا من القرآن الكريم متمسكين بمقتضيات الحياء أين قال الله تعالى بأنه ليس خالقا منذ الأزل؟ أما إلـهكم فلا يفوق البنّاء أو النجار درجة. كيف يُعلم أنه عالم الغيب؟ ما دليل ذلك من الفيدا؟ أجيبوا بشيء من التأمل والتدبر الرصين.

(٤) من اعتراضاهم أن إلــه المسلمين متقلِّب كثيرا إذ يأمر تــارة بشيء ويأمر بشيء آخر تارة أخرى.

الجواب: هداكم الله، لم يرد في القرآن الكريم قط أن الله متقلِّــب، بل ورد فيه أن الإنسان متغير، لذا يُحدث الله تغييرات من أجله وبمــا تناسبه. عندما يكون الجنين في البطن يتغذى على الدم، وعندما يولَــد يرضع الحليب فقط إلى مدة معينة ثم يأكل الغلال بعد ذلك. فيخلق الله له أسبابا من ثلاثة أنواع بحسب الضرورة. حين يكون الجنين في البطن يأمر الله ملائكة البطن، وهي الذرات الداخلية، أن تصنع مــن الــدم طعاما للجنين. ثم عندما يولَد ينسخ ذلك الأمر ويأمر ملائكة الثــدي التي هي ذراته لتخلق له الحليب. ثم حين يكتمل نموه بالحليب ينســخ عَزَّ وَجَلَّ هذا الأمر أيضا ويأمر ملائكة الأرض التي هي ذراتها لتخلــق لــه الغلال والماء إلى آخر الأمد. فنعترف أن هذا النوع مــن الــتغيرات ملحوظ في أحكام الله تعالى سواء أكانت بواسطة النواميس الطبيعية أو من خلال الشريعة. ولكن هل من تغيّر حدث في الله نتيجــة هــذه التغيّرات؟ الحياء، الحياء، الحياء!!!

من المؤسف حقا أن الإله لا يملك هذه التغييرات بحسب الفيدا لأن الفيدا ينكر ملائكة الله، فكيف يمكن أن تخضع ذرات العــالم وقــوى الأرواح لأوامره عَزَّ وَجَلَّ؟ لا يمكن أن تُنسب سلســلة علــوم الطبيعــة

والأفلاك إلى الله إلا إذا عُدّت كل ذرة مــن المخلوقــات ملاكــا لله بصورة طبيعية. وإلا لا بد من أن يصير المرء ملحــدا نتيجــة إنكــار الملائكة ويقول بأن كل ما يحدث في العالم لا يعلمه الإله ولا يحــدث بإرادته أو مشيئته. فمثلا يتكون الذهب والفضة والنحاس والحديد في بعض المناجم، وتخرج من بعضها الآخر الألماس واليــاقوت والأزرق، وفي بعض الأماكن الأخرى هناك مناجم اليواقيت، وتخرج اللآلئ من بعض البحار ويتشكل في بطون الحيوانات بيض أو يتولد الولد، وقــد علّمنا الله في القرآن الكريم أن هذه السلسلة الطبيعية لم تأت إلى حيّــز الوجود من تلقائها بل تخضع ذرات كل هذه الأشياء لأمر الله وهــي ملائكته ﷻ، أي مسخّرة لأعمال معينة فتنجزها بحسب مشــيئته. إن ذرات الذهب تكوِّن ذهبا وذرات الفضة تكوِّن فضة وذرات اللؤلــؤ تصنع لؤلؤا، وذرات الكيان البشري تكوّن جنينا بشــريا في بطــون الأمهات. ولكن لا تعمل هذه الذرات شيئا من تلقاء نفسها بل تخضع لأمر الله ﷻ وتعمل بحسب مشيئته لذا تُسمَّى ملائكته. وللملائكــة عدة أنواع: الملائكة الذين ذكرهم آنفا هــم ملائكــة الأرض، أمــا ملائكة السماء فتلقي بتأثيراتها من السماء، كما أن حرارة الشــمس أيضا ملاك الله إذ يُنضج الفواكه إلى جانب أعمال أخــرى. كــذلك الرياح أيضا ملائكة الله إذ تجمع السحاب وتلقي بتأثيراتها المختلفة على

المزارع. وهناك ملائكة آخرون أيضا فوقهم إذ ينفخون تأثيراتهم فيهم. تشهد العلوم الطبيعية بأن وجود الملائكة ضروري ونراهم بأم أعيننا أيضا.

والفيدا ينكر وجود الملائكة بحسب قول الآريين ولذلك فهو ينكر هذه السلسلة الطبيعية ويضع أساسا للإلحاد. أليس من البديهي والمشهود بوجه عام أن كل ذرة من ذرات الأجسام منهمكة في عمل معين حتى إن النحل أيضا تعمل نتيجة وحي الله. فإذا كان الفيدا ينكر هذه السلسلة فلا خير فيه لأنه في هذه الحالة يؤيد الإلحاد. فإذا كان هذا هو نموذج علم الفيدا فواهًا له! ما أجمله من نموذج!!

(٥) والاعتراض الآخر هو بأن الاعتماد على الشفاعة شركٌ.

الجواب: يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ﴾[١]. معنى الشفاعة بحسب القرآن الكريم هو أن يدعو المرء لأخيه ليتحقق مرامه أو يُرفع عنه البلاء. فيأمر القرآن الكريم أن مَن كان خاضعا لله أكثر فليدعُ لأخيه الضعيف نسبيا لينال الأخير أيضا المرتبة نفسها، هذه هي حقيقة الشفاعة. فمما لا شك فيه أننا ندعو لإخواننا أن يهبهم الله تعالى القوة ويرفع عنهم البلايا، وهذا نوع من المواساة لهم. فإن لم يعلّم الفيدا هذه المواساة ولا يمكن لأحد بحسبه

---

[١] البقرة: ٢٥٦

أن يدعو لأخيه فهذا ليس مما يُحمد عليه الفيدا بل هو مثلبة كبيرة. ولما كان الناس كلهم كجسد واحد فقد علّمنا الله تعالى مرارا وتكرارا بأن قبول الشفاعة هو في يد الله ولكن عليكم أن تداوموا على الشفاعة لإخوتكم أي استمرّوا في الدعاء لهم، ولا ترتدعوا عن الشفاعة، أي مِن الدعاء النابع عن المواساة؛ لأن لبعضكم حقا على بعضكم.

إن كلمة الشفاعة مستمدة من "شفع"، والشفْع تعني الزوج وهو خلاف الوِتر. فيُسمّى الإنسان شفيعا حين يصبح زوجًا لغيره بكمال المواساة ويفْنى فيه، ويسأل لغيره العافية كما يسألها لنفسه. وجدير بالذكر أنه لا يكتمل دين أحد ما لم تتولد فيه المواساة على سبيل الشفاعة، بل الحق أن للدين جزأين كاملَين فحسب، أحدهما حب الله والثاني حب البشر لدرجة أن يعُدّ المرءُ مصيبتهم كمصيبته، وأن يدعو لهم، الأمر الذي يسمَّى الشفاعة بتعبير آخر.

(٦) لا يُسمع صوت الله في الدنيا.

الجواب: من الغريب حقا أنه مع أن جميع الآريين قد سمعوا صوت الله بتاريخ ٦ آذار/مارس نتيجة موت ليكهرام، وقد أعلن الله تعالى في العالم أن ليكهرام سيُقتَل بيد أحد في غضون ستة أعوام بسبب بذاءة لسانه، ولم نسمع نحن فقط هذا الصوت بل سمعه الآريون كلهم وجُلُّهم أيضا بواسطتنا، أفلا يثبت إلى الآن أن العالم كله يسمع صوت

اللهِ؟ إن الآريَّيْنِ القويَّيْنِ من بينكم أيْ "لاله شرمبت" ولاله ملاوا مل" اللذين يسكنان في قاديان، شاهدان على سماع صوت الله مرارا، ولكن إذا أنكرا وآثرا القوم على الله تعالى وكذبا، فلعلهما يسمعان صوتا سماويا آخر.

المعلن

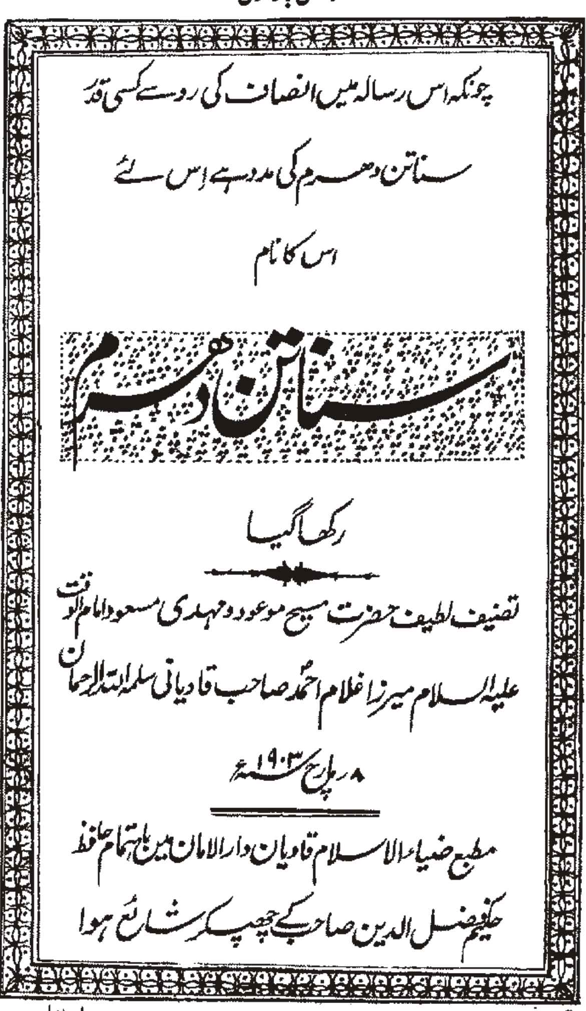
العبد الضعيف

ميرزا غلام أحمد القادياني

مذهب "سناتن"

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام
المسيح الموعود والإمام المهدي

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب


ٹائٹل بار اول

چونکہ اس رسالہ میں انصاف کی رو سے کسی قدر

سناتن دھرم کی مدد ہے اس لئے

اس کا نام

سناتن دھرم

رکھا گیا

تصنیف لطیف حضرت مسیح موعود و مہدی مسعود امام الوقت

علیہ السلام میرزا غلام احمد صاحب قادیانی سلمہ اللہ الرحمان

۸ مارچ ۱۹۰۳ء

مطبع ضیاء الاسلام قادیان دار الامان میں باہتمام حافظ

حکیم فضل الدین صاحب کے چھپ کر شائع ہوا

تعداد اشاعت ۲۰۰۰

بار اول

ترجمة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

حيث إنّ في هذا الكتيب نوعا من التأييد لمذهب "سناتن دهرم" من باب العدل فقد سُمِّي الكتيِّب:

"سناتن دهرم"[1]

أي مذهب "سناتن"

****

التأليف المنيف لسيدنا المسيح الموعود والمهدي المسعود، إمام الوقت
الميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام سلمه الله الرحمن
١٩٠٣/٣/٨م

****

طُبع في مطبعة "ضياء الإسلام" بقاديان دار الأمان بعدد ٢٠٠٠
تحت إشراف الحافظ الحكيم فضل الدين المحترم

****

[1] هو أحد مذاهب أو فروع الهندوسية. (المترجم)

قصيدة من المؤلف

ترجمة قصيدة أردية:

"يا أتباع مذهب آريا لا تعرِّضوا أنفسكم للعذاب، لماذا تورَّطتم يا أصدقائي في أفكار سخيفة؟!

ما الذي جرى لقلوبكم يا قوم الآريين؟! أمستيقظون أنتم أم في المنام تتحدثون؟!

أليس الله الحق بخالق أرواحكم؟! ليس في جوابكم هذا رائحة الإيمان

إن لم يخلق الله روح العشاق فلماذا يجدون في أنفسهم اضطرابا للغير

إذا كان ذلك الإله بعيدا وما مسَّ الأرواح، فمن كتَبه في كتاب القلوب؟!

الحرقة التي تشعر بها قلوب العشاق من أجله ﷻ لم نرها حتى في لحم يُشوى على النار

إنه يسقي جام الوصال من كان فانيا، ولا فرق في جنابه بين الشيخ والشاب

لا يحظى بوصاله إلا من يصير ترابا، ولا ينفع في هذا السبيل مجرد القيل والقال الظاهري

فهو يصبح لمن يصبح له ﷻ، والذي يخرّ على عتباته يكون في حضنه

انظروا إلى الزهور إن رونقها وبهاءها إنما هو بسببه هو ﷻ، وفي الشمس والقمر[١] يسطع نوره

في جمال الجميلين يسطع نوره، ما حقيقة الجمال؟! بل هو الذي يسطع في الحُجُب

إليه تشير كل خُصلة شعر، والبُعد عنه يسبب لها القلق والاضطراب المستديم

كل عين منتشية بعشقه تُري وجهه، وكل قلب يلتهبُ نتيجة عشقه

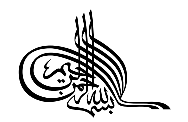
الأغبياء الذين لا يؤمنون بقدرته، يبحثون عن الماء في السراب عبثا

إنهم ينكرون قدرة ذلك القدير، ويهذون كالسكران من الخمر

لا يريدون أن يروا تلك الذات، خشية عتاب قومهم

فيا حبيبي أرني جمالك، حتامَ يبقى ذلك الوجه في الحجاب والنقاب؟!"

[١] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٦)



نحمده ونصلي على رسوله الكريم

"النيـوك"[١]

مع أنني كتبتُ عن "النيوك" في كتابي "نسيم الدعوة" بقدر ما كـــان مناسبا، وأعلم أنه مفيد جدا ويكفي من يبحث عن الحق، ولكنني سمعت من بعض الناس أن البانديت "رام بَجهدَت" زعيم مجلس آريا الديني في البنجاب ذكرني في خطابه الأخير في جلستهم في قاديان بعد أن وصـــله كتابي: "نسيم الدعوة" وقال عني: لو ناقشني في موضوع النيوك لأمكن لي أن أبين له فوائده كلها.

فأقول بكل احترام بأني قد بيّنت في كتابي "نسيم الدعوة" كل شيء بحسن النية بمقتضى الغيرة الإنسانية والضمير الإنساني الطاهر. وما كنت أقصد من ذلك مناظرة أو نقاشا بل كان قصدي هو النصيحة المبنية على

[١] إن ملخص تعليم "النيوك" هو أن أيّ شخص من الآريين لم يولَد له ولَدٌ ذَكر أو وُلدت له الإناث فقط، تأمره الفيدا أن يجعل زوجته تضاجع شخصـــا آخـــر للحصول على الأولاد، ولن ينال النجاة بغير ذلك. (المترجم)

المواساة. ولست وحيدا في ذلك بل هناك آلاف الهندوس والملتزمـــون بمذهب السيخ النبلاء أيضا الذين لا يجيزون أن تسوِّد امرأة متزوجة من عائلة شريفة وجهها مع شخص آخر في حياة زوجها لمجرد الطمـــع في الأولاد.

أما فوائد "النيوك"، ولعل الbandيت يقصد منها الأولاد نتيجة النيوك بحيث يتولّد أحد عشر ولدا هكذا وتكثر الذرية؛ فأرجو ألا ينـــــزعج البانديت أن أولادًا مثلهم عارٌ على إنسان محترم وليسوا مفخرة. أرى أنه لو بقيت امرأة محصنة محرومة من الأولاد طيلة عمرها لكان موتهـــا دون أولاد خيرًا لها من أن تضاجع شخصا غير زوجها وتحصل علـــى أولاد يُدعَون أولادا غير شرعيين عند العقل. وإذا كان الصدق شيئا يُعتدّ بـــه فلماذا يُنسب إلى ذلك الديّوث الشقي الأولادُ الذين ليسوا من نطفتـــه؟ بل هم أولاد الذين وُلدوا من نطفتهم. ليت مثل هذه المرأة قد ماتـــت قبل الحصول على مثل هؤلاء الأولاد، فكان خيرا لهـــا. يجـــب علـــى البانديت "رام بَجهدَت" ألا يصر كثيرا على قضية "النيوك" المخجلة. بل لما كانت هذه المسألة تناقض الحياء الإنساني فالأنسب أن تُشطب مـــن مبادئ مذهب الآريا. وينبغي أن يُنشر إعلان عام أن البانديت ديانند قد ارتكب خطأ جسيما باختياره حياة العزوبة وبعدم شعوره بالغيرة الـــتي يشعر بها كل رجل شريف تجاه زوجه، لذا يشطبه مذهب آريـــا مـــن

مبادئه، ويجب أن يوقّع عليه أناس كثيرون حتى لا يجد معترض مجالا للاعتراض بعد ذلك، وإلا فليعلموا أن مبدأ النيوك وصمة عار على مذهبهم. ولا أرى أن السيدات المطهَّرات مستعدات للنيوك، بل أخشى أن تموت امرأة بتناول السم نتيجة إكراهها على النيوك[١].

فيا أيها السادة، عليكم أن تجتثُّوا هذا البلاء من قومكم سريعا – دعُوكم عن أشياء أخرى– ولا تحمِّلوا الفيدا مسؤوليته دون مبرر. لا تتوقعوا أن يقبله نبلاء الهند ونبيلاتها وشرفاؤها وشريفاتها. بل يبدو لي أن عادة التبنِّي تطرقت إلى الديانة الهندوسية بسبب عادة النيوك فقط. بمعنى أنه حين رأى الشرفاء والشريفات أن هذا تقليد نجس اختاروا تقليد التبنّي بدلا منه، ولم تقبل شهامة الرجال أن يجعلوا نساءهم يعملن بطريق النيوك المخجل، لذا أحبوا أن يتخذوا المتبنّى. وإن كان التبنّي أيضا نوع من التصنُّع ولكنه أفضل ألف مرة من هذه الوقاحة والتقليد السيّء على أية حال. النيوك عادة نجسة ووقحة لدرجةٍ إذا قيل عندها لشخص من أحط الفئات الاجتماعية أن يجعل زوجته تفعل ذلك، لاستعد على أنْ يقتل القائل أو يُقتل هو. فكيف لا نتأسف على الآريين

---

[١] السيدات في الهند ظللن إلى الآن على علاقة مخلصة وصادقة مع أزواجهن لدرجة أنهن ظللن يحرقن أنفسهن من أجلهم. ولكن كيف يمكن للمرأة التي تضاجع آخرين، مع أن زوجها حيٌّ يُرزق، أن تحب زوجها على هذا النحو؟ منه.

إذ قبلوا مغمضين أعينهم ما قاله البانديت ديانند إن أتباع "سناتن دهرم" أيضا إخوتهم من حيث القوم؟! أفلا يقرأون الفيدا منذ القِدم؟ فلماذا لا يحبون هذه العادة الوقحة؟

المؤسف في الموضوع أنه عندما يقال للآريين نُصحًا لهم أن يرتدعوا عن هذه العادة ولا يجعلوا نساءهم يمارسنها استاؤوا من ذلك. إن حالتهم غريبة حقا إذ لا يستحيون من هذه الفعلة شيئا. قبل بضعة أيام دعوت بعض الآريين إلى بيتي، وكان من بينهم شخص اسمه "كشن سنغ" الذي تنحّى عن اتّباع "باوا نانك" ساخطا، وانضم إلى مذهب آريا مؤخرا، تاركا شخصا كانت فيه الروحانية والطهارة وكان قلبه مليئا بحب إلهه، وبدأ يذكر بانديت ديانند كل حين. وكان معه "لاله شرمبت" و"لاله ملاوا مل" من قاديان، والبانديت "سوم راج" سكرتير آريا سماج في قاديان أيضا بالإضافة إلى بعض الهندوس من أتباع المذهب "سناتن دهرم". فنصحتُ لهم كثيرا وقلتُ بأنه ليس مناسبا لكم أن تطلبوا من نسائكم القيام بهذا العمل وخاصة في هذه القرية. فلزم الجميع الصمت وندموا ولكن قال البانديت "سوم راج": لا ضير في هذا الأمر. وعندما سمع أتباع مذهب سناتن دهرم الموجودون في المجلس أن هذا الشخص أجاز لزوجته هذه الفعلة الشنيعة في المجلس الحافل و لم يستحي مطلقا، بدأوا يقولون عفويا: يا إلهي! يا إلهي! أما بقية الآريين فغطّوا

وجوههم وضحكوا. ولعل قرابة ثلاثين شخصا كانوا موجودين حين تفوه هذا البانديت بتلك الكلمة المخجلة.

من المؤسف جدا أن الآريين لا يتركون هذه العادة الشنيعة بل يقولون ثائرين: ألا يمارس المسلمون المتعة، أيْ ألا يطلِّقون زوجاتهم؟ نصحتُ لهم كثيرا وقلت: يا مساكين، أين هذا العمل -بأن يسمح الزوج وهو حيٌّ لامرأته أن تقوم به- من الطلاق الذي هو معترف به عند الضرورة في العالم كله؟ ولكنهم لا يكادون يفقهون. إن أتباع مذهب "سناتن دهرم" الذين لديهم حياء وغيرة يكادون يموتون خجلا، إذ يُذنب قومٌ ويواجه قوم آخرون الندم بسببه. لقد قلنا لهم مرارا بأنه إذا نكح أحدٌ امرأة ثم طلّقها في وقت من الأوقات، أو إذا حدد موعدا للطلاق بأنه سوف يطلقها بعد مدة كذا وكذا، وهذا ما يعُدّه بعض الشيعة "متعة"، فهذا النكاح ليس له أدنى علاقة بعادتكم المذكورة آنفا. علمًا أن النكاح الذي يحدَّد فيه موعد الطلاق مسبقًا ممنوع في ديننا؛ إذ يمنعه القرآن الكريم بكل وضوح. كان أسلوب النكاح من هذا النوع يُعقد في العرب إلى وقت معين قبل الإسلام، ولكن القرآن الكريم منعه، فحُرِّم بعد نزول القرآن الكريم. غير أن هناك بعض فِرق الشيعة ما زالوا يعملون به، ولكنهم أسرى تقليد زمن الجاهلية، ولا يجوز لعاقل أن يشير إلى خطأ غيره بُغية التغطية على أخطائه. هل يُطلَق سراح مجرم لمجرد أنْ

يشير إلى جريمة غيره؟ لقد ورد في كلام الله تعالى تعليم صريح عن النكاح ولم يُذكر فيه نكاح يقول فيه الرجل بأني سأطلّق بعد مدة كذا وكذا. وفي هذه الحالة يقع اعتراضهم على الطلاق، وليست في الدنيا فِرقة تعارض الطلاق، فالمرء يضطر إليه في بعض الأحيان لضرورة ما.

باختصار، حين يُمنع الآريون من هذه الفعلة المخجلة يقولون بشيء من الندامة: الطلاق موجود عند المسلمين أيضا.

فيا أيها المساكين، في أيّ دين لا يوجد طلاق؟ فإذا حدث اختلاف شديد بين الرجل والمرأة فما السبيل إلا الطلاق؟ فالأنسب لكم ألا تقولوا مثل هذا الكلام، واتركوا "النيوك". ما الفائدة من القول بأن في النيوك فوائد وأسرارا كثيرة؟ عليكم أن تجتنبوا هذه العادة في أيام الطاعون على الأقل خشية أن يتفشى هذا البلاء أكثر نتيجة هذه التصرفات. ولكن من المؤسف حقا أن بذاءة اللسان قد تعاظمت في الآريين كثيرا على الرغم من عادة النيوك التي كان يجب أن يخجلوا بسببها. لقد قابلني بعض الآريين المحترمين بمناسبة جلستهم الحالية في قاديان واعترفوا بأنه قد استُخدمت فيها لغة بذيئة جدا. خاصة وقد ذَكر معظمهم شخصا معينا وقالوا بأنه كان شريرا وسليط اللسان بوجه خاص.

فليكن واضحا أنه ليس المراد من الدين توجيه الاعتراضات دون تفكير رصين وإضفاءُ جوٍّ على الجلسة بالاستهزاء والسخرية مثل المهرّجين. لا يستقيم أيّ دين بهذه الطريقة. والطريق الأمثل للنبلاء هو أن يعترضوا على المبادئ التي تشيعها الفرقة الأخرى نفسها، ولكن يجب ألا يعترضوا على كتاب سماوي لقوم ما لم يكن لديهم إلمام كامل واطلاع شامل عليه بأدلة كاملة. خذوا مسألة "النيوك" مثلا، فمما لا شك فيه أن ضمير الإنسان لا يقبل وقاحةَ أن تضاجع زوجته، مع كونه حيا، شخصا آخر ليس مرة أو مرتين بل إلى ١٢ أو ١٣ عاما أي ما لم تُنجب أحد عشر ولدا. وكل فطرة سليمة تأنف هذا الأمر. والحق أنه ما من وقاحة أكبر من ذلك، ولن يقبل أيّ ذي حياء أن يرى في حياته امرأته في هذه الحالة. ولكن يجب ألا تظن أبدا جماعتنا التي أُسِّست لإقامة التقوى أنه تعليم الفيدا. في رأيي، هذا ليس تعليم الفيدا قط بل أعلم جيدا أنه يمكن أن يُستنتَج من عبارة أو جملة واحدة عشرون معنى أحيانا. ففي مثل هذه المواضع يختلق شخص سيّء معنى سيئا من عنده ويستنبط شخص ذو طبع طاهر معنى طاهرا. هناك أناس يريدون أن ينشروا الفاحشة في القوم بُغية إشباع أهوائهم النفسانية. فيقدمون من كتاب يعُدّه القوم كتابا سماويا عبارة أو آية بُغية إيجاد العذر لأنفسهم وبذلك يُهلكون قليلي الفهم. فمن واجب جماعتنا أن يبتعدوا دائما عن

هذه الطرق والأساليب لأنها بعيدة عن الحذر والتقوى. الحق أن الاعتراض على المبادئ التي توجد بين جميع الأقوام تقريبا كقاسم مشترك ليس إلا جهلا وتعنتا بحتا يمارسه الآريون. فمثلا، الاعتراض على الزواج المتعدد والطلاق عند الضرورة وغيرها من الأمور التي تشكّل قاسما مشتركا بين الأمم كلها، ليس عمل إنسان نبيل؛ لأن هذه الأمور موجودة في كل قوم.

والحق أن هناك أمرين جديرين بالاعتراض؛

الأول: الأرواح والأجسام ليست خلق الله، بل هي آلهةُ نفسِها مثل الله تعالى تماما وهي أزلية.

والأمر الثاني والمخجل هو ما يسمَّى "النيوك"، ولكن هذا الاعتراض ليس على الفيدا بل على الBانديت "ديانند" الذي روّج مذهبا مثله.

فلتنتبه جماعتنا جيدا إلى ألا تتفوه بكلمة أكثر مما يقتضيه الحذر والحيطة. صحيح أن في الآريين أناسا كثيرين ذوي ألسنة حِداد، فلا ينتبهون عند الاعتراض إلى أيّ مدى بحثوا في صحة الاعتراض، بل يقولون ما يشاؤون تاركين الكلام على عواهنه؛ لأن هدفهم هو الاستهزاء والسخرية وليس التحقيق. بعضهم ينظرون إلى كتاب الله نظرة سطحية فقط ويعترضون فورا دون أن يعقلوا بما فيه الكفاية. لا شك أن كلام الله يتضمن استعارات في بعض الأماكن، ويضم في طياته

مجازا في أماكن أخرى، وبمناسبات أخرى يكون الهدف هو المعنى الحقيقي الظاهر. فما لم يعلم المرء علما كاملا، وما لم يكن قلبه نزيها، كان الاعتراض جهلا محضا. الواصلون إلى الله هم الذين يدركون معنى كلام الله على وجه الحقيقة. وإذا كان أحد غارقا في نجاسة الدنيا كليا وكانت عيناه عمياوين، وكان قلبه نجسا؛ فما حقيقة اعتراضه على كلام الله في هذه الحالة؟ يجب على المرء أن يطهّر قلبه أولا ويتخلى عن أهواء النفس ثم يتوجه إلى الاعتراض. فمثلا، جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾[1]. فيمكن أن يعترض معترض مثله الذي لا يدرك منطوق كلام الله ويقول، انظروا! يقول دين المسلمين إن العميان لن ينالوا النجاة، فما ذنب الأعمى المسكين؟ ولكن الذي يقرأ القرآن الكريم بالإمعان متخليا عن العناد سيُدرك أنه ليس المراد من العميان هنا عميان الأعين بل المراد هم عميان القلوب. والمراد هو أن الذين لا يستطيعون أن يروا الله تعالى في هذه الدنيا لن يروه عَجَلَّ في الآخرة أيضا. كذلك هناك مئات المجازات والاستعارات في كلام الله، والمدفوع بثورة النفس سوف يجعلها كلها عرضة للاعتراض.

---

[1] الإسراء: ٧٣

أقول حلفا بالله بأن الحق هو أنه يجب تنـــزيه القلب أولا من ثـــورة النفس لفهم كلام الله، عندها فقط سينـــزل عليه النور من الله، وبدون النور الباطني لا تُرى الحقيقة الأصلية، حيث يقول الله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ﴾[1] أي أنه لَكلامٌ قدوسٍ وطاهرٍ فلن يدرك أحد أسراره ما لم تُطَهَّر نفسُه. كنت شابا وقد شِـــختُ الآن، ويســـتطيع النـــاس أن يشهدوا إذا شاؤوا بأني ما خضتُ في أمور الدنيا بل ظللـــت راغبـــا في الأمور الدينية دائما، وقد وجدتُ هذا الكلام الذي اسمه القرآن الكريم طاهرا ومليئا بالحِكَم الروحانية إلى أقصى الدرجات؛ فلا يؤلِّـــه إنسانا، ولا يسبب اللوم والذم لله ﷻ حاسبا الأرواح والأجسام خارج نطـــاق خلقه ﷻ. البركة التي لنيلها يقبل المرءُ الدينَ ينـــزِّلها هذا الكلامُ علـــى قلبه، ويورثه فضله ﷻ. فأنّى لنا أن نعود إلى الظلمة بعـــد أن وجـــدنا النور؟ وكيف نعود عميانا بعد أن وجدنا الأعين؟

ولما كان تأييد الحق واجبي، اضطررت إلى القول هنا تأييدا للحـــق فقط بأن أتباع مذهب "سناتن دهرم" -إن تركنا بعض مبادئهم جانبا- أفضل بآلاف المرات من أتباع مذهب آريا، فهم لا يسيئون إلى إلـــههم قائلين بأننا متساوون معه لكوننا أزليين وغير مخلوقين، ولا يقبلون مسألة "النيوك" المخجلة أيضا. ولا يوجهون إلى الإسلام اعتراضات ســـخيفة

---

[1] الواقعة: ٨٠

لأنهم يعرفون أن مبادئه تشكِّل قاسما مشتركا بين جميع الأمم. معظمهم يتحلون بدماثة الأخلاق، ولا توجد فيهم حذلقة وشطارة وحِدّة خطيرة. أما الآريون مقابلهم فلا يجوز أن يمدحوا أنفسهم على أنهم لا يعبدون الأصنام، ولا يؤمنون بـ "الأوتار"؛ لأن الرهبان من أتباع "سناتن دهرم" الذين يحتلّون أعلى مرتبة في الدين أيضا لا يعبدون الأوثان. أما "الأوتار" فمعنى الأوتار في السنسكريتية هو الرسل أو الأنبياء، فهم الذين ينزل فيهم نور الله. والحق أن مذهب سناتن دهرم لا يقول بعبادة الأنبياء، غير أنهم يقدّسونهم ويعظّمونهم كثيرا ويحبونهم[1]. ولكني قرأت في بعض مجلات الآريين وجرائدهم أن بعض الأشرار منهم قد استهزأوا بالرسل واستخدموا بحقهم كلمات تنمّ عن سوء الأدب. وهذه ليست شيمة أناس طيبين. والحق أن بعض الآريين قد تجاوزوا الحدود في الحذلقة والتجاسر. وهذه الحذلقة والتجاسر يدل على أنهم كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، وهؤلاء القوم ليسوا

---

[1] إن حب الأبرار والصالحين واجب على المؤمن، وبذلك يتحقق شرط صحبة الصالحين. وأتباع مذهب سناتن دهرم لا يحبون الأنبياء السابقين فقط بل ينتظرون في هذا الزمن المليء بالمفاسد والذنوب أيضا نبيا أخيرا سيطهِّر الأرض من الذنب. فلا غرابة أن يؤمن السعداء منهم في وقت من الأوقات بهذه الجماعة الربانية بعد رؤية آيات الله، لأنه لا يوجد فيهم تعنت وتعصب إلا قليلا. منه.

متوجّهين إلى الروحانية. الدين لا يتسنّى بالتجاسر وحذلقة اللسان، بل يقتضي موتا يُعطَى المرءُ بعده روحًا حيَّةً.

من المؤسف أن بعض الآريين من ذوي الطبائع الحادة كالوا في جلستهم في قاديان شتائم للإسلام كالمهرجين دون أن يكون لديهم أدنى إلمام بأمور الدين[1]. لو كانت نيتهم صالحة لكتبوا إليّ أن لدينا اعتراضا كذا وكذا على الإسلام. فمع أنني لا أستطيع الحضور في مثل هذه المجالس، ولكن كنت أستطيع أن أقنعهم بالرد على شبهاتهم باللين والكلام المنير. ولكنهم رجعوا من قاديان كما جاؤوا تماما بل ذهبوا حاملين على رؤوسهم كومة من الحذلقة والوقاحة وبذاءة اللسان. ولكني مع ذلك بلّغتهم الدعوة بتأليف كتاب "نسيم الدعوة" في بضعة أيام. فلو اهتدى ولو واحد منهم لنلتُ أجرا.

---

[1] إن هؤلاء القوم لم يستخدموا لسانا بذيئا ضد الإسلام فحسب، بل شجبوا كثيرا مبادئ "سناتن دهرم" المقدسة أيضا، وآذوا كثيرا قلوب الهندوس المساكين الذين يتبعون "سناتن دهرم"، وهاجموا المسيحية أيضا بغير حق بحسب عادتهم. تجاوُز الحدود عند الهجوم عادة شيطانية. صحيح أن عيسى عليه السلام ليس إلها، ولكنه نبي الله ورسوله الحبيب لديه عز وجل. وصحيح أن الراجا "رام شندر" والراجا "كرشنا" ما كانا إلهين في الحقيقة، ولكن مما لا شك فيه أنهما كانا صالحين وواصلَين إلى الله تعالى وكانا رسولَيه عز وجل. لقد تجلّى الله تعالى عليهما بتجلٍّ نوراني، لذا سُمِّيا رسولَين. منه.

الخاتمة

لقد بيّنت في كتاب "نسيم الدعوة" أن كل دين يُختبَر بثلاث طرق؛

أولا: ماذا يقول عن الله. من المؤسف أن مبادئ مذهب آريا لا تعُدّ الإله مصدر كل الأشياء الموجودة بل يحسبون كل شيء قديما وأزليا جاء إلى حيّز الوجود من تلقاء نفسه مثل الله، ويعتقدون أن الله لم يخلق هذه الأشياء ولا قواها. فيتبين من ذلك أن إله الآريين ليس إلـــها في الحقيقة، وإلا كان ضروريا أن يبتدئ كل شيء منه. أيّة مهزلة أن يُـــدعَى هـــو إلـــها وتأتي الأشياء كلها إلى حيزّ الوجود من تلقائها؟ كيف للشـــيء الذي لم يخلقه الله أن يكون تحت تصرفه؟ هل من الآريين أحد يستطيع أن يخبرنا سبب هذه السيطرة غير المبررة؟! إن سلطانه على الأشياء التي لم يخلقها ظلمٌ محضٌ. فإذا اتهم الآريون أتباعَ سناتن دهرم بعبادة الأوثان فإن التهمة نفسها تقع على الآريين بشدة أكبر من حيـــث اعتقـــادهم المذكور، لأن عبدة الأوثان لا يعُدّون أوثانهم وأصـــنامهم آلهـــة وأنهـــا وُجدت من تلقائها، وإنما يعتقدون أن الإله قد أعطى أصنامهم ورسلهم قوى كبيرة جدا وبسببها يقضون حاجات الناس. فمع أن هذا الكـــلام أيضا غير صحيح، بل إنّ قاضي الحاجات هو الله وحده. والذي يصـــير مطيعا صادقا لربه تعالى ضاربا كل شيء عُرض الحائط هو الذي ينـــال

العزة في الدنيا والآخرة وهو الذي يبارَك له. فيأتيه في كل حين وآن من ذلك الإله القدوس صوت: لو صرتَ لي لصار العالَم كله لك. وهذا ما جربته شخصيا وأنا على ذلك من الشاهدين. والذي يفنى في حبه وينال كيانا جديدا محترقا بنار حبه، فحين يدخل تلك النارَ تصبح كل الأشياء في الأرض والسماء التي يعبدها الآخرون خادمةً له وتُسخَّر لخدمته.

حاصل الكلام أنه من خطأ أتباع سناتن دهرم على أية حال أنهم يطلبون تحقيق أمنياتهم من أشياء مثلهم، ولا يستفيدون من النور الحي والساطع الذي أمامهم وليس منهم ببعيد، بل هو أقرب إليهم كثيرا من أصنامهم التي نحتوها بأنفسهم، غير أنهم يؤمنون بأن الله خالق كل شيء، ولم يوجَد شيء بدونه. يبدو أن هذا كان تعليم الفيدا الذي لم ينسه أتباع سناتن دهرم إلى الآن. يبدو لي أنه الأقرب إلى القياس، بالنظر إلى عبارات الرهبان ورجال الدين الذين قاموا بمجاهدات طويلة في الفلوات والبراري، بحيث أن حقيقة الفيدا انكشفت عليهم، لذا لم يعُدّوا، مثل الآريين، الأرواحَ والأجسام أزلية وموجودة من تلقاء نفسها، بل كانوا يعتقدون كما يبدو من عباراتهم أن كل شيء خرج من الله أي هي كلماته. هذا ما ذهب إليه الإسلام أيضا. (يقول مَثل بنجابي ما مفاده: مئة من العقلاء يتمسكون برأي صائب واحد، أما

الأغبياء فيختلفون في كل شيء) ما كانوا يجعلون مدار الـدين علـى حذلقة اللسان فقط مثل الآريين، بل كانوا يبحثون عن إلههم بالمجاهدات والمشقة والذكر والسعي وبصدق القلب، وكانوا يقومون بالمجاهـدات الشاقة في الفلوات والبراري حتى يُضمرون أبدانهم بسبب كثرة الصيام. وكانوا يعلّقون قلوبهم بإلههم منـزوين إلى زاوية الخلوة، عندها كـان يتجلى عليهم ذلك النور الأزلي الذي له تسميات مختلفة في لغات مختلفة مثل "برميشور"، و"God" و"خدا" و"الله". لم يقولوا قط بأن إلهـام الله ووحيه مقتصر على الفيدا فقط ثم سُدّت وقُفلت أبواب مكالمـة الله في المستقبل في وجه الإنسان، بل كان الله تعالى يكلّمهم وكانـت أمـور الغيب تُكشف عليهم.

والحق أنه لو لم يبال الله بالباحثين عن الحق -الذين يكادون يموتـون ويضحون بكل شيء في سبيله- وأبدى الفتور تجاههم ولم يتجلّ عليهم وبقي خافيا ولم يسمعوا كلامه أيضا لماتوا وهم أحياء، ولَـمَا كان في الدنيا شقيّ مثلهم حيث أنهم تركوا الدنيا من أجل الإلـه ولم يجـدوه أيضا، وبذلك خسروا كِلا العالَـمَين. ولكن هل لصديق أن يفعل ذلك مع صديقه؟ كلا. هناك مَثل هندي يقول ما معناه: إن كِـلا الجـانبين يحترق في نار الحب معا. يُبتلى أحد بالعشق المجازي ويجذب إليه حبيبـه باطنيا ليل نهار بالألم والحرقة إلى مدة. عندها تنـزل شعلة الحب بغتة -

بشرط ألا يكون الحب بُغية إشباع الشهوة- على قلب حبيبه الذي كان غافلا عن الحب إلى ذلك الحين، فينال الحبيب أيضا نصيبا من ذلك الألم وكأن آلام ذلك العاشق وتأوهاته التي يواجهها ليل نهار تعمل في الحبيب عمل السحر. عندها ينجذب قلبه إلى العاشق ويقع في قلبه لأسباب غير معروفة أن هذا الشخص يحبني. ثم لا يقتصر الأمر على الوقوع في القلب بل يصبح أسير حبه ويتعلق القلبُ بالقلب، وكأنهما يصبحان شخصا واحدا.

واللافت في الموضوع أن الحبيب يطّلع على ذلك الحب حتما، وإنْ سَتَره المحب بآلاف الحُجُب. عندئذ تفهم الدنيا أيضا التي تلاحق الجميع كالجواسيس أنهما متحابان. وهذا الحب إذا كان طاهرا ونزيها في الحقيقة دون أن تشوبه شائبة إشباع الشهوة الخبيثة يوصل كليهما إلى مرتبة ينجذب فيها قلب كل واحد منهما إلى الآخر. ولا يستقر لهما قرار بدون رؤية بعضهما بعضا، ولا يعرفان من أين وكيف نشأ هذا الجذب. على أية حال يريد قلباهما الطاهران أن ينالا على الأقل حظا من الكلام معًا ويرى بعضهما بعضا ولو قليلا، بل يضطرب قلبهما من أجل مكالمة واحدة على الأقل ولو ماتا بعد ذلك. فالعشق المجازي مآله أن الكلام بين الاثنين هو ذروة كماله. فاللعنة على دين لا يعِد مَن يحبّ الله بهذا القدر أيضا بأن يحظى بمكالمته كما يحظى المحب المجازي بمكالمة

حبيبه. من المؤسف أن هؤلاء الناس لا يعتنقون هذا الاعتقاد، ولكني لا أقبل أن الفيدات أرادت أن تحرم الإنسان من مرتبة المكالمة هذه، بل هذا خطأ هؤلاء القوم وليس خطأ الفيدا.

أقول صدقا وحقا بأن الدين الحقيقي هو ذلك الذي يوصل صاحبه إلى الله تعالى ويجعله يتذوق طعم مكالمته، وإلا فإن مَثله كمثل إدخال اليد في روث لا يوجد فيه إلا النجاسة.

والطريق الثاني لاختبار الدين هو أن الدين الصادق كما يُنشئ العلاقة مع الله كذلك يبثّ الطهارة في القوم. لقد كتبت من قبل أن مذهب آريا سماج لا يُنشئ العلاقة مع الله بل وينكر علاقة الخالقية أيضا التي تحظى بها كل روح مع إلهها كونه خالقها. أما علامة الطهارة فظاهرة من تعليم النيوك!! واها لك يا "سناتن دهرم" إذ لم تحسب كل ذرة وكل روح إله نفسها و لم تُدخل نجاسة النيوك في معتقداتك! فأقول صدقا وحقا بأنك لو خطوتَ إلى الأمام قليلا لتكون كالرهبان الواصلين بالله الذين يُملؤون بحبه، واقتربتَ إليه ورفضت عبادة الأوثان أيضا؛ لكان لك الفتح مقابل الآريين في كل موطن. عندها سيواجهونك من طريق واحد ويفرون مدبرين من سبعة طرق. وهذا ليس بأمر جديد بل هذا هو مذهب الرهبان الذين يحترقون في نار الحب منذ القِدم إذ يعتقدون أنه لا أهمية لأي شيء سوى الإله.

والطريق الثالث لاختبار الدين الحق هو أن يرى المرء إلى أيّ مدى يخلّص من قذارة الدنيا ويوصل إلى الله تعالى ويُري وجه ذلك القدوس عيانا. إن مذهب الآريين محروم من هذه المرتبة كليا، لذا ليس في نصيبهم إلا الشتائم وبذاءة اللسان والإساءة. وإن مبادئهم ليست نزيهة فيما يتعلق بالإله والطهارة القومية، ولا يوجد فيهم نصيب من البركات التي يُعطاها أهل الله. لقد سمعتُ أن أتباع سناتن دهرم في قاديان يريدون أن يعقدوا في قاديان جلسة لدحض وتفنيد مبدأين للآريين عن عدم قدرة الإله وعن النيوك. وأرى مناسبا أن يدعمهم أتباعُ سناتن دهرم من مدن أخرى أيضا. وإذا رأينا مناسبا نظرا إلى الظروف الراهنة فلنَنصرنّهم نحن أيضا.

والسلام

العبد المتواضع

ميرزا غلام أحمد القادياني

